السبت 9 حزيران 2018
العدد 3487 السنة الثانية عشرة
samedi 9 Juin 2018 no 3487 12ème année

40 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

أنا قلبي كورة...

نصرالله للصهاينة: إرحلوا [14]

الحريري يغطّي تجاوزات «مفوّضية اللاجئين»: باسيل لا يمثّل الحكومة [3]

«حرب القناصل» بين عون وبرّي [2]

إبداعات الوزير المعجزة

[8 ـ 9]

نسجت القوات اللبنانية أسطورة بشأن أداء وزرائها. «إبداعات» وزير الصحة غسان حاصباني تحطّم هذه الأسطورة (هيثم الموسوي)

مع العدد

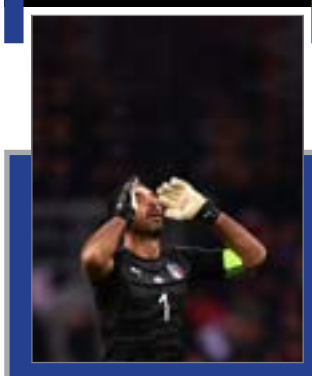

مونديال الغيابات الكبرى

ملحق رياضة

10
تحقيق
مقاهي صيدا القديمة
رمضان «بينعشنا»!

16
العراق
علاوي «يتبرأ» من التحالف مع الصدر

18
ليبيا

تثبيت السيطرة شرقاً
حفتر يقتحم درنة

23
ميديا
مصروفو «الحياة» يربحون الجولة الأولى

قضية اليوم

بري وحزب الله يرفضان تجاوز توقيع وزير المال

«مرسوم القناصل»: إشتباك الرئاستين الأولى والثانية يتجدد

بعد ان تحوّلت الحكومة الحريرية إلى حكومة تصريف اعمال، صدر في 29 ايار الماضي مرسوم تعيين 32 قنصلاً فخرياً، مذيلاً بتوقيع رئيسي الجمهورية والحكومة ووزير الخارجية ومن دون توقيع وزير المال علي حسن خليل. الخطوة تُنبئ بأزمة جديدة بين الرئاستين الأولى والثانية، على غرار ما حصل مع «مرسوم الأقدمية» للضباط

ليا القزي

مرسومٌ جديد، «شُطبَ» عنه توقيع وزير المال علي حسن خليل، يُهدّد بفتح «البركان السياسي النائم» بين رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس مجلس النواب نبيه برّي. ففي 29 أيار الماضي، وعلى مسافة أسبوع من تحوّل وزارة سعد الحريري إلى حكومة تصريف الأعمال، صدرت عن رئاستي الجمهورية ومجلس الوزراء ووزير الخارجية جبران باسيل، مراسيم تعيين 32 قنصلاً فخرياً.

القضة ليست فقط في كون المراسيم مطعونٌ بشرعيتها الدستورية، لأنّها صدرت خلال فترة تصريف الأعمال، بل لأنّها لم تمرّ على وزارة المال قبل إصدارها. هنا، تتبدى إشكاليتان، أولى، في الشكل، بتجاوز توقيع وزير المال، وثانية، في المضمون، لجهة تجاوز مكون أساسي (أمل وحزب الله).

القناصل الـ32، المُعينون في 29 أيار، يُشكلون الدفعة الثانية من تعيينات «الفخريّين»، والتي لم يُراعَ فيها التوازن الطائفي ولم يُستشر حزب الله وحركة أمل في الأسماء التي يرغبون في تعيينها. أمّا الدفعة

> **وزير المال يعمم الاثنين مذكرة على السفارات بعدم قبول اوراق اعتماد القناصل**

الأولى، وتضمّ أكثر من 10 قناصل، فقد أُنجزت في 22 شباط الماضي، على رغم عدم مراعاة التمثيل الطائفي، وهو ما وعد باسيل حزب الله بمراعاته في الدفعة المقبلة.

نعم، أكثر من عشرة مراسيم لتعيين قناصل فخريّين، وقّعها كلّ من عون والحريري وباسيل... وعلى حسن خليل في شباط، فما الذي طرأ بين تاريخ المرسومين، حتّى يحمل الأول توقيع وزير المال، ويتم تخطيه في المرسوم الثاني؟ لا شيء. أقلّه دستورياً. أكثر من ذلك. في نيسان الماضي، أحال باسيل إلى وزارة المال 13 مرسوماً لتعيين قناصل فخريين (13 قنصلاً)، تحتوي على أربع خانات: خانة لتوقيع رئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ووزير المالية. لم يوقع الأخير، في حينه، المراسيم لورود اسم مُنسّق التيار الوطني الحر في ألمانيا حسن المقداد، وما اعتُبر وفق الصيغة اللبنانية الطائفية، «تدخّلاً» في تسمية القناصل المحسوبين على الطائفة الشيعية. شكّل ذلك، «مادّة انتخابية» لباسيل، خلال جولاته على المغتربين، مُتّهماً حركة أمل بعرقلة تعيين قناصل فخريين. هنا لُبّ الخلاف الجديد حول المرسوم.

ولكن، كان من المفترض أن تُشكّل العلاقة بين عون وبرّي، التي يسودها جوّ من الوئام والتنسيق، «درعاً» ضدّ هذه التصرفات. مع وجود قناعة مشتركة بفتح صفحة جديدة من التعاون الرئاسي لمصلحة وزير المال، لأن القناصل الفخريين لا يرتبون أية أتعاب مالية على الدولة. آخرون، يربطون الموضوع بعدم توقيع خليل على مرسوم الناجحين في امتحانات مجلس الخدمة المدنية، لملء المراكز الشاغرة في وظائف الفئة الثالثة في السلك الخارجي في ملاك وزارة الخارجية والمغتربين، «المنسي» في أدراج «المالية» منذ أكثر من شهر. وقرار «الخارجية» عدم تشكيل 43 دبلوماسياً من الإدارة المركزية إلى البعثات الخارجية، قبل أن يُوقع مرسوم زملائهم. أما الصنف الثالث، المعارض لباسيل، فيختصر الأمر بأنّ وزير الخارجية «التزم» مع القناصل الفخريين على تمرير تعيينهم، قبل أن يودّع الوزارة. يُذكّر أنّ هؤلاء القناصل، هم من يدفعون للدولة بدل «خلق» منصب «شرفي» لهم، ولا يتقاضون أي راتب.

وزارة الخارجية «حضّنت» نفسها، بإصدار المراسيم الـ32 خالية من توقيع خليل، بالاستناد إلى رأي من هيئة التشريع والقضايا في وزارة العدل. حكمت الأخيرة أنّه ليس من الضرورة أن يشترك وزير المال بالتوقيع على المرسوم، لأنّ القناصل الفخريين لا يُرتبون أعباءً مالية على الدولة. هذا بالضبط ما صدر عن هيئة التشريع والاستشارات خلال الأزمة الدستورية التي نشبت حول «مرسوم الأقدمية» في كانون الأول 2017. صحيح أنّ القناصل الفخريين لا «يُكلّفون» الدولة، وهم عبارة عن «إدارة مالية ذاتية». ولكن ماذا عن مُعاملات تجديد الإقامات وجوازات السفر التي تقع ضمن مهامهم؟ هذه إجراءات تتطلب حركة مالية، كيف ستُنظّم؟ مصادر في «الخارجية» تردّ بالقول إنّ «القناصل الفخريين يعودون في هذه الحالات إلى البعثات الدبلوماسية الرسمية، في البلد حيث يتواجدون». إلا أنّ أوساط وزير المال تؤكّد أنّ «الفتوى» التي طلبها باسيل من وزير العدل سليم جريصاتي، «تنسفها وحدة الموازنة في النفقات والواردات، ولا تستقيم الأصول الدستورية» مع الفتوى الجريصاتية». فضلاً عن أنّه في الكتاب الذي يصدر عن مديرية الشؤون الإدارية والمالية في «الخارجية»، وموضوعه إنهاء خدمة وتعيين قناصل فخريين، يُطلب من القناصل «ضرورة تسديد الرسوم القنصلية المتجمعة في حال وجودها، وتسليم كافة السجلات والأختام إلى السفارة». ما يؤكد، أنّ القناصل الفخرية تُرتّب أعباءً على الدولة.

تُصرّ مصادر «الخارجية» خلال حديثها، على التأكيد أنّه «تاريخياً، كان مرسوم تعيين القناصل الفخريين يصدر من دون توقيع وزير المال». ولكن، جولة صغيرة وبسيطة على هذا «التاريخ»، تُفيد بالعكس. ففي 17 تموز عام 1965، صدر عن رئيس الجمهورية شارل حلو، ورئيس مجلس الوزراء (وزير الخارجية في الوقت عينه) حسين العويني، «ووزير المالية عثمان الدنا»، مرسوم تعيين قناصل فخريين، وقد وافق عليه مجلس الخدمة المدنية بقراره رقم 86. قد يقول البعض إنّ هذا المثل، يعود إلى حقبة مضت، وبعد الحرب الأهلية واتفاق الطائف تبدّلت طريقة التعامل مع المراسيم. إذا سلّمنا جدلاً أنّ هذا صحيح، كيف يُبرّر ما نُشر في العدد 8 من الجريدة الرسمية (تاريخ 22 شباط 2018)، من مراسيم تعيين قناصل فخريين تحمل تواقيع المعنيين الأربعة (عون، الحريري، باسيل، خليل)؟

مصادر دبلوماسية أخرى، تُحاول التخفيف من وطأة «تهريبة» المرسوم، بالقول إنّه «بعد صدور قرار إنشاء قنصليات جديدة، كلّ القوى السياسية الأساسية، شاركت في اختيار أسماء القناصل الفخريين». تُنكر أوساط وزير المال ما تقدّم، «فلا بالشكل راعى المرسوم الأصول، من خلال تغييب توقيع وزير المال. ولم يُراعِ التوازن الطائفي (6 فقط ينتمون إلى الطائفة الشيعية)، أو تمّت استشارة حزب الله وحركة أمل حول الأسماء التي يُركّبان تسميتها». حركة أمل مُنزعجة مما حصل، وحزب الله مُتفاجئ من تصرّف باسيل «الذي جدّد وعده للحزب بأنّه سيُعالج الخلل في المرّة المقبلة»، خصوصاً أن مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في حزب الله وفيق صفا كان قد أثار الأمر مع باسيل، وتمنى عليه عدم تجاوز توقيع وزارة المال.

أنهى وزير الخارجية العمل على «مرسومه»، ووقّعه رئيسا الجمهورية والحكومة في 29 أيار. إلا أنّ «الضجّة» حوله لم تبدأ فعلياً إلا يوم أمس. تواصل علي حسن خليل مع سعد الحريري، مُبلغاً إيّاه بأنّه في صدد تحضير رسالة يوزّعها على سفارات الدول حيث جرى إنشاء قناصل فخرية. الحريري، الخائف على أن يؤثّر هذا المرسوم في مسار تشكيل حكومته الجديدة، طلب من وزير المال عدم الإقدام على هذه الخطوة، من دون أن يلقى تجاوباً.

الرسالة التي سجّلها علي حسن خليل في قلم وزارة المال، أمس، مع رقم خاصّ بها، ستوزّع الاثنين على السفارات الأجنبية المعنية في بيروت، مُترجمة إلى لغات أجنبية عدّة. مضمونها «تحذيري»، ينصّ على أنّ المرسوم «موضع إشكال دستوري وتشوبه عيوبٌ كثيرة». العمل بالمرسوم يعني «ترتيب أمورٍ لا تخدم العلاقات الثنائية»، بين لبنان وكلّ من الدول المعنية. لذلك، «نتمنّى عدم قبول اعتماد القناصل المُعينين لديكم».

الأزمة التي انطلقت من وزارة الخارجية، مُرشحة إلى التصعيد بين الرئاستين الأولى والثانية. كان همّ برّي، عبر تعيين قناصل فخريين، خلق «شبكة أمان» للمغتربين، تحديداً في عدد من البلدان الأفريقية، مع تزايد الحديث عن رزمة عقوبات أميركية جديدة. أولى الإجراءات، إبلاغ رئيس الحكومة عدم الموافقة على المرسوم وضرورة التراجع عنه. ولم توافق حركة أمل، على الاقتراح الذي تقدّم به باسيل للحريري، بأن يمرّ هذا المرسوم، مُقابل التعهد بإرسال كل المراسيم مستقبلاً إلى المالية، بحسب أوساط وزير المال التي اكدت «اننا مُكون اساسي لا يُمكن تجاوزه».

لماذا التزم باسيل مع القناصل الفخريين بتعيينهم قبل ان يغادر الوزارة؟ (هيثم الموسوي)

القناصل الفخريون المعيّنون

- خضر كمال الدين: بيرث (أستراليا)
- جورج مزهر: بوكيه (غينيا)
- كمال حجيج: الرأس الأخضر
- حسين سلامة: موريتانيا
- جورج زهر: برشلونه (إسبانيا)
- إيلي غنيمة: كالغري (كندا)
- كريكور جيان: تورنتو (كندا)
- نخلة قهوجي: فانكوفر (كندا)
- شربل شبير: فلورنسا (إيطاليا)
- زخيا القوبا: نابولي (إيطاليا)
- يوسف مهنا: البندقية (إيطاليا)
- خالد عيتاني: جنوا (إيطاليا)
- جوسلين جوهر: باري (إيطاليا)
- فادي أبو داغر: أنسبرك (النمسا)
- حسام بو مرعي: ريغا (لاتفيا)
- ألين صعب: كولومبوس (الولايات المتحدة)
- أنطوني آشر: كليفلاند (الولايات المتحدة)
- جون زاخم: دنفر- كولورادو (الولايات المتحدة)
- جورج شماس: سان فرنسيسكو (الولايات المتحدة)
- فيليب زيادة: لاس فيغاس (الولايات المتحدة)
- نبيل البحري: جاكسنوفيل (الولايات المتحدة)
- أنسطاس المر: جورجيا
- سمير شما: شتوتغارت (ألمانيا)
- حسن المقداد: هانوفر (ألمانيا)
- كمين جلوس: هامبورغ (ألمانيا)
- نديم باسيل: توغو
- غسان الكبي: جنيف (سويسرا)
- عيد عنبر: ماتو غروسو (البرازيل)
- خديجة طه: كورينتس (الأرجنتين)
- أوسكار بردي: ميسونيس (البرازيل)
- مكرم سعيد: بيليم (البرازيل)
- فادي الزوقي: تاسمانيا (أستراليا)

تقرير

رئاسة الحكومة تُهاجم باسيل: قراره لا يُمثلنا!

ما إن صدر قرار الوزير جبران باسيل «الهجومي» ضدّ المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في لبنان، حتّى خرجت رئاسة الحكومة عن طورها. هو «تحسّس» من باسيل. لأنّه «استفرد» بقرار يخصّ سياسة لبنان الخارجية. كما أنّه «خوفٌ» من ردّ فعل ذاك «المجتمع الدولي». في كلّ الأحوال، نجح باسيل في أن يحدّ من وقاحة «المفوضية» في لبنان

لم يعتد ما يُسمّى بـ«المجتمع الدولي» ومُنظماته، أن يسمعوا كلمة «كلّا»، تحديداً من دول «العالم الثالث». هم في «بلادنا»، نَصّبوا أنفسهم أولياء، يريدون فرض رؤيتهم وسياساتهم، مُفترضين (وهم مُحقون) أنّ حكومات وشعوب هذه الدول، سيُلبّون أوامرهم. إصدار وزير الخارجية والمغتربين جبران باسيل تعليماته إلى مديرية المراسم في «الخارجية»، لإيقاف الإقامات المُقدّمة إلى الوزارة لمصلحة المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في لبنان، أتى من خارج السياق المُعتاد. «تجرّأ» الوزير اللبناني، أن يرفع صوته في وجه المفوضية، «قامعاً» عنجهية مُنظّمة تعمل على ترهيب اللاجئين السوريين لثنيهم عن العودة إلى بلادهم. وفي الإقدام على تصرفات ليست من اختصاصها. الحُجّة «الدولية» المُعلنة هي في أنّ الظروف في سوريا غير آمنة للعودة. في حين أنّ هدف «المجتمع الدولي» الباطني، تشتيت السوريين وإبقاءهم في بلدان اللجوء، تمهيداً لاستخدامهم في المفاوضات السياسية مُستقبلاً.

كان من المُفترض أن يُلاقى إجراء باسيل، «بحفاوةٍ» لبنانية رسمية. لا سيّما أنّ كلّ القوى السياسية، تُعلن أنّها مع عودة اللاجئين. إلا أنّ رفع باسيل لصوته في وجه المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في لبنان، «فضّ» من اعتاد استرضاء «المجتمع الدولي». وتسبّب بهجوم من جانب رئاسة الحكومة باتجاه باسيل، قاده مستشار رئيس الوزراء سعد الحريري لشؤون النازحين نديم المنلا.

أعلن المنلا أمس، في بداية نشرة أخبار تلفزيون المستقبل، أنّ إيقاف باسيل طلبات الإقامة لمصلحة «المفوضية»، لا يعكس سياسة الحكومة، «بل هو موقف سياسي لباسيل». واعتبر مستشار الحريري أنّه كان على وزير الخارجية «أن يستشير رئيس الحكومة، الذي يتّخذ القرار المُناسب. قرار باسيل أتى خلافاً لإرادة الحريري». لم يكتفِ المنلا بذلك، بل ذكّر بأنّه يوجد «رئيس حكومة معني بالملفّ (اللاجئين)، وهو الذي يُحدّد الإطار العام لسياسة لبنان الخارجية»، مُتمنياً على باسيل أن «يتراجع عن القرار، لأنّه سيأخذنا إلى

> **الإجراءات قد تصل حدّ طرد عاملين في المفوضية في لبنان**

صدام مع المجتمع الدولي».

وعلى الوتر نفسه، عزف الوزير مروان حمادة. «غيرة» الوزير الاشتراكي على مفوضية اللاجئين، دفعته إلى القول إنّ «هذا الوزير يتصرّف وكأنّ الدولة تُعلن حرب إلغاء على المؤسسات الدولية من دون حساب للتداعيات المحلية على سمعة لبنان والخسائر المرتقبة إن لم يرحل النازحون وانقطعت المساعدات (...) في كل الأحوال، لا يجوز أن تُحوّل المنابر لتهديد المنظمات الدولية وأن يُحدّد وزير واحد تصريف الأعمال بتحديد سياسات تعني الداخلية والشؤون والدفاع والعدل والتربية والصحة أكثر مما تعنيه».

بعد صدور قرار باسيل، نفى المتحدث باسم «المفوضية» في جنيف، ويليام سبيندلر، أن تكون المنظمة لا تُشجع اللاجئين على العودة. وقال إنّه «نحن لا نعيق أو نُعارض العودة إن كانت خياراً شخصياً، هذا حقهم (...) لكن من وجهة نظرنا، فإنّ الظروف في سوريا ليست مؤاتية بعد للمساعدة على العودة، على رغم أنّ الوضع يتغير، ونحن نُتابع عن كثب». وقالت مصادر في «الخارجية» لـ«الأخبار» إنّ سلسلة إجراءات تصاعدية ستُتخذ في حال لم ترتدع مفوضية اللاجئين، «كمنع مُمثليها من الدخول إلى مناطق لبنانية مُحدّدة، أو إلزامهم بأن يُرافقهم مُمثلون عن الدولة اللبنانية»، إضافةً إلى مراقبة المساعدات التي تصل إلى لبنان، وصولاً إلى إقفال مراكز للمفوضية وسحب إقامات عدد من العاملين فيها، واعتبارهم أشخاصاً غير مرغوب بهم، أي طردهم. ومن غير المستبعد أن يشمل إجراء كهذا، في حال الوصول إليه، ممثلة مكتب المفوّضة العليا لشؤون اللاجئين في لبنان ميراي جيرار.

(الأخبار)

تقرير

مرسوم التجنيس: الأمن العام ينجز مهمّته قبل العيد

غداة نشر وزارة الداخلية، رسمياً، مرسوم التجنيس المجمد، واصلت فرق المديرية العامة للأمن العام عملية التدقيق واستقبال الشكاوى، في مقر المديرية في المتحف، وفق منهجية حددها المدير العام اللواء عباس إبراهيم منذ خمسة أيام، على أن تنجز المهمة قبل حلول عيد الفطر، أي في مهلة أقصاها يوم الأربعاء المقبل.

وفور إنجاز الأمن العام تحقيقه، سيبادر إبراهيم إلى تسليم رئيس الجمهورية العماد ميشال عون ووزير الداخلية نهاد المشنوق تقريراً يتضمن الأسماء التي توجد حولها شبهات أمنية، علماً بأن فرع المعلومات في قوى الأمن الداخلي كان قد أعدّ تقريراً سلّمه إلى المشنوق، في مطلع أيار المنصرم، تضمن خمسة أسماء «مشبوهة» ثبت ورودها في المرسوم، بينها مطلوب للانتربول ورد ضمن لائحة الأسماء المقدمة من رئاسة الحكومة، واربعة أسماء ملاحقة أو صادرة بحقها أحكام في بلدانها وردت في اللائحة التي قدمتها رئاسة الجمهورية إلى وزارة الداخلية.

وفيما تصر وزارة الداخلية على عدم إصدار مرسوم جديد، بعد إنجاز عملية التدقيق، أظهر الرأي القانوني في رئاسة الجمهورية أن لا مخرج قانونياً للمرسوم الذي جمدت العمل به دائرة الأحوال الشخصية في وزارة الداخلية إلا بمرسوم جديد يوقّعه وزير الداخلية ورئيس الحكومة ورئيس الجمهورية وينشر هذه المرة علناً بعد إسقاط الأسماء التي وضعها الأمن العام في خانة «المشبوهة» وقبله فرع المعلومات. في هذه الأثناء، وفيما جددت أحزاب

> **5 «مشبوهين» في المرسوم: واحد من حصة رئاسة الحكومة و4 من رئاسة الجمهورية**

القوات والكتائب والتقدمي الاشتراكي دعوتها لإلغاء المرسوم، «وإصدار مرسوم آخر يتضمن فقط الحالات الخاصة جداً ولأسباب إنسانية محددة جداً ومتوافقة مع مقتضيات الدستور اللبناني ومعايير منح الجنسية اللبنانية»، أعاد مرسوم التجنيس نفسه جروح شرائح لبنانية معنية بالتجنيس مثل حاملي جنسية قيد الدرس أو مكتومي القيد من أبناء وادي خالد والقرى السبع.

في هذا السياق، تحركت مشكلة أبناء القرى السبع (طربيخا، صلحا، المالكية، هونين، إبل القمح، قدس، هونين وإقرط)، وذلك في ضوء تجدد مطالبة عائلاتها بأن يرفع الظلم الذي لحق بهم بسبب عدم نيل المئات وربما الآلاف منهم الجنسية اللبنانية ضمن مرسوم عام 1994. وفي هذا الإطار، علمت «الأخبار» أن المرسوم المنوي إصداره سيقابله إصرار جهات سياسية وحزبية على إصدار مرسوم آخر يخص أبناء القرى السبع ووادي خالد.

وفي هذا الإطار، طلب رئيس مجلس النواب نبيه بري من وفود عدة زارته في عين التنية، في الأيام الأخيرة، أن تبادر إلى تحضير ملفاتها تمهيداً لتقديمها الى وزارة الداخلية، «ليس من باب النكايات السياسية، إنما من باب حقهم في الحصول على الجنسية اللبنانية وهم الأولى بها، ومن ثم مراعاةً لمقتضيات التوازنات الطائفية والوطنية».

(الأخبار)

في الواجهة

عصام فارس: بروفيل فكّ الإشتباك

في 7 أيار 2005 عاد ميشال عون من منفى قسري طوال 14 عاماً. في اليوم التالي، ذهب عصام فارس الى منفى اختياري طوال 11 عاماً. في 31 تشرين الاول 2016 انتخب الاول رئيساً للجمهورية متوّجاً ثمن ذلك المنفى. بعد ظهر ذلك اليوم، عاد الثاني كي يهنئه في الغداة ثم يسافر

فارس: لم أرد حرية ان اكون نائبا لرئيس حكومة الا مع رفيق الحريري (داللاتي ونهرا)

نقولا ناصيف

رجع ميشال عون الى لبنان كي يجيبه سلطة ابعدته، وغادر عصام فارس بعدما شهد سلطة شارك فيها لعقد من الزمن تتفكك، وينقلب بعضها على بعض آخر، ومعظمهم في الأصل حلفاء سوريا، كي يضعوا الدولة والبلاد عند تقاطع قوى 8 و14 آذار. حينما عاد عصام فارس بعد 11 عاماً، كان هذا التقاطع الذي لم ينخرط فيه تلاشى وأفلس.

> من خلال 72 لجنة وزارية وطّن تعايش اميل لحود ورفيق الحريري
>
> في منصب عُرفي بلا صلاحيات، اضحت نيابة رئاسة الحكومة معه ذات دور سياسي

لفك الاشتباك بين المتنازعين على المنصب في الثانية، الجاري الخوض فيها، طُرح مجدّداً. بعد تجربة حكومتي 2000 و2003 برئاسة رفيق الحريري، اقترن اسمه بفك الاشتباك. فيها كانت التجربة الاصعب في تعايش رئيس للجمهورية ورئيس للحكومة لا مثيل للعداء المستحكم بينهما، والمماأة المعلنة والكراهية المكتومة، منذ اتفاق الطائف. قد يصح تعميمها ايضاً على ما قبل الاتفاق.

اختلف كميل شمعون مع عبدالله اليافي وصائب سلام ورشيد كرامي، وفؤاد شهاب مع صائب سلام، وشارل حلو مع عبدالله اليافي، وسليمان فرنجيه مع صائب سلام ورشيد كرامي. لكن لم يبلغ ما بين اي من هؤلاء ما بين اميل لحود ورفيق الحريري. منذ اليوم الاول لعهد الاول وقعت القطيعة من دون أن تفلح ـ أو تشأ ـ سوريا في رأبها. في الولاية الممددة اغتيل الثاني ايذاناً بانهيار شامل. ما بين هاتين المرحلتين هزم رفيق الحريري اميل لحود في الانتخابات النيابية عام 2000، وفرض عليه ان يكون رئيساً للحكومة، ثأراً لاقصائه عام 1998، قبل ان يعمد رئيس الجمهورية بعد اربع سنوات الى تكرار لعبة الاقصاء نفسها، مستعيناً ـ كما في كل مرة ـ بدعم سوري حدّد سلفاً سقف المشاركة في الحكم: استجابة شروط اميل لحود. ليس رفيق الحريري وحده مَن تكبّد ثمن هذا السقف. تباعاً أُخرج اصدقاؤه السوريون الاقوياء مَن المعادلة اللبنانية: حكمت الشهابي وعبدالحليم خدام وغازي كنعان. امضى الرجلان الولاية الاولى في لعبة تدمير متبادل.

في حكومتي 2000 و2003 كانت ثمة محاولة مختلفة لتوطين تعايش الحد الادنى، في مرحلة كانت البلاد خارجة لتوها من تحديات مهمة: انسحاب اسرائيل من الجنوب، انتقال السلطة في سوريا من الرئيس الاب الى الرئيس الابن، انتخابات 2000 بتداعياتها التي ارست توازناً داخلياً جديداً بين الموالاة والمعارضة، ارتفاع نبرة الاعتراض المسيحي ومناداة وليد جنبلاط باعادة انتشار الجيش السوري، الاحتلال الاميركي للعراق، وصولاً الى القرار 1559. دُعي عصام فارس كي يكون نائباً لرئيس الحكومة. كانت المرة الاولى يصبح للمنصب دور سياسي لا يكتفي بفك الاشتباك، بل يمكّن مَن يضطلع به من توطين تعايش قابل للحياة بين نقيضين لا يلتقيان.

ليست الحال نفسها تماماً في اقتراح اسمه عامي 2016 و2018 لفك الاشتباك بين متنافسين على المنصب، بل ايضاً توفير اوسع قاعدة تفاهم داخل السلطة الاجرائية وترسيخ توازن قواها. كان ذلك مغزى ترؤسه اجتماعات اللجان الوزارية الـ72 في حكومتي 2000 و2003 ووجوده على رأس معظمها. شكلت السياسة لدى عصام فارس مساراً متقطعاً اكثر منه منتظماً، قبل ان يستكملها بين عامي 1996 و2005. اول عهده فيها منتصف الخمسينات، وارثاً من والده مخايل علاقة وطيدة بزعيم عكار حينذاك سليمان العلي، ساعدت على اقناعه بضم طلال المرعبي الى لائحته في انتخابات 1972. اول ابواب السياسة المحلية، ما لبثت ان اقترنت بابواب شمالية اخرى ابرزها مع سليمان فرنجيه الذي منذ انتخابه رئيساً عام 1970 بدأ مدّ نفوذه الى الشمال المسيحي في الكورة والبترون وبشري، صعوداً الى عكار. كانت انتخابات النيابية عام 1972 دليلاً ساطعاً على فحوى هذا التمدّد وتاثيره، ناهيك بتحالفاته المحلية. صار صهره عبدالله الراسي نائب عكار، وساهم في إنابة حبيب كيروز وجبران طوق في بشري، وباخوس حكيم في الكورة، وجورج سعادة وبطرس حرب في البترون.

منذ معرفته بعبدالله الراسي، الطبيب العامل في السعودية، في الستينات توسّعت صداقة عصام فارس بسليمان فرنجيه رغم ان انتخابات الحقبة تلك (1960 ـ 1972) فصلت ما بين قضاءي زغرتا وعكار. عندما شارك في اعمال مؤتمري الحوار الوطني في جنيف ولوزان عامي 1983 و1984 نزل الرئيس السابق ومعاونوه في منزله. عام 1988 دعم بداية ترشيح سليمان فرنجيه، ثم ابدَ مخايل ضاهر محامية وجاره في القبيات، للسبب المشترك نفسه هو تفادي وقوع شغور في رئاسة الجمهورية، ناجم عن انقسام وطني على الاستحقاق والرئيس معاً، ما يفضي الى انهيار النظام برمته.

لم يكن الوقت كافياً ما بين 18 ايلول و23 منه لانجاح التوافق الاميركي ـ السوري على المرشح العكاري وفرضه حتى، اذ بدا الشغور حتمياً. مع ذلك، في ظل رفض مسيحي قاطع لانتخابه ـ وكانت تلك المرة الاولى يُفكّر في رئيس من الاطراف البعيدة للوصول به الى رأس هرم السلطة ـ مصدره بكركي والقوات اللبنانية وقائد الجيش ميشال عون، اقرب ما يكون الى اقرب تظاهرة معارضة مسيحية كانت كافية لاطاحة الحدث. ما لبث، في مرحلة ما بعد اتفاق الطائف، ان اختبر مجدّداً واقعة مشابهة.

فرض اجراء انتخابات نيابية عام 1992، وطلب منه الترشح في دائرة مسقطه. الا انه فضّل اشغاله في الخارج في انتظار الساعة الفضلى. في جزء من هذا الموقف مقاطعة مسيحية عريضة لانتخابات النيابية بين رأيين متباعدين: احدهما يحمّس على الانخراط فيها وإن في ظل قانون غير عادل، والآخر يحضّ على المقاطعة. عندما دُعي الى الترشح لانتخابات 1996، كانت وطأة المقاطعة المسيحية خفت بعدما جرّبت خطاها الجسيم. لم يقتصر على اخراج الاحزاب المسيحية من السلطة، بل طاول افراغ مواقعها في الادارة الناجمة عن نشوء سلطة ما بعد الطائف باكتمال مؤسساتها الدستورية، فسارعت الى ملء الشغور بالحلفاء. في انتخابات 1996 ـ وكان الشمال للمرة الثانية دائرة انتخابية واحدة ـ تحالف مع سليمان فرنجيه الحفيد وعمر كرامي في لائحة ائتلافية حصدت 17 من المقاعد الـ28، بينما فازت لائحتان منافستان بـ11 مقعداً.

لكن التجربة السياسية الفعلية كمنت عام 2000، في استحقاقين متتاليين: ترشحه للانتخابات، وتعيينه ـ للمرة الاولى ـ نائباً لرئيس الحكومة. خلافاً لعام 1996 اذ بدا احد اقطاب الدائرة الانتخابية الواسعة في الشمال مع عمر كرامي وسليمان فرنجيه، دخل انتخابات 2000 في دائرة انتخابية اصغر هي عكار والضنية وبشري. تنكّب عبء لائحة في دائرة متنافرة لا سابق لها في قوانين الانتخاب. أثقل النيابية بين رأيين متباعدين: الضنية والاصولية المسيحية في بشري. قبل الوصول الى الانتخابات اقترح مرة تلو اخرى اعادة النظر في القانون، فلم يُصغَ اليه. فاتح رفيق الحريري في لقاء جمعه به في بخته في الضنية في حضور بهيج طبارة في اعادة تقسيم الدوائر واخراج عكار من الدائرتين الاخريين. كانت تلك ايضاً وجهة نظر الرئيس السابق للحكومة المنخرط في معارضة رئيس الجمهورية، مسلماً على مضض بقانون جعل بيروت دائرة انتخابية ثلاثاً.

كانت الانتخابات الاولى في عهد اميل لحود، لكنها ايضاً اشتباك مباشر بينه ومناوئه الاول رفيق الحريري الذي أُخرج من رئاسة الحكومة، فشق طريقاً الى معارضة الاشتباك بينه رئيسي الجمهورية، وطوراً بالمساعدة على ترجيح كفة الرئيس.

الترجمة الفعلية للمهمة هذه ايجاده الآلية الملائمة لفك الاشتباك: اللجان الوزارية. في حكومتي 2000 و2003 ترأس عصام فارس اجتماعات 72 لجنة وزارية عنيت، عند كل خلاف بين الرئيسين، بالعثور على سبل التوفيق بينهما بالتوصل الى الصيغ الملائمة، ترفع بموجبها توصيات المعالجة. كلما اختلفا على ملف وُلدت لجنة وزارية تنتهي مهمتها بالتفاهم على حل او يبقى الملف في جواريرها. ما يتفقان عليه لا يعوزه هذا المتنفس. لأن الرئيسين على كمّ كهذا من التناقض، اختار لعضوية اللجان الـ72 في الغالب وزراء يمثلون الاتجاهات المختلفة في الحكومة، كي يبدو الافرقاء جميعاً معنيين بالمخارج المطلوبة. كان يمسوا على رأسهم نائب رئيس الحكومة فريقاً ثالثاً قادراً على تنظيم الخلاف، وفي الوقت نفسه ضمان دوران ماكنة الحكم والسلطة. اضاف مهمة موازية الى هذا الدور. فور تعيينه، انشأ فريقاً استشارياً حوله عهد اليه في درس جدول اعمال جلسات مجلس الوزراء. ضم الفريق عبدالله عطية وعبدالله بوحبيب وفخري صاغية ومناف منصور ومصطفى الحجار وفؤاد الترك وحنا حداد ثم خلفه فؤاد هيدموس واخرين تبعاً لمضمون الملف، راح يجتمع دورياً قبل انعقاد جلسة مجلس الوزراء برئاسته. يناقش جدول الاعمال ويضع الاقتراحات في شأن بنوده، يعمد نائب رئيس الحكومة الى طرحها في الجلسة، مع انه عُيّن نائباً لرئيس الحكومة، للمرة الثالثة، في حكومة عمر كرامي (2004)، كان يحلو له القول انه احب التعامل مع رفيق الحريري وارتاح اليه. قال يوماً: لم ارد مرة ان اكون نائباً لرئيس حكومة الا معه هو بالذات. فرّقت بينهما ملفات عدة، واختلفا، وتبادلا في مجلس الوزراء تصويتاً متناقضاً انطلاقاً من اعتقاد عصام فارس ان موقعه هو الى جانب رئيس الجمهورية، وفي الوقت نفسه تطبيع علاقته برئيس الحكومة من اجل ضمان استقرار السلطة الاجرائية وادائها وظيفتها بينهما. عندما قرّر لبنان شرح موقفه للامم المتحدة من القرار 1559، من غير ان يذهب اليها اميل لحود او رفيق الحريري ـ وكلاهما تباينا الى حد في تقييم تبعاته المحلية والدولية ـ خطب عصام فارس بديلاً منهما على منبر نيويورك في ايلول 2004 كي يفصح عن الموقف اللبناني الرسمي: يدعم الشرعية الدولية ويحترم قراراتها وينصاع اليها، لكنه يطلب امهاله الوقت لتقدير تنفيذ القرار بما لا يزعزع استقرار البلاد.

لم يتح لحكومة 2004 ان تعمّر طويلاً وهو في المنصب نفسه. باغتيال رفيق الحريري باتت في صدارة الاتهام والتقصير، ما حمل رئيسها عمر كرامي تحت وطأة غضب الشارع على الاستقالة. بانقضاء شهرين اتخذ عصام فارس خيار الابتعاد. احجم مجلس النواب عن وضع قانون جديد للانتخاب رغم رسالة رئيس الجمهورية اليه، واصر على اجراء الانتخابات في 31 ايار متأثراً بالضغوط الدولية. مستبقاً العاصفة الآتية، قرّر الخروج من اللعبة. في 8 أيار غادر البلاد.

ضاربة. لم تكن عكار خط تماس بينهما، ولذا لم يشأ رفيق الحريري ان يجبه بها على نحو ما فعل في دوائرها الثلاث وتصويبه على رئيس الحكومة سليم الحص كي يهزمه فيها اياً يكن الثمن، وهو ما حدث. في عكار، البعيدة عن تماسهما، مال الى التعاون مع عصام فارس.

افضت انتخابات 2000 الى خسارة لائحة عصام فارس في الدائرة المثلثة الاقضية خمسة مقاعد، مكتفية بستة من مقاعدها الـ11. في هذا الاستحقاق، في قضاء غالبية سكانه سنّة، بات عصام فارس الارثوذكسي مرجعيته السياسية. ثبّت للمرة الاولى مرجعية ارثوذكسية في الاطراف لم يسبق ان خبرها سياسيو الطائفة، هم الذين عدّوا لانفسهم اربعة ملاعب رئيسية لها: الدائرتان الاولى والثالثة من بيروت والكورة والمتن. بعدما اصبح لعكار نائبان ارثوذكسيان منذ انتخابات 1992، راحت في الاستحقاقات التالية تسعى الى التحوّل مرجعية سياسية لها زعيمها في رأس هرم الحكم تستمد دورها منه.

كان ثمة عامل اضافي سابق لولوج الباب السياسي. عام 1985 انشأ مؤسسة حملت اسمه مقرها في بيروت تولت خططاً تداخل فيها الاجتماعي بالانمائي في عكار. فاتحتها مستوصفان في بيت وتل عباس، ألحقا بعشر سيارات اسعاف جوالة على البلدات العكارية مزودة طبياً وصيدلياً ومخزن ادوية لمعاينة الاهالي، دورياً، بلا روزنامة او ملفات سابقة استمرت طوال عقد ونصف عقد من الزمن بلا توقف. تباعاً على مرّ التسعينات بنى 15 قصراً بلدياً في القضاء، وقدّم منحاً مدرسية تجاوزت 35 ألفاً، وشق طرقاً من بينها ربط القبيات ببلدته بينو الميا انشأ فيها محمية طبيعية وبحيرة اصطناعية، ناهيك بمساعدات اجتماعية. قدّم ارض جامعة البلمند الارثوذكسية وبنى منشاتها. دعم الابرشيات وحمل معظم الجامعات العاملة في لبنان اسمه على قاعة او مبنى. اذاك اقترن في الرجل الدور السياسي المتأخر بالدور الانمائي المبكّر.

لانه مائل رفيق الحريري في امتلاك ثروة ضخمة ومصالح تجارية موزّعة في اصقاع الارض، مثله يتمتع بعلاقات اقليمية ودولية وطيدة جعلته صديق انظمة وزعماء كبار، نُظر الى وجوده في المنصب الجديد على انه الكابح المفترض لرئيس الحكومة. تارة بفك

تقرير

لا حكومة قبل العيد ولقاء قريب بين عون والحريري

داود رمال

للمرة الأولى منذ تكليف سعد الحريري تشكيل حكومة ما بعد الانتخابات النيابية، يشعر المعنيون بالملف الحكومي أن عجلة الاتصالات السياسية تحركت، ولو وفق إيقاع عادي جداً حتى الآن، بعدما طالت الفترة الانتظارية (15 يوماً)، ما استوجب مطالبة رئاسة الجمهورية المعنيين بتسريع وتيرة المشاورات، فضلاً عن التذكير بأن مهلة يمكن أن يرتد سلباً على صورة العهد والزخم السياسي الذي رافق صدور نتائج الانتخابات النيابية.

وفي موازاة التحفيز الرئاسي، تحركت الاتصالات خلال الساعات الثماني والأربعين الماضية، على أكثر من خط، وكان محورها الوزراء جبران باسيل (مكلفاً من عون)، غطاس خوري (مكلفاً من الحريري) وعلي حسن خليل (مكلفاً من عين التينة) وملحم رياشي (مكلفاً من معراب) والنائب وائل أبو فاعور (مكلفاً من وليد جنبلاط)، وتمحورت حول موضوع الحكومة العتيدة.

> بعد الآن تتراخى: تسريع مشاورات التأليف الحكومي

هذه المشاورات واكبها رئيس الجمهورية من خلال لقاءات عقدها في الساعات الأخيرة مع كل من باسيل وخوري ورياشي، وينتظر أن يتوّجها بلقاء الرئيس المكلف قريباً، على أن يستمر التشجيع الرئاسي «بوجوب عدم التراخي والمضي سريعاً الى إنجاز مسودة أولية».

ما تبلور حتى الآن يشي بأن الحريري لا يملك تصوراً متكاملاً يمكنه أن يحمله إلى بعبدا قريباً، انما هناك عناوين، وما صار محسوماً هو الآتي:

أولاً، العدد، أي إن الحكومة ستكون موسعة من ثلاثين وزيراً وليس من 24 أو 32 وزيراً.

ثانياً، أن تكون موسعة، لا يعني أنها ستضم كل الاطراف، خصوصاً إذا اعتمد التوجه القائل بأن الكتلة التي تضم 4 نواب وما فوق تنال وزيراً وما دون، ذلك ليس بالضرورة أن تتمثل في الحكومة، وهذا يقود تلقائياً إلى استبعاد تمثيل الكتائب حكومياً، على سبيل المثال لا الحصر.

ثالثاً، لا عقدة شيعية في الوزارة، بعدما توافق حزب الله وحركة أمل على توزيع المقاعد الستة مناصفة، فضلاً عن بقاء وزارة المال من حصة الرئيس نبيه بري. لا ينفي ذلك أن العقد الأخرى (المسيحية والدرزية والسنية) ما زالت قائمة.

رابعاً، أن تكون ثلاثينية، لا يعني استبعاد الأقليات (تحديداً السريان).

خامساً، لا تعديل في توزيع الحقائب السيادية الأربع وفق الصيغة المعمول بها في حكومة تصريف الأعمال.

سادساً، لا حكومة قبل عيد الفطر.

ثمة شهية مفتوحة، وهي مالوفة مع كل حكومة جديدة، ومن هنا، تتبدى الدعوة الرئاسية إلى التواضع. مثلاً حزب القوات اللبنانية يطالب بخمسة وزراء، بينهم نائب رئيس الحكومة. الحزب التقدمي الاشتراكي يريد حصر التمثيل الدرزي بكتلة اللقاء الديمقراطي (ثلاثة وزراء). التكتل الوطني برئاسة الوزير سليمان فرنجية يطالب بوزيرين.

«لذلك، تحتاج الامور الى خفض سقف المطالب والتعامل بواقعية مع ملف التشكيل وعدم التعنّت بما يؤدي الى تأخير ولادة الحكومة».

ماذا عن موقف رئيس الجمهورية؟

ينقل زواره عنه أنه «لن يقول كلمته حتى يعرف على ماذا سترسو المفاوضات، وماذا سيعرض عليه الرئيس المكلف».

وكما أن صدور مرسوم قبول استقالة الحكومة الحالية ومرسوم تكليف رئيس الحكومة محكوم بتوقيع منفرد لرئيس الجمهورية على المرسومين، فإن مرسوم تأليف الحكومة الجديدة بعد اطلاع رئيس مجلس النواب على النتائج النهائية، سيكون محكوماً بتوقيعين من رئيسي الجمهورية والحكومة، «وهذه اللحظة، نأمل ألا تطول كثيراً».

ما تسمعه القيادات الرسمية من موفدين وسفراء عرب وأجانب هو التشجيع على الإسراع في تشكيل الحكومة، لكي يكون لبنان عبر سلطته التنفيذية أكثر حضوراً في مواجهة ملفات حيوية وجوهرية، وأكثر مناعة في مواجهة تحديات وتحولات إقليمية. «لم نسمع إشارات سلبية ظاهرياً، أما إذا كانت هناك أشياء أو أجندات مخفاة، تدفع باتجاه تصعيب التأليف، فنحن حتماً لا نضرب بالرمل»، على حدّ تعبير مصدر معني.

(مروان طحطح)

تقرير

الحريري يستعجل مؤتمر «التيار» ويستعين بـ«خبير إداري»!

بصرف النظر عن حملة الإقالات التي قام بها الرئيس سعد الحريري في تياره، غداة الانتخابات النيابية الأخيرة، وما إذا كانت فعّالة أم ناقصة، في مكانها أم أنها لزوم ما لا يلزم، نتائجها سريعة أم بطيئة، من المؤكّد أن تيار المستقبل يشهد اليوم مرحلة إعادة توزيع لمراكز القوى والأدوار والنفوذ. سيكون لها أثرٌ في بنية التيار مستقبلاً، سلباً أم إيجاباً

ميسم رزق

عندما انتهت الانتخابات النيابية إلى ما انتهت إليه، اعترف رئيس تيار المستقبل سعد الحريري بوجود مشكلة. ردّ تراجع شعبية تياره إلى غياب العمل الجدّي والافتقاد للتنسيق واستهتار الماكينات الانتخابية وتحوّل التيار إلى دكاكين «كل وحدي منها فاتحة على حسابها».

ومع أن المشكلة التي تحدّث عنها الحريري ترتبط بمدى جاذبية التيار السياسية وخياراته الترشيحية ومشكلاته المالية، فضلاً عن تحول الانتخابات إلى حروب تصفية حسابات شخصية، لم تُستكمل الخطوة الأولى (الصادمة بالمعنى الإيجابي)، بخطوات لاحقة كان يأملها جمهوره الحزبي. تدريجاً، تسللت الأسئلة حول ما إذا كان الإجراء الذي اتخذه الحريري، مجرّد فورة عابرة، قبل أن يفاجئ المكتب السياسي للتيار بطلب صلاحيات استثنائية، لمدة ستة أشهر لاتخاذ الإجراءات والقرارات التنظيمية الملائمة، بما فيها تشكيل لجان موقّتة في الهيئات والمنسقيات المنحلة، وتعيين أو تجميد أو إعادة تشكيل كافة الهيئات التنظيمية والتنفيذية في التيار.

المرجّح أن يشمل التغيير الأمانة العامة، لكن بصورة تحفظ ماء وجه أحمد الحريري (هيثم الموسوي)

ما هي الخطوات التي قام بها الحريري خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة؟

أول من أمس، عُقد المكتب السياسي، استثنائياً، برئاسة الحريري، ومن أبرز القرارات المتخذة، عقد مؤتمر عام استثنائي للتيار خلال عام. ماذا يعني هذا القرار؟ «يعني احتمال تغيير الأمانة العامة والمكتب السياسي وإعادة هيكلة المنسقيات وإعادة انتخاب أعضائها»، بحسب أحد القياديين في التيار الأزرق.

الجدير بالذكر أن النظام الداخلي للتيار ينصّ على عقد المؤتمر العام كل أربع سنوات، وهو كان عقد في أواخر عام 2016، ولذلك، يصبح المؤتمر الاستثنائي محطة سياسية وتنظيمية، للمراجعة أولاً، ولاستخلاص العبر ثانياً، واتخاذ قرارات وتوجهات جديدة ثالثاً. ولذلك، يقول القيادي نفسه إنه ليس مستبعداً أن يعيد المؤتمر صياغة النظام الداخلي والهرمية التنظيمية، بما فيها التقسيمات الإدارية للمنسقيات، من أجل أن يكون التيار أكثر فاعلية وشباباً وحيوية.

هل ستطاول المحاسبة الأمين العام الحالي للتيار أحمد الحريري؟

> عبد الرحمن النقري خبير إداري وتجاري ولا علاقة له بالسياسة أو التنظيم

يقول مستقبليون إن نتائج انتخابات المؤتمر المقبل «ستشكّل وحدها الجواب على هذا السؤال، لا سيما أن ما يدور في رأس سعد الحريري بات محصوراً به، ولا يعرف به أحد غيره، ولا حتى من باب التشاور». لكن قراره في الذهاب الى مؤتمر استثنائي يعني أن كل التدابير المكملة للإقالات التي أعقبت الانتخابات «واردة وتعود له وحده، لكن المرجّح أن يشمل التغيير الأمانة العامة بالدرجة الأولى، لكن هذه المرة بصورة لائقة تحفظ ماء وجه أحمد الحريري وليس على طريقة قبول استقالة شقيقه نادر المدير السابق لمكتب سعد الحريري».

الأمر المفاجئ وربما المستغرب في آن واحد، هو إتيان الحريري بخبير لبناني لإعادة هيكلة تيار المستقبل، يُدعى عبد الرحمن النقري (خبير إداري وهو في الوقت نفسه من أصدقاء الأمين العام أحمد الحريري).

واستغربت مصادر في التيار أن يكلف خبير إداري لبناني بمهمة سياسية - تنظيمية كهذه، بينما لا أحد يعرفه أو يعرف سيرته، سواء في التيار أو خارجه، «فكل ما نعرفه عنه أنه كان أستاذ مدرسة ثم سافر إلى إحدى دول الخليج وعمل هناك مع إحدى شركات الأحذية الرياضية المعروفة عالمياً، وبالتالي، هو إداري وتجاري ناجح، لكن بلا خبرة تنظيمية أو سياسية».

تقرير

روبير غانم خارج البرلمان: قرفان

غادة حلاوي

للمرة الأولى منذ استحداث المقعد الماروني في البقاع الغربي، في عام 1992، يحتلّه شخص غير روبير غانم (76 سنة). الأدق أن غانم خَرَجَ منه لمدة عام، عندما شغله هنري شديد في عام 1996، قبل أن تبطل نيابته لاحقاً، بخلاف زملائه ممن ترشحوا ولم يحالفهم الحظ، لم يعاند غانم قواعد اللعبة، فقرر عدم الترشح «ليس خوفاً» من قانون الانتخاب، بدليل أن هنري شديد فاز بنتيجة 1500 صوت «كنت نلتها في ضيعتي وحدها»، و«لا زعل بيني وبين تيار المستقبل»، وإنما على قاعدة «أنك حين تشعر نفسك غير قادر على تقديم شيء لبلدك، عليك أن تنسحب بهدوء».

الانسحاب الهادئ ليس قراراً طارئاً. قبل عام ونصف تقريباً «أبلغت الرئيس سعد الحريري بالأمر، وقبيل موعد الانتخابات، اتصل بي رئيس مجلس النواب نبيه بري طالباً مني الترشح وقال لي مقعدك محفوظ ولكنني رفضت». السبب الوحيد للانسحاب هو القرف. «فالناس تضع كل الطبقة السياسية في المنزلة ذاتها ويعتبرونها فاسدة وحرامية وهذا غير صحيح ما يعني أننا نتحمل أموراً لا علاقة لنا بها».

لا يزعجه أن يكون هنري شديد هو الفائز بالمقعد «لأنني أيدت ترشيحه دخوله العالم السياسي في عام 1992، والتي تقول إن الاستخبارات السورية استحدثت المقعد لأجله بفعل صداقاته مع رجال أعمال سوريين. يقدّم قصة مغايرة: «كنت محامياً ووكيلاً لمجموعة رجال أعمال عرب وسوريين كانوا يترددون على لبنان باستمرار، إلى حين طوني فرنجية في عام 1978، حيث تعذّر عليهم المجيء. انتقلت إلى فرنسا بناء لدعوة صديقي جوزف خوري لمتابعة عملي هناك، وفي عام 1992، زاد عدد النواب في المجلس النيابي ليخصص مقعد للموارنة في البقاع الغربي. تلقيت اتصالاً من صديقي ريمون روفايل (مدير عام الأمن العام آنذاك، وثمة صلة قرابة بين الاثنين) يبلغني فيه رسالة من الرئيس الياس الهراوي بأن المقعد لوالدي (قائد الجيش السابق العماد إسكندر غانم) وبيسالي الترشح عنه كي لا يضيع. بإصرار منه، انتقلت إلى بيروت وأعلنت ترشيحي وبدأت مشواري النيابي».

مشوار استمر على مدى خمس دورات نيابية. 26 عاماً من العمل النيابي تختصر بعضها سلسلة لوحات موزعة على جدران مكتبه في الحازمية، وبينها الصورة التذكارية للحكومة يوم عيّن وزيراً للتربية. ذكريات يفاخر غانم بها، وهو الذي يسجل له مواظبته على العمل التشريعي وحضور الجلسات النيابية (اللجان والهيئة العامة) من دون انقطاع. مرتاح لدوره التشريعي. يستل ورقة دوّن عليها بخط يده مشاريع القوانين التي تقدم بها إلى مجلس النواب ليبدأ العد: قانون اللامركزية الإدارية، قانون التجارة، المحاكم المدنية، قانون المطبوعات، تعديل أصول المحاكمات الجزائية، تعديل السنة السجنية وصولاً إلى كتاب العدل. اللائحة تطول وفيها مشاريع أقرّت وأخرى لم تقرّ مثل قانون القضاء العدلي واستقلالية القضاء الذي سحبه وزير العدل سليم جريصاتي لدرسه ولم يبت به «لأظاهر ما بدهم». وماذا عن الدور الرقابي للنائب؟ يجيب: «من نراقب؟ حين تكون الحكومة عبارة عن مجلس نيابي مصغر فمن يستجوب من؟ الشكوى هنا ترتبط بالنظام السياسي الذي يلزمه تغيير جذري لا تسمح الظروف بحصوله».

> أيدت ترشيح هنري شديد قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات وقد تبلّغ دعمي

لم أكن عميلاً سورياً

الصديق المقرّب للسوريين تحول بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري وخروج السوريين من لبنان إلى نائب في صفوف قوى الرابع عشر من آذار. فصل من حياته يضعه في خانة «الاستقلالية» ويضعه آخرون في خانة «التقلب السياسي» أو «نقل البارودة من كتف إلى كتف. «طولي بالك علبي» يقول بعد تغيّر نبرة صوته، ويضيف: «لم أكن مع السوريين عميلاً مثل غيري، ولم أعدّ التقارير مثل غيري. نسجت علاقات طبيعية مع السوريين وهم كانوا يكنون لي الاحترام أكثر من كل النواب الذين كانوا معهم لأنني لم أطلب شيئاً لنفسي وكنت قادراً على الطلب».

هل يزعجك القول إنك كنت مع السوري أو جزءاً من التركيبة السورية؟ «لا. فأنا أتحدى من يقول إني قمت بأي عمل ضد أي طرف لبناني. بل بالعكس وخلافاً لمهري المستقبل، يُدعى عبد الرحمن النقري (خبير إداري وهو في الوقت نفسه من أصدقاء الأمين العام أحمد الحريري).

واستغربت مصادر في التيار أن يكلف خبير إداري لبناني بمهمة سياسية - تنظيمية كهذه، بينما لا أحد يعرفه أو يعرف سيرته، سواء في التيار أو خارجه، «فكل ما نعرفه عنه أنه كان أستاذ مدرسة ثم سافر إلى إحدى دول الخليج وعمل هناك مع إحدى شركات الأحذية الرياضية المعروفة عالمياً، وبالتالي، هو إداري وتجاري ناجح، لكن بلا خبرة تنظيمية أو سياسية».

زفرة ماو الأخيرة: عن الثورة الثقافية في الصّين [1]

عامر محسن

«لتغيير الإنسان بأعمق ما فيه»

من شعارات الثورة الثقافية

«خلال الثورة الثقافيّة، تمكّن ماو تسي - تونغ ومؤيدوه، عبر تحريك حشودٍ هائلة من الناس، من التصدّي لموجة ردّةٍ رأسماليّةٍ عظيمة. ستتبعها موجاتٌ أخرى من دون شكّ. ستستغرق المسالة عقوداً، بل ربما قرناً أو قرنين، قبل أن تتمكّن الطبقة العاملة من بناء الاشتراكية في بلدٍ واحدٍ، وبشكلٍ متين الى درجة أن لا يعود تحدّيها ممكناً بعد ذلك. في الحقيقة، فإنّ هذا لن يحصل على الأرجح قبل أن تتأسّس الاشتراكية على المستوى الكوني»

وليام هنتون

حين نشر آلان بادیو كتابه «الفرضية الشيوعيّة»، وفيه إحالات عديدة الى «الثورة الثقافية» في الصين الماويّة، ودعوات للاستيحاء منها في العمل السياسي المعاصر، ردّ عليه محرّر «ليبراسيون» (الـ«يسارية») لوران جوفرين بنقدٍ عنيف، يذكّره فيه بالآلاف الذين قضوا خلال سنوات «الثورة» (بين 1966 و1977). ويتّهمه بأنّه «ديناصورٌ متحجّر». ردّ عليه بادیو بنصٍّ عنوانه «من العتيق آلان بادیو الى الجذّاب المدهش لوران جوفرين»، جوهره أنّ جوفرين ومن مثله ليس جاهلاً فحسب، بل هو يريد تجهيل الناس. الثورة الثقافية كانت أهمّ حدث سياسي في العقود الأخيرة، وحرّكت عشرات (أو مئات) الملايين من الناس في نشاطٍ وصدام وصراع، وهي تكتنف الكثير من معضلات عصرنا وأمثولاته، ولكنّ جوفرين وأشباهه، بحسب بادیو، لا يحتاجون الى معرفة أيّ شيء عمّا جرى. يكفي أن يرفعوا لافتة عليها «أرقام ضحايا» (من دون أن يعرف أو يقول شيئاً حقيقياً عن هوية هؤلاء الضحايا أو كيف ماتوا وفي أي ظروف) ثم يصرخون عن «التوتاليتارية الشيوعيّة» ويقفلون الموضوع وقد ضمنوا بأنّ النّاس، مثلهم، ستظلّ جاهلةً وترتدع عن التشكيك في هذه السرديّة.

يذكّر بادیو خصمه بأنّ الحرب العالمية الأولى، مثلاً، قتلت في فرنسا أناساً أكثر بكثير، بأضعافٍ مضاعفة، من عدد ضحايا الثورة الثقافية وصداماتها (من دون أن نأخذ في الاعتبار أن عدد سكان الصين أكبر بعشرين مرة من سكّان فرنسا). هذه الحرب، يضيف الفيلسوف الفرنسي، خاضتها حكوماتٌ أكثرها ديموقراطية ليبرالية، فيها مجالس تمثيلية وضمانات للحريات والعمال، وبعضها فيه أحزابٌ تقدمية قويّة. وهي كانت حرباً بلا هدفٍ من أيّ نوع ولا يمكن أن تخرج منها بأي أمثولة. ملايين الشباب تمّ تحريكهم لأجل الموت من دون سببٍ أو نتيجة، وهذه ليست إلّا حرباً واحدة من بين عدّة حروب خاضتها هذه الدول الديموقراطية في أوروبا وخارجها. ملايين الأجساد الشابة تمّ تمزيقها على الجبهات، ولا يمكنك أن تتعلّم شيئاً واحداً من كلّ هذا الموت أو تعطيه تبريراً. ومع ذلك، لا أحد يرفع لافتة بأعداد الضحايا حتى يشتكي من «التوتاليتارية الديموقراطية». وهم بالطبع لا يفعلون ذلك مع الثورة الفرنسية (التي سببت حروباً وأدت الى مقتل مئات الآلاف وأعدمت شعراء ومبدعين) وهذا ببساطة ـ يقول بادیو ـ لأنّ جوفرين يعرف شيئاً ما عن سياق الثورة الفرنسية، على عكس الصين، وكيف حدث ما حدث.

الحركة الشيوعيّة (والماويّة خاصّة) هي الطّور الأخير من «الثورة» في عالمنا، وآخر من رفع شعار الاشتراكية بين الناس في عصر الحداثة؛ وهي التجربة الأقرب إلينا زمنيّاً، وفي صعودها وفشلها وإشكالياتها أمثولات ـ يقول بادیو ـ أكثر راهنيّةً وأهم بكثير من أيّ شيءٍ يمكن أن تتعلّمه من الثورة الفرنسيّة، أو من النموذج الليبرالي الذي، بحسب بادیو، استنفد نفسه فلسفياً منذ أواسط القرن التاسع عشر. إن كان هذا الصنف من «المعرفة» ضرورياً، في عرف المثقف الباريسي، للحركات السياسية في الغرب، فإنّه في بلادنا (حيث تحقّق، على الأرض، أسوأ ما يحذّر منه بادیو في كتاباته عن عالمٍ مستقبلي تهيمن فيه الرأسمالية ويموت المجتمع ويسودّ الأفق بحروبٍ لا تنتهي) هو فرضٌ إجباريّ.

ان تقرا المرحلة

يبدأ السؤال من هنا: ما الذي دفع ماو أصلاً الى هذه المقامرة؟ بعد أن تحرّر البلد وتنتصر، وتُنشئ دولة حزبية مهيمنة وتحوز استقراراً وتبدأ بالبناء؛ لماذا تخاطر بهذا كلّه حتى تطلق «ثورة من داخل النظام الاشتراكي». تهزّه وتدخله في المجهول وتهدّده بأكمله؟ ما الذي رآه ماو في سنواته الأخيرة، وأصابه بذعرٍ الى درجة أن يتوجّه الى النّاس مباشرةً، وأن يضع كلّ شيءٍ على المحكّ ويطلب منها أن تثور على طريقتها، وأن تستردّ بلدها قبل أن يضيع؟

المشكلة هي أنّ في وسعك أن تقرأ مرحلةً الثورة الثقافية بأكثر من طريقة، وهي لن تكون خاطئة بالضرورة. من الممكن أن تصوّر الثورة الثقافية، ببساطة، على أنها كانت صراعاً على السّلطة داخل الدولة، بين المجموعة الماوية («عصابة الأربعة»، وعلى رأسهم زوجة ماو، جيانغ كينغ) من جهة، والجناح الحزبي الحاكم (يقوده ليو شاوكي ودينغ شياوبينغ)، والاثنان يحرّكان، من مقرّهما، قواعد شعبية وحزبية تتصادم، وهذا لن يكون خطأً بالكامل. من الممكن أن تسرد الثورة الثقافية على أنّها كانت محاولة رومانسية فاشلة للانقلاب على الحزب من خارجه، وتطهيره وإقصاء أعداء ماو، وهذا ليس توصيفاً خاطئاً أيضاً. والبعض يرى تلك المرحلة على أنها فترة اضطرابٍ وقلاقل فحسب، وهذا ليس بعيداً عن الصّواب. فـ«الثورة الثقافية البروليتارية العظمى»، كما يشرح وليام هِنتون، كانت كلّ هذه الأمور وأكثر (هِنتون خبير في الاقتصاد الريفي، وقد عاش في الريف الصيني لسنواتٍ طويلة، خلال «الثورة الثقافية» وبعدها، وتقلّب موقفه من تأييدها في بداياتها الى معارضتها ونصرة فريق دِنغ، ثمّ الدفاع عنها مجدّداً بعدما تسلم جناح دِنغ الحكم وأطلق «الإصلاحات»)، بل إنّ آلان بادیو في نصّ محاضرةٍ عن الثورة الثقافية من عام 2005، ألقاها في «نادي كتّاب باريس» (واستعاد الكثير من أفكارها في كتابه اللاحق «الفرضية الشيوعية») يذهب الى ما هو أبعد من ذلك (على الهامش: الشكر لعلي القادري الذي زوّدني بنصوص وتوصيات حول الموضوع).

يقول بادیو إنّ الرّواية «الرسمية» عن تلك الحقبة، التي تقرأها في الأكاديميا الغربية المعادية للشيوعية وأيضاً في نصوص النخبة الصينية التي حكمت البلد بعد الانتصار على اليسار الماوي، تروي الأحداث على الشكل الآتي: شعر ماو، بعدما وجد جناحه وقد أصبح أقلويّاً ضمن المجموعة الحاكمة، بأنّ الأمور تفلت من يديه لمصلحة ليو ودِنغ، وهو ما تعمّق بعد الفشل الذريع لسياساته الريفية ومشروع «القفزة الكبرى الى الأمام». فقام باستحضار «الجماهير» من خارج البنية الحزبية، ومن خارج نظام الدولة وتراتبيتها وقوانينها، لضرب التيّار المعارض. أوصلت هذه الدعوة الى مرحلة من الفوضى والمصادمات والتطرّف اليساري واليميني وضعت البلد على شفير حربٍ أهليّة، وأضاعت سنوات من التنمية والبناء، ولم تعد «العقلانية» حتّى موت ماو عام 1976 ـ الذي تلاه مباشرة اعتقال «عصابة الأربعة» وعودة القيادة الحزبية الى توجيه البلد منفردةً ومن غير تحدٍّ، ومن ثمّ أطلقت مرحلة «الإصلاحات» والانفتاح وعودة النمو الاقتصادي.

سلسلة الأحداث هذه، كما يكتب بادیو، ليست «خطأ» بالمعنى التوصيفي البحت، ولكن قراءتها وفق سرديّة المنتصر تخفي عنك عنصرين مهمّين: السّبب البنيوي الذي أطلق ماو، من أجله، دوّامة الأحداث، وفكرة أنه بين البداية والنهاية وفشل الثورة وضرب الحرس الأحمر حصلت «ثورة» حقيقيّة في الصين، شاركت فيها فئات شعبيّةٌ ومتنوّعة وبأعدادٍ هائلة، وخرجت منها أشكالٌ حديثةٌ مختلفة من التنظيم. وانطلاقاً من هذين السؤالين، سنقوم باستجواب هذا الحدث.

لماذا الثورة؟

الإجابة السهلة والمختصرة هي أنّ ماو حكم بأنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني غلب عليها «أصحاب الطريق الرأسمالي»، وأنّ ما حصل للنخبة السوفياتية مع خروتشيف يوشك أن يتكرّر في الصين. فهم ماو أيضاً أنّ هؤلاء، الذين يمسكون بالحزب والدولة والاقتصاد، يملكون الأغلبية بين الكوادر، ولن يكون ممكناً أن يجري الإصلاح من داخل بورجوازية الحزب نفسها. لو تسلم هؤلاء الدولة، انتبه ماو، فلن يكون هناك ما يوقفهم، فهم يحكمون باسم الطبقة العاملة، والطبقة العاملة يمثّلها الحزب، والحزب يترأسه، شيئاً فشيئاً، كوادر «يمينيّون» يشبهون الكثير من أفكارها في كتابه اللاحق «الفرضية الشيوعية» يذهب الى ما هو أبعد من ذلك (على الهامش: الشكر لعلي القادري الذي زوّدني بنصوص وتوصيات حول الموضوع).

يقول بادیو إنّ الرّواية «الرسمية» عن تلك الحقبة، التي تقرأها في الأكاديميا الغربية المعادية للشيوعية وأيضاً في نصوص النخبة الصينية التي حكمت البلد بعد الانتصار على اليسار الماوي، تروي الأحداث على الشكل الآتي: شعر ماو، بعدما وجد جناحه وقد أصبح أقلويّاً ضمن المجموعة الحاكمة، بأنّ الأمور تفلت من يديه لمصلحة ليو ودِنغ، وهو ما تعمّق بعد الفشل الذريع لسياساته الريفية ومشروع «القفزة الكبرى الى الأمام». فقام باستحضار «الجماهير» من خارج البنية الحزبية، ومن خارج نظام الدولة وتراتبيتها وقوانينها، لضرب التيّار المعارض. أوصلت هذه الدعوة الى مرحلة من الفوضى والمصادمات والتطرّف اليساري واليميني وضعت البلد على شفير حربٍ أهليّة، وأضاعت سنوات من التنمية والبناء، ولم تعد «العقلانية» حتّى موت ماو عام 1976 ـ الذي تلاه مباشرة اعتقال «عصابة الأربعة» وعودة القيادة الحزبية الى توجيه البلد منفردةً ومن غير تحدٍّ، ومن ثمّ أطلقت مرحلة «الإصلاحات» والانفتاح وعودة النمو الاقتصادي.

سلسلة الأحداث هذه، كما يكتب بادیو، ليست «خطأ» بالمعنى التوصيفي البحت، ولكن قراءتها وفق سرديّة المنتصر تخفي عنك عنصرين مهمّين: السّبب البنيوي الذي أطلق ماو، من أجله، دوّامة الأحداث، وفكرة أنه بين البداية والنهاية وفشل الثورة وضرب الحرس الأحمر حصلت «ثورة» حقيقيّة في الصين، شاركت فيها فئات شعبيّةٌ ومتنوّعة وبأعدادٍ هائلة، وخرجت منها أشكالٌ حديثةٌ مختلفة من التنظيم. وانطلاقاً من هذين السؤالين، سنقوم باستجواب هذا الحدث.

لماذا الثورة؟

الإجابة السهلة والمختصرة هي أنّ ماو حكم بأنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني غلب عليها «أصحاب الطريق الرأسمالي»، وأنّ ما حصل للنخبة السوفياتية مع خروتشيف يوشك أن يتكرّر في الصين. فهم ماو أيضاً أنّ هؤلاء، الذين يمسكون بالحزب والدولة والاقتصاد، يملكون الأغلبية بين الكوادر، ولن يكون ممكناً أن يجري الإصلاح من داخل بورجوازية الحزب نفسها. لو تسلم هؤلاء الدولة، انتبه ماو، فلن يكون هناك ما يوقفهم، فهم يحكمون باسم الطبقة العاملة، والطبقة العاملة يمثّلها الحزب، والحزب يترأسه، شيئاً فشيئاً، كوادر «يمينيّون» يشبهون الكنكوردات الصينيين ـ بآنّ الاشتراكية الى هزيمة على مستوى العالم وأن الرأسمالية ستنتصر، ويحاولون التقرّب من الحلف الغربي وفتح علاقاتٍ معه. هذه «الرِدّة»، التي لم يكن هناك من صادٍّ لها، هي الجذر الحقيقي لأكبر هزائمنا ولتفكيك بلادنا وتدميرها منذ ذلك الزمن، وإغلاق كوّة الأمل أمام الشعوب والفقراء على هذه الأرض.

كما في الصّين أيام الثورة الثقافية وما بعدها، هناك في بلادنا «أصحاب طريق رأسمالي»، وطبقة تكنوقراط طفيلية، وأرستقراطية وأحفادها، وهؤلاء جميعاً يتوافقون على كراهية من رفع راية الاشتراكية في وجههم يوماً ولا يكلّون عن تعميق قبرها، حتى بعد عقودٍ على فشلها واندثارها. لا حقد في العالم يشبه الحقد الذي يحمله النخبوي على من «سرق» منه، أو من جدّه، أملاكه وامتيازاته. السياسة السودانية والأوليغارشيا في البلد ظلّت ـ لعقودٍ ـ مسكونةً بهاجس عودة الشيوعيين لأنهم وصلوا يوماً الى الحكم وخلقوا عندهم «صدمة» وردّة فعل عنيفة ضدّ اليسار. الكراهية المرضية التي تكنّها النخب المصريّة لعبد الناصر وما يمثّله، والتي لا تموت أو تخفت مع الزمن، ولا تجد مثيلاً لها تجاه السادات الذي أذلّ مصر وأفلسها، أو حتّى حاكم مصر الحالي. أبناء الأرستقراطية السورية والإقطاع الذين تحولوا فجأةً الى «ثوريين». هؤلاء كلّهم لا يكفيهم نكوص التجربة وفشلها، بل هم سيلاحقونها ـ برموزها وذكراها، وأطيافها التي تخيفهم ـ حتّى آخر رمق، وسيفعلون المستحيل لكي يمنعوا إمكانية بعثها من جديد. هنا في بلادنا، لمن يسخر من الثورة الثقافية، أنت لا تواجه ليو ودِنغ، بل أحفادهم الفاسدين، الذين أصبحوا أكثر ثراءً وفوقيّة وشراسة، ولن تكفينا اليوم ـ إن أردنا القيامة من حالتنا ـ «ثورةٌ ثقافيّة» على منهج ماو، ناهيك عن «ثورة بورجوازيّة» على الطريقة الغربية، بل سنحتاج الى ما هو أشدّ وأعنف بكثير.

في الفرص والحياة بين الرجل والمرأة، أو بين الريف والمدينة، أو بين العامل «الذهني» والعامل اليدوي، وبين من هم قريبون من السّلطة ورجالها ومن هم بعيدون عنها، الخ...

هذه التمايزات المستمرّة، مهما كانت صغيرة أو نسبيّة، يضيف هِنتون، ستتكوّن في «عقدٍ» للمصالح داخل المجتمع وتتحوّل الى حوافز لتشجّع الحسد والفرديّة والانتهازيّة. فالجميع سيفضّل أن يكون على الجانب الرابح من الأمور؛ ونظام الامتيازات هذا سوف يتكتّل في نهاية الأمر ضمن «طبقة»، ولو كانت كوادر في الحزب الشيوعي الحاكم. لهذا، أنت تحتاج الى «ثورة»، والثورة لا يمكن أن تكون من داخل الحزب وكوادره ومؤسساته. البديل من الثورة وتصحيح المسار هو أن يرجع المجتمع الى قسمةٍ تشبه ما كان عليه قبل «النّصر» عام 1949: طبقة عاملة، هي فعلياً حشود الناس الذين لا يملكون هذه الامتيازات، وبورجوازية تسيطر على الدولة والحزب باسم تمثيل الطبقة العاملة. يشبّه هِنتون هذه الحالة بالعلاقة بين الأرستقراطية البائدة والفلاحين، فـ«مأزق الاستغلال»: الفلاحون لا يحتاجون الى الأرستقراطية، ولكنها تحتاج الى عملهم؛ والطبقة العاملة الصينية اليوم، أيضاً، لا تحتاج الى البورجوازية الحزبية، ولكن الأخيرة تحتاج الى عمل الطبقة العاملة وكدّها، واستغلال فائض إنتاجها، من أجل تنفيذ طموحاتها (وحتى تكون هذه الطبقة موجودة أصلاً).

«الطريق الرأسمالي» واهله

يجب أن نتذكّر هنا أنّ المقياس الأساسي لنجاح أي «ثورة» هو في تأسيس العدالة، وليس في رفع مستوى الإنتاج أو أرقام النموّ، وهذا ما يجب أن يكون المعيار الأساسي لتطوّر الأمور. التسابق على النموّ والإنتاج، بالمناسبة، أصبح هدفاً «طارئاً» ومركزياً لأي دولة أو حركة (سواء كانت ثورية أو يمينية) لأسباب الحرب والتنافس العسكريّ فحسب؛ وهذا يشبه الإشكالية التي وجد قادة الصين أنفسهم أمامها في أواسط الستينيات: أنت في الصين تحتاج الى السلاح الحديث والتكنولوجيا حتى تصدّ السوفيات والأميركيين، و«الطريق الرأسمالي» هنا، وفي سياق تاريخي بدأت الحركة الشيوعية فيه بالذبول، واكتسحت النظرية الليبرالية النخب من واشنطن الى موسكو، فإن «الطريق الرأسمالي» يبدو بديهياً بالنسبة الى القادة الحزبيين في بيجينغ.

مشكلة ماو مع «الطريق الرأسمالي» ليست أنه غير عادلٍ أو يقوم على الاستغلال فحسب، بل لأنّ ماو كان يؤمن بعمقٍ بأنّ دولاً مثل الصّين لن يكون «الطريق الرأسمالي» متاحاً لها، وأنّ «البرلة» البلاد لن توصل الى استنساخ التجربة الأوروبية في التنمية البورجوازية والديموقراطية، بل ستضع الصين تحت رحمة الشركات الرأسمالية والسوق الخارجي، ولن تلبث التجربة بأكملها أن تنهار. لماذا لا يكون «الطريق الرأسمالي» متاحاً أمام الصين؟ هذا مما سنناقشه في المقال القادم؛ ولكن يكفي أن نذكّر هنا بأنّ الرِدّة التي تنبّأ بها ماو، وحاول منعها في بلاده، قد جرت علينا واكتسحت نُخبنا منذ زمنٍ بعيد. دعك من الحكومات التّابعة، بحلول السبعينيات، وفي أغلب الأنظمة العربيّة «الثورية» (أي مصر وسوريا والعراق)، كانت السلطة قد سقطت بشكلٍ محكم في أيدي نخبٍ تشبه تماماً مثال ماو عن «أصحاب الطريق الرأسمالي»: ليبراليون اقتصادياً ومع الإصلاح والانفتاح بدلاً من هدف بناء الاشتراكية، مقتنعون ـ على عكس جيل الخمسينيات ـ بآنّ الاشتراكية الى هزيمة على مستوى العالم وأن الرأسمالية ستنتصر، ويحاولون التقرّب من الحلف الغربي وفتح علاقاتٍ معه. هذه «الرِدّة»، التي لم يكن هناك من صادٍّ لها، هي الجذر الحقيقي لأكبر هزائمنا ولتفكيك بلادنا وتدميرها منذ ذلك الزمن، وإغلاق كوّة الأمل أمام الشعوب والفقراء على هذه الأرض.

(يتبع)

على الغلاف

غسان حاصباني: إبداعات الوزير المعجزة

«نظافة الكف» هي الاسطورة التي نُسجت حول وزراء حزب القوات، لتمييزهم عن زملائهم في الحكومة. هذه الأسطورة تخص وزيراً قواتياً أكثر من غيره، هو وزير الصحة غسان حاصباني. السردية القواتية جعلت من حاصباني معجزة عصره، إذ حوّل وزارته في فترة وجيزة الى «خلية إبداع» لم يسبق ان شهدها لبنان يوماً. في ما ياتي عينة صغيرة عن إبداعات وزير الصحة القواتي خلال سنة ونصف السنة من ولايته

رلى إبراهيم

للمرة الاولى في تاريخ وزراء الصحة، يأتي وزير ليخفض مخصصات المستشفيات الحكومية (مروان بوحيدر)

لم يكن قد مضى عام على تاريخ تأليف حكومة الرئيس سعد الحريري حين بادر موقع القوات اللبنانية إلى تعداد إنجازات «سوبرمان» وزارة الصحة غسان حاصباني. هذا الوزير «الاستثنائي» الذي حول الوزارة إلى «خلية إبداع». وهو على ما يبدو ما دفع بالموقع القواتي إلى الإبداع في إيهامنا أننا نعيش في بلد مختلف عن البلد الذي عيّن فيه حاصباني وزيراً. يخبرنا هؤلاء أن «الداخل إلى وزارة الصحة ما عاد يشعر بذل المرض أو الحاجة لاستعطاء معاملة طبية عاجلة، والركض في أروقة المسؤولين والسياسيين للفوز بواسطة ما ليحصل على أبسط حقوقه الوطنية والإنسانية، لنيل الموافقة على دواء ما أو إجراء عملية ما». كيف ذلك والمواطنون لا يزالون يعانون الإذلال نفسه على أبواب المستشفيات ويستعطون الدواء من مكاتب السياسيين والسماسرة؟ لا همّ، الإبداع يولد الإبداع بطبيعة الحال حتى تكاد دموع القارئ تنهمر من الفرح بمطالعة ما سطّره موقع «القوات»: «تدخل الوزارة فتعرف أنها لك، لهمومك، إنها معنية بك وحيث لا موظفين هم الأسياد ولا سياسيون هم المتحكمون بالأرواح والصحة. صارت وزارة المكنة لأجل

> **اصدر حاصباني قراراً يبيح له توزيع اعتمادات المستشفيات على هواه وبالطريقة التي يراها مناسبة**

الإنسان مع فريق عمل متفانٍ لا يهدأ، وبابتسامة الأمل دائماً يستقبل وجع الناس ويهرع لحلها قدر الإمكان ولا يسأل أحداً من وزعيمك مين، بل شو وجعك، الا يكفي كل ذلك ليكون حاصباني، وبهذه الفترة القصيرة وزيراً استثنائياً مع هذا الكم من الإنجازات؟!». وحتى لا يذهب «إبداع» حاصباني وموقع القوات سدى، أصبحت واجبة الإضاءة على هذا «الكمّ» من الإنجازات لمن يعرّفه حزبه بصاحب «الكف النظيف» والمشاريع الإنسانية الاستثنائية التي لا تنضب.

زيادة ربح الصيادلة

في الموضوع الإنساني البحت، يحل الدواء عامة في المرتبة الأولى، خصوصاً أدوية الأمراض المستعصية التي تشمل السرطان والتصلب اللويحي والاعصاب وفيروس الالتهاب الكبدي. ومن المفترض هنا أن تجهد وزارة الصحة لتأمين هذه الأدوية في شكل متواصل حفاظاً على صحة المواطنين. إلا أن الدين الذي رتبه حاصباني على الوزارة لمصلحة شركات الأدوية بلغ في عام واحد نحو 78 مليار ليرة فوق موازنة الدواء التي تبلغ قيمتها 146 مليار ليرة، ما حدا بالشركات إلى وقف إمداد الوزارة ببعض الأدوية المُلحّة كأدوية بعض الأمراض السرطانية منذ شهرين ودواء التصلب اللويحي أخيراً... أدوية يصعب على المريض العيش من دونها. ذلك في ما عدا أن حليب الأطفال الاستثنائي الذي هو الآخر بمثابة دواء ضروري للحالات الخاصة مقطوع منذ مدة. لكن معاليه يصرّ على العيش في حالة الإنكار وتلوين الأزمة الصحية في لبنان بألوان وردية.

ويبدو أن يده اليمنى لا تدري بما تفعله يده اليسرى، فمن جهة يتحدث عن السياسة السيئة للوزير السابق وائل أبو فاعور ومن جهة أخرى يعدل أسس تسعير الدواء الذي أقرها أبو فاعور والتي ساهمت بخفض كلفة أدوية باهظة الثمن والحدّ من ربح الصيادلة على حساب المواطن. فحاصباني أصدر قراراً في شباط الماضي يتيح إضافة 750 ليرة لبنانية على الأدوية التي يقل سعرها عن 23 ألف ليرة لبنانية. هذه الزيادة طبعاً تذهب مباشرة إلى جيوب الصيادلة الذين أعلنوا مراراً امتعاضهم من خفض أسعار الدواء. علماً أن الأدوية التي يقل سعرها عن 23 ألف ليرة لبنانية هي فئة الأدوية التي يبتاعها اللبناني في شكل دوري كأدوية تسكين الألم وخفض الحرارة. لا همّ، الحاصباني يبتسم لكم ويبلغكم: خفضنا سعر الأدوية. وللبنانيين أن يصدقوه ويبتسموا له عند كل إطلالة له على شاشة التلفزيون، وأن يتجاهلوا تقرير «جمعية حماية المستهلك» (راجع «الأخبار» أمس)، وتقرير الزميلة هديل فرفور في الصفحة ذاتها)، وما يمكنهم أن يعاينوه بأنفسهم من خلال مقارنة أسعار الدواء في لبنان والخارج.

«فضيحة صحية»

بعيداً عن الأدوية وحاجة كل المواطنين إليها، يبرز همّ آخر اسمه الاستشفاء وما يرافقه من صعوبة ومشقة يتكبدها المواطن الفقير غير المضمون أو الذي لا يحظى بتأمين صحي. إذ يضطر عندها إلى دخول المستشفى على حساب الوزارة، وحدث ولا حرج هنا عن «أخلاق» المستشفيات الخاصة التي ترفض استقبال هؤلاء المرضى مهما بلغت خطورة حالتهم، وعن وضع المستشفيات الحكومية المزري ونقص المعدات الطبية فيها. لذلك كان لا بد من تعديل للسقوف. إذاً، بدل دعم المستشفيات الحكومية وتشجيع المواطنين على اللجوء إليها، يقرر الوزير «المُبدع» أن الحل هو في خفض الأموال لها، وتالياً، خفض عدد حقوق موظفيه. ولكن لحاصباني نظرة أخرى في توزيع السقوف المالية (سقف المبالغ التي تدفعها الدولة، عبر وزارة الصحة، لكل مستشفى، بدل استشفاء المرضى غير المضمونين) على المستشفيات الخاصة والحكومية والتي تبلغ 465 مليار ليرة. فللمرة الأولى في تاريخ وزراء الصحة المتعاقبين على الوزارة، وحدث ولا ليخفض سقوف المستشفيات الحكومية بدل زيادتها. يعلل المقربون من الوزير هذا «الإنجاز» بأن الطلب على المستشفيات الخاصة يفوق المستشفيات الحكومية بأشواط، لذلك كان لا بد من تعديل للسقوف. إذاً، بدل دعم المستشفيات الحكومية وتشجيع المواطنين على اللجوء إليها، يقرر الوزير «المُبدع» أن الحل هو في خفض الأموال لها، وتالياً، خفض عدد المرضى الذين ستستقبلهم.

وفعلياً ما كان ينقص مستشفى رفيق الحريري الحكومي المقفل منذ مدة - شأنه شأن جميع المستشفيات الحكومية نتيجة إضراب الموظفين إلى حين منحهم سلسلة الرتب والرواتب - إلا خفض سقفه المالي بنحو 4 مليار ونصف مليار ليرة لبنانية، الأمر الذي دفع مدير المستشفى المنتهية ولايته فراس الأبيض إلى تقديم استقالته. لا ضرورة لأخذ أكبر مستشفى حكومي في بيروت وضواحيها في الاعتبار أو الطبقة الفقيرة التي لا ملاذ لها إلا القليل البائس الذي يوفره لها: الوزير أدرى بشعاب الوزارة. لذلك قرر معاليه ضرب المستشفيات الحكومية وتعويم المستشفيات الخاصة، رافضاً الاتهامات بتعزيز الزبائنية الطبية والارتهان السياسي لهذه الجهة أو تلك. الاعتمادات خُضعت لمعايير «علمية»، وفقاً لمصادره، فمستشفى جبل لبنان الذي أضيف إلى اعتماده مليار ونصف المليار ليرة يصدف أن يكون مسؤوله الإداري والمالي جان أبي حيدر هو مسؤول قواتي. ومستشفى أوتيل ديو الذي حظي بموازنة كبيرة يصدف أنه لا يستقبل المرضى على حساب الوزارة، إلا بطلوع الروح، وبفاتورة مضخّمة: الفنان الراحل ملحم بركات أبرز دليل، ولولا ضغط أبو فاعور يومها على إدارة المستشفى لإعفائه من فارق الاستشفاء، كانت كلفة الفاتورة المسجلة 30 مليون ليرة ما يعني أن الفاتورة الشاملة بلغت 300 مليون ليرة! الزيادة نفسها وفرها الوزير حاصباني لمستشفى الجامعة الأميركية ومستشفى الروم ورياق مقابل خفض سقف مستشفى البوار الحكومي مثلاً من 3 مليار و200 مليون ليرة إلى 2 مليار و850 مليون ليرة. علماً أن المليارات الاثني عشرة التي تقرها الموازنة سنوياً للمستشفيات الحكومية وزعت بطريقة غير عادلة حيث نال مستشفى 10 أضعاف مستشفى آخر. وعند مراجعة الوزير أو مستشاره في هذه الشؤون إيلي يزبكي بالأمر، الجواب واحد: «القرار جايي من معراب هيك». جرى ذلك كله بواسطة فضيحة صارخة، فحاصباني أصدر قراراً جرى تسجيله يوم 21 أيار أي في اليوم الأخير للحكومة في حين أنه منح رقماً في تاريخ 17 من الشهر نفسه أي قبل أربعة أيام، يلغي فيه المرسوم الوزاري رقم 4599 الذي يحدد طريقة توزيع الاعتمادات على المؤسسات الطبية ليصدر قراراً يوزع فيه الاعتمادات الآنفة الذكر على هواه. ويجيز القرار رقم 935 الذي يحمل إمضاء وزير الصحة (حصلت «الأخبار» على نسخة منه) تعديل السقف المالي للمستشفيات والمؤسسات والمراكز والجمعيات المتعاقدة مع وزارة الصحة من الفئة الأولى استشفاء والفئة الثانية والثالثة والمخصص لها في المرسوم رقم 4599 عن عام 2018. كما يتيح القرار في مادته الثانية للوزير التعاقد مع المستشفيات والمؤسسات والمراكز والجمعيات غير الوارد ذكرها في المرسوم. كان لا بدّ من «تبكيل» الأمر برمته عبر زيادة 850 مليون ليرة إضافية على الاعتماد الذي يتلقاه نقيب المستشفيات سليمان هارون للمستشفى الخاص به. لكن يقول القانونيون في هذا السياق إن قرار وزير لا يلغي مرسوماً، إذ يمكن أي أحد الطعن به في مجلس شورى الدولة وإسقاطه.

الاستشفاء عن بُعد

«نظافة الكف» هي التي ميّزت وزراء القوات عن غيرهم وساهمت في تلميع صورة مرشحي الحزب خلال الانتخابات النيابية. نظافة الكف إضافة إلى المساواة في التعامل مع المؤسسات الطبية والمستشفيات بعيداً عن المعيار السياسي والحزبي. وذلك كان المعيار الرئيسي لحاصباني خلال تعيين مجالس إدارة المستشفيات الحكومية، لا سيما في مستشفى زحلة التي أزيح مديرها «القومي» وحل مكانه مدير قواتي. وفي مستشفى سبلين الحكومي تم تعيين لجنة في ظل وجود مدير أصيل، أو تعيين طبيب قواتي على رأس مستشفى بنت جبيل! أما خاتمة الأعمال «النظيفة» فبقوم بها مستشارون قواتيون «لا يبغون الربح»، من خلال عقود مع جمعيات لا تبغي الربح. في موازاة ذلك كله، لا يفترض إنكار إنجازات حاصباني، فالأخير بارع في تعداد أرقام المرضى التي تتضاعف سنوياً وقدم اقتراحاً استثنائياً للاستشفاء عن بُعد (!) حتى لا يتكبد ابن بعلبك والبقاع والشمال والجنوب تكاليف مراجعة الأطباء في بيروت. يكفي إرسال نسخة عن الصورة الممغنطيسية أو غيرها إلى أحد مراكز الرعاية الأولية عبر البريد الإلكتروني للحصول على استشارة طبية ووصفة بريد إلكتروني آخر. وداعاً لفحص ملعقة الفم الخشبية والفحص السريري في استراتيجية «صحة 2025» التي أطلقها الوزير، واهلاً بالتغطية الصحية الشاملة وتطوير المستشفيات الحكومية والسلامة الغذائية ورقمنة الوزارة وتفعيل قانون منع التدخين في الأماكن الخاصة... ولو بعد حين. فمعاليه لا يكترث للإنجازات الآنية ويتطلع دوماً إلى البعيد. الأهم هنا الحفاظ على «نظافة الكف».

وزير الاستعارة

لا يفرّط وزير الصحة غسان حاصباني بوقته للعمل على مشاريع قوانين. فملاحقة الوزير جبران باسيل تحتل سلّم أولوياته. لذلك وتوفيراً للوقت، عمد إلى استعارة مشاريع القوانين من زملائه أو إدخال تعديلات طفيفة عليها. مشروع الحكومة الإلكترونية مثال (أقرته حكومة رفيق الحريري عام 2002)، مشروع إدخال الباركود على نظام الدواء مثال ثاني (نفذه وائل أبو فاعور عام 2016)، خدمة الشباك الموحد مثال ثالث (افتتحه أبو فاعور في كانون الثاني 2016)، «خصخصة الكهرباء» مثال رابع (قدمه الوزير جبران باسيل وأقر في حكومة الحريري الأولى). وعلى هذه القاعدة، شغل الدنيا بمشروع القانون الذي قدمه حول الرعاية الصحية الشاملة ليتبين أنه استعاره مجدداً من النائب السابق عاطف مجدلاني الذي تقدم به عام 2013. لكن وللإنصاف، وضع حاصباني بعض التعديلات على هذا المشروع حتى يشمل كل اللبنانيين وهو ما يعدّ أمراً جيداً. لكن كيف يقترح معاليه تمويل هذه التغطية؟ «جزء كبير منه من موازنة الدولة وجزء منه تعاضدي ومساهمات بسيطة جداً من كل المواطنين اللبنانيين»، على ما قاله وزير الصحة في 15 كانون الثاني الماضي عقب انتهاء جلسة الإدارة والعدل. قبيل ذلك، وخلال تنظيم القوات لورشة عمل حول التغطية الصحية الشاملة، قدّم حاصباني نموذجه بعد دراسات مطولة مع خبراء شارحاً بالتفصيل أمر تمويله: موازنة الحكومة، الاشتراكات المسبقة الدفع (8 في المئة) من قيمة فاتورة الخلوي للمشترك أو ما يعادل شهر اشتراك للسنة الكاملة، والفروقات الاستشفائية، الفحوصات والأدوية، ومخصصات وزارة الشؤون الاجتماعية لفروقات الأشخاص الأكثر فقراً. وبحسب حاصباني، «تتم زيادة رسوم التغطية كل خمس سنوات بنسبة 5 في المئة ويطبق بصورة إلزامية ويربط بفاتورة الخلوي حيث يتمّ حسم الاشتراكات شهرياً من حساب الخلوي (المدفوع مسبقاً) أو فاتورة الخلوي (للخطوط الثابتة) بمعدل 10000 ل.ل شهرياً (6,67 $) كمشاركة في التأمين الإلزامي أو 333 ليرة في اليوم للحصول على تأمين صحي مدعوم من الدولة يشمل الفحوصات والاستشفاء، وأدوية السرطان والأمراض المزمنة والمستعصية». يقوم حلّ وزير الصحة القواتي على فرض ضرائب إضافية على المواطنين يحلو له أن يسميها «مساهمات بسيطة جداً»! تريدون تغطية صحية شاملة؟ ادفعوا مقابلها. المعادلة بسيطة و..... إلزامية! لكن كان يمكن أن يسجل لحاصباني منح اللبنانيين دقائق من وقته الثمين حتى يفكر بطريقة لتمويل هذا المشروع. الفرحة لم تتم بالطبع، فحتى في هذه المسألة استعار الوزير دراسات غيره، خلال ورشة العمل، قال حاصباني إن هذا النموذج طُبّق بنجاح في كينيا. والأهم أنه حاز على إعجاب المنظمات الدولية!

وفي جميع الأحوال، لو أن حاصباني مقتنع حقاً بـ«مشروعه»، كان في مقدوره المطالبة بإقراره، بصورة جدية، وخوض معركة لأجل إقراره، بدل اعتبار «التنفير» على وزير الطاقة سيزار أبي خليل هدفاً وحيداً لتجربته الوزارية.

خفض السقوف للمستشفيات الحكومية: تمهيد لُلخصخصة؟

طالب النائب علي المقداد وزير الصحة العامة غسّان حاصباني في بيان صدر عنه أول من أمس، بتعليق قرار تعديل الاعتمادات المُخصصة للمُستشفيات المتعاقدة مع الوزارة، «وإعادة النظر به واعتماد صيغة جديدة مُنصفة وعادلة تُراعي التوزيع السُكّاني والجغرافي والمكاني».

وكان حاصباني قد أصدر قراراً، قضى بموجبه بتعديل السقوف المالية المخصصة لعدد من المُستشفيات الحكومية والخاصة المتعاقدة مع الوزارة. وبحسب ما قال المقداد في اتصال مع «الأخبار»، فإنّ حاصباني عمد إلى خفض السقوف المالية لغالبية المُستشفيات التي تقع في المناطق الحدودية، سواء في الجنوب أو في البقاع «وهي المناطق التي يعاني معظم سكانها من الفقر والتي تحتاج تالياً، أكثر من غيرها، الى الطبابة الحكومية التي تُغطيها وزارة الصحّة».

وكان المقداد قد أشار في بيانه الى وجود «عشوائية وإجحاف في توزيع هذه الاعتمادات»، مُتمنياً وقف العمل بالقرار. إلّا أن اللافت و«الخطير»، هو ما أشار اليه المقداد لجهة تلميحه الى إمكانية أن يكون القصد جرّاء القرار هو «التوجه لخصخصة المُستشفيات الحكومية».

وبحسب المقداد، وصل خفض السقوف المالية لأحد المُستشفيات الحكومية إلى نحو 200 مليون ليرة، لافتاً الى الكثير من المراجعات التي تقدّم بها الى الوزير من أجل التراجع عن قرار خفض السقوف المالية، «إلّا أن الوزير لم يتجاوب معنا».

(الأخبار)

حاصباني لا يواجه مافيا الدواء: فليكتب المرضى «روشتّاتهم» بأنفسهم!

كاد وزير الصحّة العامة غسّان حاصباني، أمس، في مواجهة مافيا الدواء التي تتحكّم بالأسعار ان يطلب من المواطنين الذين يلاحظون ارتفاعاً في سعر دواء معين ان يكتبوا «روشتّاتهم» بانفسهم (!) عبر الطلب من الصيدلي او الطبيب «منحهم دواء اخر يحمل التركيبة نفسها ويكون بسعرٍ أفضل». يقول عارفون بالملف إن مطلب الوزير صعب التحقّق في ظلّ قانون الوصفة الطبية الموحدة الذي لم يُلزم الطبيب بوصف الادوية الجينيسية (الـ generique) ما سمح بـ«سيطرة» الادوية التجارية. فضلاً عن غياب وجود مختبر مركزي للرقابة على هذه الادوية ليمنح المرضى الثقة اللازمة لاعتمادها كخيار بديل

هديل فرفور

وصف وزير الصحة العامة غسّان حاصباني، أمس، الجدول الذي أعدّته «جمعية حماية المُستهلك» حول فارق أسعار بعض الأدوية في لبنان وتلك المعتمدة في الدول المُصنّعة بـ«الافتراء»، مُشيراً إلى أن الجدول «غير صحيح بمجمله ويتناول 0,29 في المئة من الأدوية الموجودة في السوق اللبنانية فقط».

كلام حاصباني جاء في مؤتمر صحافي عقده، أمس، في مكتبه في الوزارة ردّاً على التقرير الذي أعدّته الجمعية ونشرته «الأخبار» أمس، حول غلاء أسعار الأدوية المُستوردة مُقارنة مع بلاد المنشأ. ولفت الى أن تسعير الأدوية يخضع لآلية قانونية واضحة تعتمد الأسعار الأدنى، مشيراً الى خفض أسعار «352 دواء منذ بداية السنة». وطلب من المواطنين المُطالبة بادوية «الجينيريك» (الأدوية الجينيسية التي تحمل التركيبة نفسها) عندما يكون الدواء التجاري غالي الثمن، مُشدّداً على ضرورة الالتزام بالوصفة الطبية الموحّدة.

رئيس جمعية حماية المستهلك الدكتور زهير برّو قال لـ«الأخبار»، إنّ قانون الوصفة الطبية الموحدة لم يُلزم الطبيب بالأدوية الجينيسية، ما أتاح لكثير من الأطباء الذين يتعاملون مع شركات الأدوية وصف الأدوية التجارية بدلاً تقاضيهم «عمولة»، مُشيراً إلى أن نسبة مبيع الأدوية الجينيسية لا تتعدّى الـ7 في المئة من مجمل مبيع الأدوية، «فيما تتجاوز هذه النسبة في بعض الدول الأوروبية الـ90 في المئة، بسبب مساعي تلك الدول إلى خفض فاتورتها الصحّية».

الخبير في ملف الدواء الدكتور اسماعيل سكرية أكد من جهته، أن عدم إلزامية وصفة الأدوية الجينيسية يؤدي إلى لجوء الأطباء إلى «التركيز» على الأدوية التجارية التي تؤمّن لهم الأرباح. ووصف سوق الدواء بـ«غير الآمن»، لافتاً إلى عدم وجود مختبر مركزي للرقابة على الأدوية الجينيسية ليمنح المرضى الثقة اللازمة لاعتمادها كخيار بديل.

حاصباني أوضح أنّ أسس تسعير الدواء في لبنان «مبنية منذ عقود على هيكلية حسابية ويتم فيها أخذ رأي كل من وزارات: المال، الاقتصاد والتجارة، الصناعة، نقابة مستوردي الأدوية وأصحاب المستودعات ونقابة مصنعي الأدوية وذلك بعد استشارة مجلس شورى الدولة».

وأضاف أنّ «عدد الأدوية المسجلة لتاريخ اليوم في لبنان هو 5733 دواء، في حين أنّ عدد الأدوية التي تناولتها جمعية حماية المستهلك هو 17 دواء أي 0,29 في المئة من تلك الموجودة في السوق اللبنانية». ولفت الى أنّ الجدول «يتضمن أخطاء وهو غير صحيح بمجمله»، والأدوية التي تضمّنها «إمّا غير مسوّقة في لبنان أو ثمة خطأ في الأسعار المذكورة».

وردّ برّو على ذلك بالتأكيد أن الجدول الذي أعدّته الجمعية جاء استناداً إلى «آخر لائحة أسعار نشرتها الوزارة على موقعها الإلكتروني بتاريخ 25 أيار الفائت»، وبالتالي «على الوزارة أن تسائل نفسها حول وجود أسماء الأدوية غير المُسوّقة على لائحتها وعدم سحبها من اللائحة». وفي ما يتعلق بنسبة الـ0,29 في المئة، قال برّو إنّ الجمعية اعدّت الجدول كنموذج لعدد من الأدوية التي تُستخدم لعلاج الأمراض المُزمنة «ومن الأكثر طلباً وشُهرة في السوق»، لافتاً الى أن الجمعية تحرّكت بناء على شكاوى وردت من مرضى يتناولون غالبية هذه الأدوية. وأشار الى أن لجنة تسعير الأدوية في الوزارة «التي يقوم بعض موظفيها بالسمسرة للموافقة على أسعار الشركات» يمكنها درس بقية الأدوية التي لم تتناولها الجمعية.

> **برّو: الجمعية استندت في جدولها إلى أسعار اللائحة المنشورة على موقع وزارة الصحّة**

ختم حاصباني مؤتمره بالإشارة إلى أن المنافسة مُرتفعة في لبنان «وليس من احتكارات في مجال الدواء، نظراً لوجود كم كبير من أدوية الجينيريك، كما أن وزارة الصحة تضغط في شكل كبير من خلال تطبيق آلية تسعير الدواء (...)»، مُذكّراً بأن عدد الأدوية التي أُعيد تسعيرها بلغ نحو 779 دواء، وبأن الوزارة تطبّق المذكرة 20 المتعلقة بآلية إعادة التسعير التي تلزم الشركات المستوردة بالتبليغ عن أي انخفاض في السعر بطرأ على جميع الأدوية في بلد المنشأ في أسرع وقت ممكن (...)».

سكرية وصف كلام حاصباني بـ«غير المسؤول» نظراً إلى أنه يُغفل نقاطاً جوهرية تتعلّق بواقع سوق الدواء في لبنان، منها غياب السياسة الوطنية لتسعير الأدوية التي تعتمد على شهادات بلد المنشأ، فضلاً عن «الإلتفاف» على تصنيع الدواء المحلّي عبر استيراد الحبوب من البلد المنشأ وتغليفها محلياً للتهرّب من الالتزام بالتسعيرة الأساسية للبلد المنشأ.

وأكّد أن هناك نحو 8 شركات تستولي على نحو 80 في المئة من سوق الدواء. انطلاقاً من هنا، يبدو أنّ الوزير أغفل المسؤوليات العريضة التي تقع على عاتق وزارته في ما خصّ سوق الدواء. وهذه المسؤوليات، تتعدّى الحديث عن 0,29 في المئة من الأدوية فقط!

لا يوجد مختبر مركزي لمراقبة الأدوية الجينيسية (generique) (هيثم الموسوي)

تحقيق

مقاهي صيدا القديمة رمضان «بينعشنا»!

تستعمل صيدا القديمة ليالي رمضان التي تنقضي، إنه شهر الخير، واكثر على ازقّتها وساحاتها ومقاهيها ومحالها التي تنتظره كل عام ليبثّ فيها الحياة. الأزقة والبيوت والزوايا والمساجد الأثرية تجعل من صيدا القديمة ورمضان توأمين منسجمين، يجذبان الزوار. اكثر ماينتعش، المقاهي التي مرّ على بعضها اكثر من 200 عام. كانت اكثر من 120 ولم يبق منها سوى 12

آمال خليل

في ساحة باب السراي، في صيدا القديمة، يَجذب المارّة إلى الحائط الرئيس في المقهى القديم الذي تظلله الأشجار. فوق حجارته الرملية، عُلّقت براويز صور، معظمها بالأبيض والأسود، للمسجد الأقصى ومحمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وفيروز وعبد الحليم حافظ... يعلوها عود يقول مشغّل المقهى محمد سلوم إن فريد الأطرش أهداه لوالده الذي كان يهوى الفن وسافر مراراً إلى مصر للقاء الفنانين.

كراسي الخيزران والطاولات والشريات الخشبية ونواجيل التنباك والفوانيس، تشكل مع المعرض المفتوح على الحائط باقة مكتملة من الماضي الجميل. يقول سلوم إن الطابع التراثي للمقهى يجذب السياح على مدار العام، أما في رمضان، فتتضاعف الحركة حيث يقبل المئات من أهالي صيدا والجوار والمناطق. المقهى المقابل للساحة الرئيسية في صيدا القديمة، شيّد في الأساس مبنى لسراي الأمير فخر الدين الثاني. ثم تحول إلى إسطبل للخيول وخان لتخزين القمح والشعير من جبل حوران، في وقت كان فيه التجار يتبادلون البضائع والمواشي في الساحة المقابلة. عام 1914، صار الخان مقهى، شغّله محيي الدين كشتبان قبل أن ينتقل إلى آل سوسان عام 1946. بين هذا وذاك، شهد زمن الحرّ عندما تحول إلى مقر للحاكم العسكري في زمن الانتداب الفرنسي، فضلاً عن استخدامه كمركز للاقتراع في الانتخابات البلدية والنيابية. ومنذ عام 1975، يشغله آل سلوم من النبطية.

اتسعت المقاهي التي كانت عبارة عن غرف ضيقة وطالت الحدائة ادواتها

يتنقل محمد سلوم بسرعة بين صالة المقهى الداخلية وباحته الخارجية لتلبية طلبات الرواد الذين يتوافدون بعد الإفطار وصلاة التراويح في مسجد المحتسب الأثري المجاور. لعب الورق والنرجيلة والليموناضة والمشروبات الساخنة والسحلب والأطباق الخفيفة للسحور (...) يتناولها الرواد على وقع أنغام أغان طربية. قبل عقود، كانت المقاهي تقدم سهرات الإنشاد وحلقات الذكر ورقص الدراويش وجلسات الحكواتي. يلفت الأستاذ الجامعي طالب قره أحمد الى أن مقاهي صيدا القديمة في باب السراي وضهر المير والمصلبية هي التي عرفت الناس إلى الحكايا والدمى المتحركة وخيال الظل (حيث يتحرك أشخاص أو دمى خلف شرشف أبيض). وفي بحث لطلال مجذوب، يتبين أن أول حكواتي في المدينة كان محمد الشقلي الحلبي الذي وفد إليها عام 1837. تأثر به أفراد من آل السروجي، ابرزهم عبد الرحمن وإبراهيم اللذان تبدلت كنيتهما من السروجي إلى الحكواتي في سجلات القيد. ومن الحكواتيين الذين ذاع صيتهم أبو أسعد الذي عرف بحكواتي الحية، ومحمد المياسة والفلسطيني النجمي. الأخير قدم عروضه في مقهى البابا في ساحة ضهر المير. وكانت له طريقة خاصة في السرد، كما كان يجلس فوق طاولتين ويقرأ من كتاب ألف ليلة وليلة.

اتسعت المقاهي التي كانت عبارة عن غرف ضيقة وطالت الحداثة أدواتها. القهوة التي كانت تُعدّ على الجمر أو الرمل وتقدم بركوة نحاسية، صار البعض يُعدّها بالة الكبس. غاب الفقراء والعمال الذين كانوا ربع أو ثلث أو نصف فنجان قهوة، حيث كان الفنجان الصغير أحياناً يتقاسمه ثلاثة أشخاص. وتطورت لائحة المشروبات التي كانت محصورة بالقهوة والشاي والأيتر (القرفة) والسحلب والأعشاب.

في زمن العثمانيين، نظمت السلطات وضع المقاهي، فأجبرتها مع الدكاكين والحلاقين وباعة الشاي على الإقفال في العاشرة ليلاً شتاءً وفي الحادية عشرة ليلاً في الصيف. في رمضان الحديث، أوقات السهر مفتوحة في المقاهي التي تجاور البيوت، إذ يحاول أصحابها الاستفادة من الموسم قبل أن تتقلص حركة الزوار إلى ما دون النصف بقية أيام السنة.

> تراجع عدد المقاهي من 120 الى 12 وبعضها مرّ عليه اكثر من 200 عام

يحاول اصحاب المقاهي الاستفادة من الموسم قبل ان تتقلص حركة الزوار إلى ما دون النصف بقية أيام السنة (علي حشيشو)

مفكرة

رؤى مظلوم قُتلت بدم بارد

لرؤى مظلوم من اسمها نصيب كبير. ابنة السنوات الأربع، من بريتال، قضت ليل أول من أمس في خلاف بين اثنين من أبناء بلدتها على أفضلية المرور. هكذا بكل بساطة، وبكل برود. قبل عام، في رمضان الفائت، قُتلت لميس نقوش إبنة الأعوام الخمسة، في حادثة مشابهة تماماً في أحد أحياء بعلبك. الرصاصة التي استقرت في صدر رؤى كان دويّها كبيراً على مواقع التواصل الاجتماعي مطالباً للأجهزة الأمنية بضبط سلاح الزعران وإنهاء الفلتان الأمني. في العادة، في مثل هذه «الحوادث»، توارى الضحية، تصدر بيانات إدانة، تخفّ الضجة، وتبدأ مساعي المصالحة لتفادي ردود الفعل العشائرية المحتملة، و... كفى الله المؤمنين شرّ القتال. وحدها جنى، والدة رؤى، لن تكفّ عن فلش ثياب العيد لابنتها، ثم طيّها وإعادتها الى خزانتها الصغيرة.

«عامل» تطلق حركة أورو متوسطية للدفاع عن اللاجئين

في إطار حملتها للدفاع عن كرامة اللاجئين والمهاجرين وحقوقهم، تنظّم مؤسسة «عامل» الدولية ومنظمة «ساموسوسيال» مؤتمراً دولياً في روما، في 12 الجاري، تحت عنوان «أنسنة احتضان المهاجرين في المنفى». يضم المؤتمر نحو 150 مشاركاً من الفاعلين وصانعي القرار والمؤثرين والناشطين في مجال حقوق الإنسان والعمل الإنساني في أوروبا. وهو استكمال لمؤتمري باريس وأثينا في تشرين الاول وكانون الثاني الماضيين، وسيشهد إعلاناً لولادة الحركة الأورو ـ متوسطية للدفاع عن المهاجرين واللاجئين في المنفى، وفقاً لطرح عامل حول «اللامات الثلاث: لبنان، لامبادوزا، ليسبوس، كإنموذج للتضامن مع اللاجئين والمهاجرين»، في ظل موت عدد كبير منهم خلال رحلة العبور في المتوسط، وفي ضوء سيادة الخطاب الانعزالي والفئوي في معظم دول الغرب وإقفال أوروبا حدودها في وجه الهاربين من الموت.

يعرض المشاركون في المؤتمر مداخلات وأوراقاً بحثية تتضمن حلولاً واقتراحات مستدامة لاستقبال المهاجرين وتهيئتهم للتكيّف والاندماج في المجتمع، وتطبيق الاتفاقيات الدولية المتعلّقة بالمهاجرين. ويقدم رئيسا «عامل» الدكتور كامل مهنا و«سامو سوسيال» كزافييه إيمانويلي مداخلات حول دور مؤسسات العمل الإنساني في حماية المدنيين والمهاجرين، والضغط على الحكومات لتصحيح سياساتها تجاههم. وسترفع التوصيات الى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس مع مذكرة تطالب بإعلان العام المقبل سنة التضامن مع اللاجئين، والعمل ليس فقط على معالجة نتائج الأزمات، وإنما الوقاية منها وتجنب حدوثها.
(الأخبار)

«ليلة حكواتي» في مقهى «ة» تقام التاسعة والنصف من مساء الأربعاء المقبل، وتتضمن عرضاً من سيرة الملك «الظاهر بيبرص»، بحسب الرواية الشاميّة، مع فراس حمية وعلي العراقي.

■■■

بدعوة من «مؤسسات الرعاية الإجتماعية في لبنان»، يقدم أبناء دار الأيتام الإسلامية نشاطات رمضانية في 11 و12 الجاري في الزيتونة باي من الرابعة بعد الظهر لغاية الـ11

مساءً ومن 13 الى 16 حزيران في أسواق بيروت من 12 ظهراً حتى 11 مساءً. تتضمن النشاطات مجموعة من الفنون والحرف اليدوية للأولاد ومسرحية بعنوان «رمضان همزة وصل»، إضافة الى رقصات فنية ودبكات فولكلور وزاوية للألعاب التربوية وأزياء تنكرية.

■■■

برعاية بلدية بيروت، يقدّم «المسرح العالمي» نشاطات متنوعة في الزيتونة باي في 16 و17 الجاري من الرابعة بعد الظهر ولغاية الحادية عشرة مساءً. تشمل النشاطات عروضاً مسرحية و«كرمس» للأولاد إضافة الى ألعاب بهلوانية وألعاب خفّة بحضور شخصيات رمضانية ومهرجين.

■■■

انطلقت أمس أعمال المؤتمر الوطني الدولي للعقيدة الأرثوذكسية في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي في جامعة البلمند، برعاية البطريرك يوحنا العاشر، تحت عنوان «الرؤية الاسخاتولوجية للاهوت الارثوذكسي». ويتضمّن المؤتمر انعقاد جلوات مقفلة

لمناقشة أوراق لاهوتية من مختلف الجامعات والبلدان المشاركة. المؤتمر يعقد تحت إشراف الاتحاد الدولي للاهوتيين العقائديين الارثوذكس، الذي يضم أساتذة جامعيين لاهوتيين مختصين بعلم اللاهوت العقائدي من مختلف أنحاء العالم، وقد سجل حضور مشاركين من: لبنان، فرنسا، سويسرا، الولايات المتحدة، روسيا، رومانيا، اليونان، وبلغاريا.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كومتكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الإلكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

سمات الاستشراق (الصهيوني) التقليدي عند برنارد لويس

أسعد أبو خليك *

لم يحدث أن احتلّ أكاديمي المرتبة الرسميّة والشعبيّة المرموقة التي احتلّها برنارد لويس في أميركا. وقد تزامن موت لويس (بمسافة أيّام) مع وفاة ريتشارد بابيس (الذي شغل لعقود كرسيّ تدريس التاريخ الروسي في جامعة هارفرد) لكن رد فعل الإعلام والسياسة للوفاتيْن لم يكن متماثلاً أبداً. وزير الخارجيّة الأميركي، مايك بومبيو، رثى بنفسه برنارد لويس في رثاء خاص وتحدّث عن تأثّره بكتاباته، فيما صدر رثاءٌ رسميّ عنه من رئيس الوزراء الإسرائيلي. ورغم أن بابيس كان بالغ التأثير في إدارات أميركيّة متعاقبة، وتراس «فريق بناء» في الاستخبارات الأميركيّة عام 1976، وترأس دائرة الشؤون السوفياتيّة في مجلس الأمن القومي في عهد رونالد ريغان، فإن تغطية الإعلام لوفاته لم تصل إلى درجة تبجيل برنارد لويس في المؤسّسات الأميركيّة النافذة (الرسميّة منها والخاصّة). «نيويورك تايمز»، على غير عادتها، تريّثت قبل نشر مرثيّتها عن لويس، ربّما لأنها تأثّت في صياغتها بسبب تدهور سمعة لويس عبر العقود في بعض الأوساط الليبراليّة خصوصاً بعد غزو العراق في 2003، إذ كان من أشدّ مؤجّجيه.

يمكن الفصل بين حقبتيْن في حياة برنارد لويس: مرحلة التدريس الجامعي في بريطانيا، ثم مرحلة انتقاله عام 1974 إلى جامعة برنستن حيث درّس هناك حتى تقاعده. في المرحلة الأولى من مسيرته، كان لويس أقرب إلى المستشرق التقليدي المعادي للعرب، وكانت كتاباته تاريخيّة تتسم بالبحث والتمحيص والتوثيق الدقيق (تمكن ملاحظة ذلك في كتابه عن «انطلاق» تركيا الحديثة، الذي اعتمد فيه على الأرشيف العثماني)، رغم استنتاجاته السياسيّة الخاصّة به. وكان يكتب بأسلوب الاستشراق التقليدي الأخّاذ، الذي يتسم بمسحة أدبيّة وبلاغة وتدفيق لغوي. يختلف هذا الأسلوب عن أسلوب عالم الاجتماع المعاصر الذي يدفعه تدريب «الجارغن» ـ أي اللغة الأكاديميّة المكتسبة. للوقوع على الأدنّ مثل وقع قراءة تقارير حكوميّة عن إنتاج القمح. هناك متعة خاصّة في قراءة كتب الاستشراق التقليدي لا تخفى على مَن عُرف ويُعرف منها. لكن كتب لويس عن العالم العربي لم تتمتّع بسعة معرفة أمثال جاك بيرك أو فيليب حتّي أو ماكسيم رودنسون. الأخيران كانا متميّزيْن من حيث قدرتهما على متابعة شؤون العالم العربي المعاصر مع تبحّر في التاريخ القديم. لويس لم يتحرّر من الإرث الليبرالي القديم، وكان جاهلاً في شؤون العالم المعاصر. وكان عداء لويس للعرب والإسلام واضحاً في المرحلة الأولى، حيث أشرف على اطروحات العديد من المؤرّخين الشباب (مثل كمال الصليبي، الذي كتب تاريخ لبنان المعاصر بطلب من لويس. ومن الطبيعي أن يكون لويس مهتماً بتاريخ قطري وانعزالي. ـ لا تاريخ عربي جامع).

في المرحلة الثانية، قلّ إنتاج لويس الأكاديمي البحتي وتحوّل إلى داع سياسي صفيق ومباشر، ولم تكن كتبه في تلك المرحلة إلا إعادة تجميع لمقالات قديمة منشورة وطبعات جديدة «منقّحة» لكتبه القديمة. وتعرّف لويس مبكراً في مرحلته الأميركيّة إلى السناتور «سكوب» جاكسون (زعيم الصهاينة في الكونغرس على مدى عقود) وأصبح عميداً لما عُرف بـ«المحافظين الجدد»، أي إن نفوذ لويس السياسي سبقَ حصوله على الجنسيّة الأميركيّة في 1982. ولم يكن نفوذه السياسي محصوراً فقط بالحكومة الأميركيّة بل كان شديد الالتصاق بالحكومة الإسرائيليّة (ترجمت وزارة حرب العدوّ كتاباً له، كما أن غولدا مئير تفرض على وزرائها قراءة كتاباته له). وكان وثيق الصلة بالملك حسين وشقيقه الأمير حسن (الكنه سخر من «عادة» الأردنيّين في تناول الطعام باليدين) (1)، كما أن مستشار السادات، تحسين بشير، مرّر له عام 1971 رسالة من أنور السادات إلى حكومة العدوّ عن نيته إقامة سلام معه. وكان الطباخية العسكري التركي، كنعان أفرين، بعقد جلسات إفرادية معه عندما كان يزور واشنطن. هو فتح علاقة مع النظام الليبي في مرحلة انفتاح القذّافي على الغرب، قبل قلب نظامه من قبل الغرب.

لا يمكن التقليل من أهمية لويس ونفوذه وتأثيره في الثقافة السياسية للإمبراطورية الأميركية

ونفوذ لويس السياسي بالغ إلى درجة أنه رفع بوساطته مِن مرتبة عرب اقتربوا من إدارات أميركيّة متعاقبة، مثل فؤاد عجمي وأحمد الجلبي وكنعان مكيّة، وهو الذي ـ كما أخبرني إدوار سعيد في حينه ـ كان وراء دعوة صادق العظم إلى برنستن في زيارة تدريسيّة فقط لأنه هجا سعيد (وكان لويس دائم الاستشهاد بالعظم ضد سعيد). وفي إدارة جورج دبليو بوش، اقترح لويس على مجلس الأمن القومي تعيين تلميذه السابق، مايكل دوران، مسؤولاً عن الشرق الأوسط فيه، وتمّ له ذلك.

يتّسم الاستشراق الصهيوني لبرنارد لويس بعدد من الصفات المتلازمة، يمكن تلخيصها في ما يلي:

1) مركزيّة التحليل الاختزالي الإسلامي، وشخصنة الإسلام. هذه سمةٌ من عناصر الاستشراق الغربي الذي أطلق عليها ماكسيم رودنسون مصطلح «ثيولوجوسنترك»، أي التحليل الذي ينحاز للتفسير الثيولوجي الإسلامي (2)، الذي يرفض الأخذ في عين الاعتبار صوابيّة التحليل المادّي أو تأثير الغرب على العرب والمسلمين. ردّ كل مظاهر الحياة عند المسلمين إلى أن الإسلام هو دوغما متحجّرة. الإسلام عند لويس هو شخص، وهو كل شيء: تكفي مراجعة بعض عناوين كتبه، مثل «الإسلام والغرب» و«البرق في الإسلام» و«أزمة الإسلام» «ما خطب الإسلام» و«لغة الإسلام السياسيّة»... إلخ. ويقول لويس في أكثر تعبير صراحة عن منهج دراسته الراسخ: «عند المسلمين، الإسلام ليس نظام إيمان وعبادة، أو مقصورة من مقصورات الحياة... بل هو الحياة كلّ الحياة» (3). لكن ماذا يعني ذلك، وكيف يُطبّق في الدراسة الأكاديميّة؟ كيف يكون الدين ـ أي دين ـ طاغياً على كل جوانب الحياة، السياسيّة منها والقانونيّة والخاصّة؟ تجد مثلاً في بحث قيّم لجيمس بيسكاتوري أن الشريعة، حتى في إيران والسعوديّة، لا تحتلّ كل القوانين النافذة في البلاد (4) بل إن البلدين العثمنيّيْن ادخلا عناصر قانونيّة لا علاقة لها بالشريعة. والكليشيه أنه عند المسلمين ـ كل المسلمين، بصرف النظر عن الجغرافيا وطبيعة الحكم ـ لا فصل بين الحياة الدينيّة والمدنيّة ترسّخ القمع. هناك متعة خاصّة في قراءة كتب الاستشراق التقليدي لا تخفى على مَن عُرف ويُعرف منها. لكن كتب لويس عن العالم العربي لم تتمتّع بسعة معرفة أمثال جاك بيرك أو فيليب حتّي أو ماكسيم رودنسون. الأخيران كانا متميّزيْن من حيث قدرتهما على متابعة شؤون العالم العربي المعاصر مع تبحّر في التاريخ القديم. لويس لم يتحرّر من الإرث الليبرالي القديم، وكان جاهلاً في شؤون العالم المعاصر. وكان عداء لويس للعرب والإسلام واضحاً في المرحلة الأولى، حيث أشرف على اطروحات العديد من المؤرّخين الشباب (مثل كمال الصليبي، الذي كتب تاريخ لبنان المعاصر بطلب من لويس. ومن الطبيعي أن يكون لويس مهتماً بتاريخ قطري وانعزالي. ـ لا تاريخ عربي جامع).

> في المرحلة الثانية من حياته قلّ إنتاج لويس الأكاديمي البحتي وتحوّل إلى داع سياسي صفيق ومباشر

في المرحلة الثانية، قلّ إنتاج لويس الأكاديمي البحتي وتحوّل إلى داع سياسي صفيقٍ ومباشر، ولم تكن كتبهُ في تلك المرحلة إلا إعادة تجميع لمقالات قديمة منشورة وطبعات جديدة «منقّحة» لكتبه القديمة. وتعرّف لويس مبكراً في مرحلته الأميركيّة إلى السناتور «سكوب» جاكسون (زعيم الصهاينة في الكونغرس على مدى عقود) وأصبح عميداً لما عُرف بـ«المحافظين الجدد»، أي إن نفوذ لويس السياسي سبقَ حصوله على الجنسيّة الأميركيّة في 1982. ولم يكن نفوذُه السياسي محصوراً فقط بالحكومة الأميركيّة بل كان شديد الالتصاق بالحكومة الإسرائيليّة (ترجمت وزارة حرب العدوّ كتاباً لـه، كما أن غولدا مئير تفرض على وزرائها قراءة كتاباتِ لـه). وكان وثيقَ الصلة بالملك حسين وشقيقه الأمير حسن (لكنه سخر من «عادة» الأردنيّين في تناول الطعام باليدين) (1)، كما أن مستشار السادات، تحسين بشير، مرّر لـه عام 1971 رسالة من أنور السادات إلى حكومة العدوّ عن نيته إقامة سلام معه. وكان الطباخية العسكري التركي، كنعان أفرين، يعقد جلسات إفرادية معه عندما كان يزور واشنطن. هو فتحَ علاقة مع النظام الليبي في مرحلة انفتاح القذّافي على الغرب، قبل قلبِ نظامه من قبل الغرب.

من دون الاستشهاد والركون إلى نص ديني قديم، وقد يعود هذا لجهله بالتاريخ العربي والإسلامي المعاصر. عاش لويس أسير قراءاته التاريخيّة القديمة، ولم يخرج منها في تحليلاته عن عالم معاصر. ويظهر ذلك جليّاً في مقالة بعنوان «العودة إلى الإسلام» (أين كان الإسلام قبل عودته؟) في مجلّة «كومنتري» الصهيونيّة. (5) وهذه المقالة أطلقته في الثقافة الأميركيّة والغربيّة العامّة. ويربط فيها كل الظواهر والأحداث ربطاً دينيّاً خالصاً. ويقول عن علاقة ياسر عرفات (بعد أن يستفيض في المغزى الديني لاسم «أبو عمّار»، مع أن عرفات شرح أن مساهمته في «الإعمار» لها علاقة بالكنية الحركيّة) بالخميني أن ذلك ينبع من رابط إسلامي ديني بين الرجليْن. لكن بعد طبع المقالة في عدد من كتبه التي تَجُمع مقالاتِه، أضافَ في سنوات لاحقة على تحليله المذكور جملةً «بعد ذلك، افترق الاثنان»، كأن هذه الحاشية لا تنسفُ كل التحليل المربوط. ويصرّ لويس على أن الروابط بين المسلمين تعلو على أي روابط أخرى: لم يلاحظ الحرب العراقيّة ـ الإيرانيّة، ولم يلاحظ على مدى القرن الماضي والحالي تحالف مسلمين مع غير المسلمين ضد مسلمين آخرين. وفي قراءته «فلسفة الثورة»، لا يرى إلا الإسلام، ولا يعير لقوميّة عبد الناصر العربيّة اهتماماً (لا بل يربطه بـ«الإخوان المسلمون»).

وهوس لويس برد الظواهر السياسيّة إلى أمور دينيّة دفعه إلى واحدة من فضائح إنتاجه في حقل النيوميرولوجيا، إذ هو طلع في 2006 بمقالة في «وول ستريت جورنال» توقّع فيها أن تدمّر إيران إسرائيل والعالم في يوم 22 آب (أي ما وافق 27 رجب حسب التقويم الإسلامي) (6). لكن توقّع وتحليلات لويس كانت تلقى الآذان على أعلى المستويات في البيت الأبيض، وكان ديك تشيني ودونالد رمسفلد يستشهدون به. لكن مكانة لويس عانت الكثير في الأوساط الأكاديميّة الرصينة. المؤرّخ في جامعة كولومبيا، ريتشارد بليت، كان يقول عنه: «هو يحتقر العرب». هذه هي القصّة.

2) مركزيّة البناء على الجذر اللغوي عند العرب. يصرّ لويس في تحليله السياسي أن يأخذ كل مصطلح أو كلمة ويردّها إلى جذرها الوارد في «لسان العرب». وكتاب لويس «اللغة السياسيّة للإسلام» من أسوأ كتبه على الإطلاق. والعنوان لا معنى لـه: وهل أن المسلمين ينطقون بلغة واحدة؟ وهل نتحدّث عن اللغة السياسيّة للبهود؟ لكن هو يرى أن المسلمين كتلة متراصّة لا خواص ذاتيّة لهم، كما يبدون في لوحة «الجامع» لرينوار. وإصراره على الجذر اللغوي يعيده إلى عالم النباش والصحاري، وهذا كان من جملة ما أغضب إدوار سعيد عليه في «الاستشراق». والهوس بالجذر اللغوي يبلغ حدّه في لويس في ربط الحياة العاديّة للناس فيقول إن الحريّة عصيّة على العرب لأن مفهوم الحريّة تاريخيّاً بالعربيّة كان يعني «غير العبد» (كان المعنى في لغات أخرى لم يعنِ ذلك). هذا كان تقول إن مصطلحات الجنس في اللغات الغربيّة، وهي حديثة نسبيّاً، تعني أن الغربيّين لم يمارسوا الجنس قبل أن يجترحوا مصطلحات عنه. ويبدي لويس استغرابه لأن بعض الكلمات مثل «الدولة» فقدت معانيها الأصليّة كان ذلك حكرٌ على اللغة العربيّة. (7)

3) لهجة السخرية والعداء للعرب والمسلمين. تتصف لغة لويس في كتاباته ـ حتى تلك التي تبدو أنها رصينة في الحقبة الأولى من إنتاجه. بالكثير من العدائيّة والعنصريّة غير المكبوتة ضد العرب. هو الذي قال لجورج بوش (الذي عمل بصفة مستشار «رفيع» لـه) إن لغة القوّة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب (8)، وإن شعب العراق «سيبتهج» لغزو بلاده من الأميركيّين. ويجد لويس أوجه مقارنة بين المانيا النازيّة ووضع غير المسلمين في التاريخ الإسلامي (9) (لا يُجمل في التعميم عن وضع المسلمين في الحضارة الإسلاميّة ـ بصرف النظر عن الجغرافيا والزمان ـ إلا الجاهلين بالتاريخ أو المغرضين). وفي النسخات الأولى لكتاب «العرب في التاريخ»، كان لويس يتلذّذ في ذكر أن كل الفلاسفة في الحضارة الإسلاميّة كانوا من أصل غير عربي (باستثناء الكندي طبعاً). لكن ما معنى هذه الملاحظة إلا تحقير العنصر العربي جينيّاً، في سياق حضارة كان ينتمي إلى حضارتها (بالمعنى الثقافي) أفرادٌ من أصول وجذور وأديان مختلفة (باعترافه)؟ ولا يجد لويس غضاضة من تناول موضوع «العقل العربي» (ومفاصلته مع «العقل الغربي» (10)، ويرد هذا الذكر في كتابه «الإسلام والغرب»). يقول إن العقل العربي (هذه المقولات وجدت طريقها إلى الكتاب العنصري المعروف، «العقل العربي» للمؤلّف الإسرائيلي رافائيل بتاي) يتصف بـ«ذريّته»، أي عجزه عن ربط الظواهر. بالنفصال عناصر معرفته. ويعود بأصل ذلك إلى القصيدة العربيّة القديمة وأن أبياتها كانت مستقلّة ذاتيّاً، بعضها عن بعض. أذكر أن أستاذ الفلسفة في جامعة هارفرد، محسن مهدي، حدثّني عن ذلك قبل سنوات وقال إن فرضيّة لويس غير صحيحة (وليس فقط عنصريّة) حتى في ما يتعلّق بوحدانيّة القصيدة العربيّة القديمة. قال إن دراسات جديدة من مستشرقين جدد تثبت أن القصيدة لم تكن كما افترض جيلٌ سابق من المستشرقين عنها. وليس الأمر مسألة عداء عابر عند لويس، بل هو يعتنق أيديولوجيّة عداء ضد الإسلام والمسلمين وتحمل في طيّاتها نفس عناصر أيديولوجيّة العداء ضد اليهود: هو يشتبه في مؤامرة إسلاميّة دائمة (يربط دوماً بين الكل: المسلمين)، ويرى في المسلمين أمّة متراصّة تتحرّك على أنغام الجهاد الحربي (لا معنى للجهاد عنده إلّا الحرب المقدّسة)، وهو لا يأخذ في تحليله أن تغييراً يحدث في عوائد المسلمين.

4) ضحالة وضآلة البحث والإسناد في كتاباته عن العالم العربي المعاصر. تغيّرت طبيعة الإسناد والتوثيق في مؤلّفات لويس في مرحلته الثانية، خصوصاً عندما يتحدّث عن التاريخ العربي المعاصر. لم يعد يكترث لوضع مراجع موثوقة لتعميماته المطلقة عن العرب والمسلمين. وحتى في تاريخه عن العرب تجده يستشهد بوثيقة عن الإسماعيليّة ثم يضيف: «إن الوثيقة غير صحيحة على الأرجح» (11)، لكن إذا لم تكن صحيحة لماذا تستشهد بها؟ لكن هذه هي عادته: التفتيش عن كل قول غريب ومتعصّب عند المسلمين والتعامل معه على أنه يمثّل الأمّة الإسلاميّة. كأنه كان هناك في الماضي أمّة إسلاميّة متراصّة في تاريخ عرف تضاد الخلافات. برمّتها. لويس هو «ميمري» قبل أن تتأسّس ميمري على يد مسؤول «سابق» في المخابرات الإسرائيليّة السابقة (وهذه المؤسّسة تتزجم الغريب والكريه في الإعلام العربي لتمدّ بـه حكومات وإعلام الغرب). ولهذا تعامل لويس مع أسامة بن لادن مبكّراً على أنه بمنزلة الإمام الغزالي عند المسلمين المعاصرين (12).

رغم أن كتابات لويس القديمة كانت محشوّة بالمراجع الموثّقة، فإن كتاباته اللاحقة كانت مضحكة في نوعيّة توثيقها. يمكن مثلاً مراجعة كتاب «الإسلام والغرب» (وهو من الكتب المدرّسة على نطاق واسع)، فهو يستشهد بقول مسلم ما (لم يذكر اسماً لـه) وفيه يدعو إلى ممارسة تعدّد الزوجات «تحت حكم المسيحيّين». (13) وينتقد لويس في الكتاب فكرة عادية لدى المسلمين، ثم يأخذك المرجع إلى «رسالة إلى المحرّر» في «نيويورك تايمز». (14) وفي موقع آخر، يذكر مرجعاً هكذا: «وقعتُ أخيراً على مقالة في جريدة كويتيّة» (15)، من دون ذكر اسم الجريدة أو اسم صاحب المقالة. وهو يذكر مقولة للخميني من دون ذكر مصدرها (وهذا نفس الكاتب الذي يعطي عادة مصدراً حتى للأحاديث النبويّة (16)). ولا يتورّع لويس عن الاعتماد على «الإشاعة» (17)، كمصدر لتعميماته، وفي موقع آخر مصدره هو شخص «صادفته وأنا أتسوّق» (18). لا، وهو يسوّغ الاستعانة بنكات (يقول لحضوره إنها شائعة بين المسلمين) كمصادر عن الرأي العام العربي لأنه ليس هناك من استطلاعات رأي بين العرب. لهذه الدرجة بات لويس يجهل العالم الذي يدرسه، والذي بات المستفيد الأكبر من صناعة دراسته الغربيّة.

كتابات لويس تجاوزها، تاريخيّاً وأكاديميّاً، الزمن. خذ مثلاً كتابه «اكتشاف المسلمين لأوروبا»، فيه يعيد تعميم فكرة أن المسلمين لم يبدوا أي اهتمام أو حشريّة بالغرب لأنه غير مسلم بسبب عقدة تفوّقهم المتعصّبة. لكن سلسلة من الكتب الحديثة للأكاديمي الفلسطيني، نبيل مطر، تدحض ذلك وفيها الكثير عن انخراط في القرنيْن السادس عشر والسابع عشر بين أناس العالميْن الإسلامي والمسيحي. (19) وقع لويس في خطأ تاريخي فاضح عن أن المسلمين لم يهتمّوا بدراسة العالم غير المسلم إلا في القرن التاسع عشر. والغوص في الأرشيف الهندي والإيراني من قبل باحثيْن وباحثات جُدد ساهم في توضيح الصورة.

أصبح لويس كاريكاتوراً عن المستشرق التقليدي في السنوات الأخيرة. هو بات صريحاً في دعواته إلى استعمال العنف ضد العرب والمسلمين: «على الغرب أن يدافع عن نفسه بكل الوسائل المتاحة» (20)، ويقبل تشبيه العرب بـ«الأطفال المصابين بمسّ». (21) ولويس على قناعة أن محرّك العرب السياسي هو الانتقام من الحروب الصليبيّة التي تؤرّقهم. كما يؤرّقهم غياب الخلافة. لكن تحليلاته عن العالم العربي المعاصر لا تتناسق. فهو ينسب كل الظواهر السياسيّة عند العرب إلى الإسلام (والمسيحيّون العرب لا ينجون من تعميماته فهم كلّهم. من جورج حبش إلى قسطنطين زريق ـ تتحكّم فيهم نوازع طائفيّة محض)، لكنه ينسب «أمراض» العالم العربي إلى تأثّر العرب المعاصرين وحركاتهم السياسيّة بالنازيّة والأنظمة الشيوعيّة في أوروبا الشرقيّة. وفي كتابه الأخير، يُعلم لويس قرّاءه أن «الكراسي ليست من تقاليد أو ثقافة الشرق الأوسط». (22) كلّما كانت إخباريّات لويس عن موضوع دراسته غريبة، انجذب إليه جمهوره الغربي المتعطّش دائماً إلى أخبار غرائب وعجائب من الشرق العربي.

> رغم أن كتاباته القديمة كانت محشوّة بالمراجع الموثّقة، فإن اللاحقة مضحكة في نوعية توثيقها

لا يمكن التقليل من أهميّة ونفوذ وتأثير برنارد لويس في الثقافة السياسيّة للإمبراطوريّة الأميركيّة. في مقالته الشهيرة في مجلّة «اتلانتك» (23)، صاغ لويس مقولة «صراع الحضارات» التي ذهب بها صامويل هانفتتون بعيداً في مقالة لـه (ثم في كتاب) عن خطورة التماس مع «الحضارة الإسلاميّة». حفظ هنتغتون فضل لويس عليه ذلك. لكن لم يكن لويس مُحرّكاً لسياسات وحروب الإمبراطوريّة بقدر ما كان مزوّجاً لها بين النخبة والعامّة. وكتبه الأخيرة كانت نادرة الحظوة لأكاديمي لأنها بقيت على قائمة «الكتب الأكثر مبيعاً» في «نيويورك تايمز». هو حضّ الغرب وإسرائيل على مواجهة العرب بالقوّة المفرطة لأن لا وسيلة أخرى تنفع معهم. وتشخيصاته عن المجتمع العربي لم تكن تحيد عن تشخيصات رافايل باتاي (أو فؤاد عجمي فيما بعد) في تحديد أمراض نفسيّة جماعيّة للعنصر العربي. وهذه التحليلات تفيد الإمبراطوريّة لأنها تبرّئ عن قصد سياسات وحروب واحتلال الغرب وإسرائيل في الشرق الأوسط. سيبقى للويس موقعه، لكن لن يكون كما أراده. سيُذكر لويس في دراسات نقد الاستشراق التقليدي أكثر بكثير مما سيُذكر في دراسات عن الشرق الأوسط.

مراجع

(1) «ملاحظات على قرن: تأمّلات مؤرّخ للشرق الأوسط»، ص. 217.
(2) راجع كتاب رودنسون، «الافتنان بالإسلام».
(3) راجع كتاب جيمس بيسكاتوري، «الإسلام في عالم الدول القوميّة».
(4) «الإسلام والغرب»، ص. 4. كل الترجمات الواردة هنا هي ترجمتي عن الأصل الانكليزي لكتبه.
(5) صدرت المقالة في يناير/ كانون الثاني 1976.
(6) راجع مقالته «22 آب»، «وول ستريت جورنال» 8 آب، 2006.
(7) راجع مجلّة «نيوزويك»، 31 آذار، 1976.
(8) «لغة الإسلام السياسيّة»، ص. 96
(9) «يهود الإسلام»، ص. 3.
(10) «الإسلام والغرب»، ص. 104.
(11) «العرب في التاريخ»، ص. 117.
(12) راجع مقالته: «رخصة للقتل: إعلان أسامة بن لادن للجهاد»، مجلّة «فورين أفرز»، نوفمبر- ديسمبر، 1998.
(13) «الإسلام والغرب»، ص. 55
(14) المرجع نفسه، ص. 100.
(15) المرجع نفسه، ص. 121.
(16) المرجع نفسه، ص. 158.
(17) المرجع نفسه، ص. 152.
(18) المرجع نفسه، ص. 57.
(19) راجع كتابيْ نبيل مطر: «الإسلام في بريطانيا» و«الأتراك والمور والانكليز في عصر الاكتشاف».
(20) «أزمة الإسلام»، ص. 32 (من المقدّمة).
(21) «ملاحظات على قرن»، ص. 227.
(22) المرجع نفسه، ص. 218.
(23) «جذور الغضب الإسلامي»، أيلول 1990.

*كاتب عربي (موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

«الهجمة الأميركية» الراهنة

سعد الله مزرعاني*

نستعيد مفردة «الهجمة»، الآن، وهي كانت، في عقود مرحلة ما قبل انهيار «الاتحاد السوفياتي»، شديدة الشيوع والرواج في أدبياته وفي أوساط منظومته الرسمية والشعبية، إلى درجة الرتابة الشعاراتية! محتوى هذه المفردة، التي كانت تجمع ما بين الإدانة والتحذير والتحريض، اقترن بكونها «إمبريالية»، وهي مفردة أخرى حملت مدلولاً سياسياً (رغم انتمائها أكثر إلى عالم الاقتصاد) كان مرادفاً للعدوانية والتوثب والتآمر، ما استدعى التنديد الفوري والشامل. كان ذلك في مرحلة الإفراط في الأدلجة و«الحرب الباردة». وكان استخدام مفردات كهذه يشير إلى هوية القائل بها وإلى تموضعه، كفرد أو كتنظيم أو كجهة، في الانقسام العالمي ذي القطبين السوفياتي والأميركي.

لم يكن هذا التصنيف، الذي كان، أحياناً، معفى من امتلاك وسائل الإقناع أو البحث عنها في تناقضات الدول والمجتمعات ومصالح الكتل والأفراد... لم يكن مجرد اتهام، بل إن مبرراته، على خلاف أدواته، كانت كبيرة في صراعات تلك المرحلة. وهي صراعات لم تستثنِ حقلاً من الحقول إلا جنّدته في خدمة معاركها: الاقتصاد والسياسة والعلاقات والمنابر الدولية (الدبلوماسية) والعلم والفن والأدب والسينما والرياضة والمطالب والقضايا والحقوق والحريات... وصولاً إلى الفضاء («حرب النجوم») وامتلاك الترسانات النووية والصواريخ العابرة للقارات ووسائل القتل الجماعي: الكيميائية والجرثومية والوبائية... هذا فضلاً عن الإعلام ووسائله المكتوبة والمسموعة والمرئية، كذلك ما يؤدي إلى تحقيق انتصارات أو مكاسب بكل الوسائل، كالعدوان والاغتيالات والتشهير والقمع والعزل وفبركة الذرائع والتدخل في الشؤون الداخلية للدول ومحاولة تغيير أنظمتها بالضغوط والقوة والغزو العسكري...

لم يكن الصراع، طبعاً، من طرف واحد، لكن الطرف «الإمبريالي» الاستعماري، كان هو الأنشط والأكثر مبادرة في المجالات كافة. ولما انتهى هذا الصراع بانتصار قوى الغرب الرأسمالي وقائدته الولايات المتحدة، جرى من قبل كثيرين من الفريق الآخر ردّ سبب الهزيمة إلى «التآمر» الخارجي، أي إن «الهجمة التي» كانت، بالدرجة الأولى، عملية «تآمر» خارجية، كانت، بالتالي، السبب الرئيس لانهيار المنظومة الشتراكية. والتآمر ينطوي، بالضرورة، على الغدر والمفاجأة والعتمة، لا على النزاهة وتكافؤ الصراع والشفافية... وحين تكون أسباب الهزيمة خارجية، فليس لمواطن الضعف والفشل الداخليين تأثير مهم فيها! وحيثما ساد هذا التقييم، المنكر للأخطاء والملقي بمسؤولية الهزائم على الآخرين، لم يستقم الأمر، ولم يجرِ أخذ العِبَرْ، وبالتالي، لم يحصل تصحيح للاعوجاج وتجاوز للهزيمة وللخسائر أو لبعض منهما. هكذا كان الأمر، في الغالب الأعم، في «الحركة الثورية العالمية» التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفياتي.

الخلل في تقييم المسارات والمسؤوليات لا يلغي أن القوى الاستعمارية، القديمة والجديدة، هي التي قادت الهجوم في السابق؛ وهي تواصله اليوم، على مهدّدي نفوذها وهيمنتها ومصالحها. وهي، حتى في مرحلة ما بعد انهيار المنظومة الاشتراكية، وبعد أن روّجت لانتصارها النهائي (فوكوياما ونهاية الصراع والتاريخ)، نظّمت عدة هجمات كان أبرزها غزو العراق واحتلاله عام 2003. كان في الطليعة، يومها، «المحافظون الجدد». في ظل ولاية جورج بوش الابن. وُضعت «الهجمة» آنذاك في نطاق «استراتيجية الأمن القومي الأميركي» التي أعلنها «البيت الأبيض» الأميركي في أيلول 2002. وهي استراتيجية عدوانية استباقية وضعت القوة المباشرة المتفوقة في خدمة مصالح و«قيم» وأنماط سلوك وحياة الدولة الاستعمارية الكبرى والتي باتت القطب العالمي الأوحد بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

ميدان الهجوم الجديد، وساحته الأساسية، الذي قاده «المحافظون الجُدد»، كان الشرق الأوسط، انطلاقاً من بغداد. الهدف المعلن إعادة استيلاد جديدة، بحلة «ديموقراطية» مزعومة، لهذا «الشرق الأوسط الواسع» الممتد من باكستان إلى موريتانيا، وفق تصوّر ومصالح واشنطن وشركائها وأدواتها، وخصوصاً الصهيونية. تجدّد غزو العراق بغزو لبنان عام 2006. لكن أخفق الغزو الثاني كما الأول. خسائر كبيرة اقتصادية وسياسية ومعنوية وأخلاقية، مُنيت بها واشنطن وتل أبيب وكل شركاء الغزو في الحالتين، فرضت انكفاءً بتوصية من لجنة بيكر ـ هاملتون. تلت ذلك هزيمة الجمهوريين في واشنطن وحلفائهم في لندن واسبانيا... مرحلة الرئيس باراك أوباما كرّست هذه الهزيمة بالانسحاب والانكفاء، وتغيير الأولويات والأدوات. في امتداد ذلك وسياقه، بادرت القيادة الروسية، بعد استكمال العدة، إلى رفض ومواجهة الأحادية الأميركية. ساعدتها في ذلك «إخفاقات» واشنطن أولاً. ثم تطورات عالمية على المستوى العسكري والاقتصادي والتنافسي، دفعت إلى بناء تكتلات مضادة للتفرد الأميركي، أبرزها تجمع دول «بريكس». الروس بقيادة فلاديمير بوتين، الذين كانوا أكثر حيوية وانخراطاً، باشروا هجومهم المعاكس عبر التدخل المباشر في الأزمة السورية وبناءً على طلب حكومة الرئيس بشّار الأسد في أيلول 2015. لم يكن بإمكان واشنطن أن تحاول استعادة زمام المبادرة في ظل إدارة أوباما التي اتسمت بالانكفاء والتصالحية وشيء من العقلانية، خصوصاً بعد أن ورثت أزمة خطيرة ضربت الاقتصاد الأميركي أواخر عام 2008، إلى تعاظم الفشل والخسائر في أفغانستان وفشل آخر في ليبيا... تسارع التطورات لغير مصلحة واشنطن وتابعيها مهّد لتغيير في السياسة الأميركية استثمره الشعبوي الفوضوي دونالد ترامب القادم من عالم الإعلام «الواقعي» والعقارات وكازينوات القمار والعنصرية والدعم الصهيوني...!

بعد ارتباك وفوضى، استغرقا حوالى سنة ونصف سنة من ولاية ترامب، بدأت تتبلور سياسات إدارته وأولوياتها وفريقها الحاكم إلى الرئيس الذي رفع شعار «أميركا أولاً». تقع المنافسة الأميركية الحقيقية مع روسيا والصين، بالدرجة الأولى. لكن ترامب يعاني من أزمة اتهامه بالحصول على دعم موسكو في الانتخابات، ما ساعده في هزيمة منافسته هيلاري كلينتون. النفوذ الصهيوني الهائل في صفوف عائلته وناخبيه وفريقه، وأسباب أخرى في مواقف حلفائه في المنطقة، وخصوصاً من بين دول الخليج، دفع إلى التركيز على «الخطر الإيراني» وعلى مشروع «صفقة القرن» لتصفية حقوق الفلسطينيين. هنا تتجلى «الهجمة» الأميركية، حالياً، إعلامياً وسياسياً واقتصادياً وأمنياً. تبدو تل أبيب هي الرابح الأكبر حتى إشعار آخر. الواقع أن هذه الهجمة تندرج في سياق أشمل لا يستثني أياً من الحقول على امتداد العالم، ويشمل الحلفاء كما الأعداء: من منظومات التجارة والعلاقات الدولية إلى الاتفاقات الثنائية في مجالات الأمن والاقتصاد والتبادل، إلى إقامة الجدران والحواجز ضد الدول المجاورة (المكسيك خصوصاً)، إلى الخروج من اتفاقيات المناخ ومؤسسات تابعة للأمم المتحدة، إلى كسر تقاليد الرئاسة نفسها في البيت الأبيض في مسائل الإعلام وإغراق الإدارة بالمقرّبين، عائلياً وتجارياً بشكل خاص.

الهجمة الأميركية الجديدة سيكون لها أثر كبير في المنطقة. إعادة ترتيب أوراق الصراع والعلاقات على أساس مواجهة مفاعيلها واستهدافاتها، خصوصاً في شقها الصهيوني، هي الأولوية كبرى. مرة جديدة، المستهدف، هو كل الشرق الأوسط وكل مصائر ومصالح شعوبه، وضمن صراع تدميري، تكون انقسامات العرب، وتغذية هذه الانقسامات بالاحتراب الأهلي، على أسس قومية أو دينية (التطرف والتكفير الإرهابي) أو مذهبية، هي الأداة الأفعل لانتحارهم وتصفية قضاياهم ومصالحهم، ولاستتباعهم وإخضاعهم...

* كاتب وسياسي لبناني

الحدث

أكّد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أن الحزب يقاتل في سوريا بطلب من القيادة السورية. وأنه يخرج من سوريا فقط متى تطلب منه القيادة السورية ذلك. وفي مناسبة يوم القدس العالمي، توجّه برسالة إلى الصهاينة قائلاً: «عودوا من حيث جئتم»

نصرالله للصهاينة: ارحلوا

أطلّ الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في يوم القدس العالمي، ليقدّم ملخّصاً عن تطوّرات الصراع مع العدو الإسرائيلي في يوم القدس العالمي. وبلا شكّ، فإن اختيار مارون الراس لإحياء الذكرى، وهي البلدة التي شكّلت رمزاً لهزيمة نخبة جيش العدو الإسرائيلي في حرب تمّوز 2006، تشكّل دلالة كبيرة في مجرى الصراع لقربها من فلسطين، ورسالة اختصرها نصرالله بالقول إنها «روح التحدي».

انطلق نصرالله شارحاً هدف الإمام الخميني من وراء إعلان يوم القدس، لـ«تبقى قضية القدس حاضرة في وجدان الأمة ويتضامن معها كل شعوب العالم، فالقدس هي حقيقة وجوهر الصراع الذي يدور منذ أكثر من 70 عاماً ورمزه وعنوانه». والأخطر بنظر نصرالله هذا العام، هو «الحديث حول صفقة القرن التي تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية وتسليم القدس والمقدسات للكيان الغاصب». واعتبر أن القدس «اليوم أمام تحديات ثلاثة، أولها معركة ألا تعترف دول العالم بها عاصمة لإسرائيل وألا يستسلموا للقرار الأميركي، التحدي الثاني هو الديمغرافيا وتغيير الهوية السكانية للمدينة المقدسة، والثالث يتعلق بالمقدسات وهنا الرهان على المسلمين والمسيحيين في المدينة». وأكد أن «الرهان الأساسي هو على بقاء سكان القدس في منازلهم ومدينتهم، وحكومة العدو عجزت عن تحقيق أي تغيير في البنية الديمغرافية للقدس على رغم محاولاتها على مدى سنوات»، وقال إن «من يحمي هوية المدينة ومقدساتها هم المقدسيون بالدرجة الأولى على رغم كل أوضاعهم القاسية، والواجب على بقية المسلمين في العالم مساعدة المقدسيين بالمال لكي يصمدوا في المدينة». وكشف أن «بعض العرب من الخليج يعمدون إلى شراء منازل من المقدسيين بدل مساعدتهم على البقاء، عُرض على أحد المقدسيين مبلغ 20 مليون دولار مقابل شراء منزله وهذه صورة عن المؤامرة ضد القدس»، مؤكداً أن «مساعدة المقدسيين بالمال للصمود هو خط الدفاع الأول عن القدس».

وأشار نصرالله إلى أن أخطر ما يحصل اليوم هو التأويل الديني والمبررات التي تصدر من الخليج وتعطي حقاً للصهاينة في القدس، لافتاً إلى أن «ما يحصل مع القدس اليوم يشبه فتاوى وعاظ السلاطين في قضية قيادة المرأة للسيارة في السعودية»، مشدّداً على أن «مسؤولية العلماء ووسائل الإعلام وكل صاحب قلم هي مواجهة الفكر التحريفي لقضية القدس». ولفت إلى أن الأعداء «يراهنون على انقلاب الأولويات لدى أجيالنا وهنا تكمن معركتنا أي تحصين بيئتنا الاستراتيجية، فالغالبية الساحقة من عشرات الآلاف التي تتوجه إلى السياج الحدودي هم من الشباب وهذا مؤشر إيجابي»، وأن «الشعب الفلسطيني كله من قيادات سياسية وفصائل وشباب يتعرضون لضغوطات هائلة للقبول بصفقة القرن لكن هذا الشعب لن يتنازل عن قضيته».

على الصهاينة أن يعترفوا بهزيمتهم وفشلهم في سوريا (أ ف ب)

واعتبر أن خروج العديد من المسيرات والفعاليات المختلفة في إيران وتركيا والهند وأفغانستان ونيجيريا وتنزانيا وعدد من الدول في أوروبا الشرقية والغربية وعدد كبير من دول أميركا اللاتينية وكندا دليل على أن القضية حية حتى خارج العالم العربي، مؤكّداً أن «كل مكان في العالم العربي يقع تحت ضغط المحور الأميركي الإسرائيلي السعودي ممنوع عليهم حتى التنفس في أي موضوع يتعلق بالقدس». وفيما أكّد أن «الأنظمة العربية منعت خروج الشعوب إلى الساحات ضد قرار ترامب»، حيّا نصرالله الشعب اليمني ومدن اليمن التي خرجت فيها تظاهرات صنعاء وصعدة وحديدة، التي تواجه أكبر حشد أميركي وعدواني لإسقاطها، مؤكّداً أن «اليمنيين هم العرب الحقيقيون لا الدجالون الذين يقتلون الأطفال والنساء». وأشار إلى أن «نظام البحرين يتجه إلى مزيد من التطبيع وصولاً للإعلان أن لإسرائيل الحق في أن تدافع عن نفسها في الجولان».

> **غرض على احد المقدسيين 20 مليون دولار مقابل منزله**

وأكّد أن إيران ما كانت لتواجه «كل هذا العداء الأميركي الإسرائيلي الخليجي لو أن الإمام الخميني تخلى عن فلسطين»، وأن «الجمهورية الإسلامية مع الإمام الخميني والخامنئي تؤكد منذ 39 عاماً موقفها المطلق والحازم بالوقوف مع الشعب الفلسطيني». واعتبر نصرالله أن «كل من يعادي إيران من الطبيعي أن يجد نفسه حليفاً لإسرائيل، وشعوبنا معنية بتحويل إيران إلى عدو»، وقال للذين «يراهنون على إسقاط النظام الإسلامي في إيران أقول لهم إن رهانهم أوهام وسراب، والشعب الإيراني الذي يقرأ القرآن والأدعية باللغة العربية لساعات تمسكاً بدينه وقائده لن يتخلى عن النظام الذي بناه بالآف الشهداء».

وعن العراق، قال إن «داعش التي جاءت بها أميركا وإسرائيل والسعودية هزمها العراقيون ونرى اليوم عروضات عسكرية في يوم القدس العالمي في بغداد»، وأن «موقف المرجعية في النجف الأشرف موقف تاريخي وتقليدي ومعروف، والعراق الذي أرادته هذه القوى بلداً محتلاً لم ولن يكون كذلك».

أما حول سوريا، فأكد أنها «تعرضت لحرب كبرى استخدمت فيها كل الوسائل واليوم المساحة الكبرى من سوريا أصبحت آمنة، والإسرائيليون أكدوا قبولهم أي حل غير بقاء الرئيس بشار الأسد». وحول التطورات الأخيرة والتصريحات التي يخرج بها قادة العدو، قال نصرالله إنه «الآن أصبح العدو الإسرائيلي يتحدث أن المعركة في سوريا باتت إخراج إيران وحزب الله من سوريا»، مؤكّداً أنه «على الصهاينة أن يعترفوا بهزيمتهم وفشلهم في سوريا». وكرّر أنه «ذهبنا إلى سوريا لفهمنا أن ما يجري هو مؤامرة تستهدف كيان وشعب سوريا ومحور المقاومة وللدفاع عن عمود المقاومة في المنطقة، ولم نذهب إلى سوريا من أجل مشروع خاص في الشؤون الداخلية السورية». ونفى أن يكون لحزب الله أي مشروع خاص في سوريا على الإطلاق، و«نحن موجودون في سوريا حيث يجب أن نكون موجودين فحسب، بناء على طلب الحكومة السورية، وعندما ينجز الهدف في سوريا سنعتبر نفسنا انتصرنا بمساهمتنا في الانتصار السوري الكبير على الحرب الكونية، وعندما تنهار الجماعات المسلحة في سوريا عندها نعتبر أنفسنا أنجزنا المهمة والانتصار وسنكون سعداء عندما نستعيد شبابنا ورجالنا إلى قراهم وعائلاتهم في لبنان ونشعر بالنصر وأننا أنجزنا المهمة في سوريا». وفي الوقت نفسه الذي أصرّ فيه نصرالله على القول إن خروج الحزب مشروط بطلب من القيادة السورية، أكّد أنه «لو اجتمع العالم كله ليفرض علينا الخروج من سوريا فلن يستطيع إخراجنا». وختم بالقول إن «القدس ستنتصر وستعود لأهلها وهذا إيمان قطعي وعقائدي وتاريخي»، موجّهاً رسالة إلى «الصهاينة الغزاة المحتلين اركبوا سفنكم وطائراتكم وعودوا من حيث جئتم»، و«يوم الحرب الكبرى قادم وهو اليوم الذي سنصلي فيه جميعاً في القدس».

(الأخبار)

«يوم القدس» مختلفاً في غزة

إحياء الذكرى بالمواجهات

مر «يوم القدس» مختلفاً على غزة هذه السنة، إذ أحياه الفلسطينيون بمواصلة «مسيرات العودة» للجمعة الحادية عشرة على التوالي. مقررين أن يقيموا صلاة العيد على الحدود أيضاً، لكن مع أخذ «استراحة محارب» قصيرة يوم الجمعة المقبل لعيادة أهالي الشهداء والجرحى

(أ ف ب)

شهدت حدود قطاع غزة ومدن الضفة المحتلة مسيرات كبيرة أمس إحياءً لـ«يوم القدس العالمي»، وذلك في الجمعة الحادية عشرة من فعاليات «مسيرة العودة الكبرى وكسر الحصار»، وأيضاً مع ذكرى النكسة واحتلال مدينة القدس. فبينما توافد الآلاف الفلسطينيين إلى «مخيمات العودة» المنصوبة في خمس مناطق في القطاع، وهي تبعد أقل من 700 متر عن السياج الفاصل مع الأراضي المحتلة، اندلعت مواجهات موازية بعد صلاة الجمعة في أكثر من محور في الضفة.

وبجانب وقوع إصابات كثيرة ومتنوعة أمس، أعلن استشهاد الشابين زياد البريم (شرق خان يونس) وعماد أبو دراببه (شرقي جباليا) والفتى هيثم الجمل لتستقر حصيلة الشهداء على 126 فلسطينياً منذ 30 آذار الماضي، منهم 13 طفلاً وسيدة، فيما أصيب 13672 بجراح مختلفة، زاد عليهم أمس 440 إصابة؛ بينها 80 بالرصاص الحي، وفق المتحدث الرسمي باسم وزارة الصحة أشرف القدرة.

أما في الضفة، فأحرق شبان قرية النبي صالح برج المراقبة المقام عند مدخل القرية، بعدما اقتحموا المنطقة وقضوا السلك الشائك المقام حوله، ويأتي ذلك بعد يومين على إعدام قوات الاحتلال الشاب عز الدين التميمي (21 عاماً). وحتى السادسة مساء، أعلنت «الهيئة الوطنية العليا لمسيرة العودة وكسر الحصار» اختتام فعاليات «مليونية القدس»، داعية إلى أداء صلاة عيد الفطر في مخيمات العودة الخمسة، كما دعت إلى اعتبار يوم الجمعة المقبل «يوم الوفاء للشهداء والجرحى... بزيارة ذويهم في جمعة التراحم والمواساة».

تعقيباً على ذلك، رأت «حركة المقاومة الإسلامية» (حماس) أن الاحتشاد في يوم «القدس العالمي» يؤكد أن «مسيرات العودة مستمرة بقوة». وقال المتحدث باسم «حماس» فوزي برهوم، في تغريدة على «تويتر»، «تلك الحشود الكبيرة تؤكد استمرارية مسيرة العودة مهما بلغت التضحيات حتى تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني، وعلى رأسها إنهاء حصار غزة». أما القيادي في الحركة، خليل الحية، فقال إن «المقاومة ستكون بالمرصاد للاحتلال الإسرائيلي إذا تغوّل على مسيرات العودة... أو حاول أن يغيّر قواعد إطلاق النار». وأشار إلى أن «أطرافاً محلية وإقليمية ودولية تتحدث عن توجه دولي وحراك لإنهاء الحصار»، لافتاً إلى أنهم يسمعون عنه في بعض اللقاءات والإعلام، لكنه لم يتبلور بعد. من جهته، قال القيادي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» جميل مزهر، إنه «لا يمكن أن نقبل مقايضة الحقوق الوطنية بأي قضايا ذات بعد إنساني... نحن نناضل من أجل قضية وطنية وثوابت وطنية». وأضاف في حديث صحافي من مسيرات شرق غزة، أن «المحاولات المستمرة للالتفاف على مسيرات العودة ستفشل أمام إرادة الشعب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال».

في المقابل، تواصلت الحرائق في الأحراج المحيطة بالمواقع العسكرية الإسرائيلية في «غلاف غزة» أمس بفعل طائرات ورقية حارقة أطلقت من غزة. وذكرت وسائل إعلام عبرية أن حرائق اندلعت في مستوطنات «نيرعام» و«بئيري» و«كيسوفيم» و«كرم أبو سالم» و«مفلاسيم» و«شاعر هنيغف»، كما أفادت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن مستوطناً أصيب إصابة طفيفة جراء استنشاقه دخان حريق اندلع في منطقة «كرم أبو سالم». وفي وقت لاحق، قالت القناة الثانية العبرية إن جندياً أصيب بجروح طفيفة برصاص قناص من غزة. يأتي هذا بعدما أعاد جيش العدو رفع حالة التأهب في صفوف قواته ودفع بآلاف الجنود لمواجهة تظاهرات أمس، إذ قالت القناة العاشرة إنه تقرر نشر فرق من الوية «جولاني» و«جفعاتي» و«اللواء 401»، بالإضافة إلى وحدات القناصة والوحدات الخاصة.

إلى ذلك، أدى نحو 290 ألف مواطن، من مختلف مناطق القدس وأراضي 1948 وممن انطبقت عليهم شروط الاحتلال من سكان محافظات الضفة المحتلة لدخول المدينة، صلاة الجمعة الرابعة «اليتيمة» من رمضان في المسجد الأقصى، بعدما كان الاحتلال قد استعد لهذه الجمعة بالدفع بالمزيد من وحداته ودورياته ونشرها في المدينة ومحيط البلدة القديمة والمسجد.

سوريا

نشاط على جبهات «داعش»... من السويداء إلى دير الزور

ارتفع زخم التحركات العسكرية على الجبهات المشتركة مع «داعش» في ريف السويداء الشرقي. وفي عدد من بلدات وادي نهر الفرات الواقعة على الضفة الجنوبية. وسط تلميحات أميركية جديدة ببقاء طويل الأمد لقوات «التحالف» في سوريا

من عرض عسكري أجرته فصائل مسلحة في درعا أول من أمس (أ ف ب)

تواصل تحرك الجيش السوري البري ضد «داعش» في بادية السويداء الشرقية، لليوم الثاني على التوالي، وتخللته معارك متقطعة على محاور عدة، أفضت إلى تقدّم وحدات الجيش في بعض النقاط هناك. إذ سيطر على منطقة سوح المجيدي ومدرسة ورحبة المشيرفة انطلاقاً من تل الأصفر، كما تقدم من محور عملياته الأول في شرق منطقة الساقية بنحو سبعة كيلومترات، إلى جانب تقدم واسع من محور الزلف وباتجاه تل الصفا. وخلال تلك المعارك حاول التنظيم أمس، معاودة الهجوم بعد تراجعه إلى المناطق الوعرة، ليتقدم على عدد من النقاط ويعود للانسحاب منها تحت ضغط الجيش. وينتظر أن تستكمل العمليات في هذه المنطقة على هذا المنوال، وحتى يتم استنزاف مقاتلي التنظيم تمهيداً لإنهاء وجودهم في البادية الممتدة بمحاذاة قرى السويداء، والتي بقيت لسنوات ممراً لتهريب السلاح والمسلحين لمختلف الفصائل المسلحة نحو ريفي دمشق ودرعا، وبالعكس. وفي موازاة المعارك ضد التنظيم في البادية الجنوبية، جدد الأخير هجماته عبر نهر الفرات على عدد من بلدات الضفة الجنوبية، انطلاقاً من مواقعه في محيط بلدة هجين وامتدادها جنوباً نحو باغوز شمال البوكمال، على الجانب الآخر من النهر. وعلى خلاف ما تم تناقله من أنباء عن سيطرة التنظيم على أحياء داخل مدينة البوكمال، فإن هجمات التنظيم تركزت على المناطق المحاذية لطريق الميادين ـ البوكمال، وليس على المدينة نفسها. وقد بدأت تلك الهجمات فعلياً بشكل متقطع قبل نحو أسبوعين، وانطلقت بالتزامن من الضفة الشمالية للفرات، كما من داخل جيب البادية، باتجاه بلدات ريف الميادين. وكان أعنف تلك الهجمات، قبل نحو أسبوع، حيث استهدفت جسر الحسرات ومحيط حقل الحمّار والجلاء، وتمكّن الجيش من التصدي لها واحتوائها. وحتى وقت متأخر من ليل أمس، دارت اشتباكات متقطعة في عدد من النقاط، مع وصول تعزيزات لقوات الجيش إلى محاور بلدات وادي الفرات. وحاول التنظيم خلال الهجمات الماضية، استغلال عاملين رئيسين؛ الأول هو تركيز جزء من قوات الجيش على جيب البادية الذي يسيطر عليه التنظيم، حيث تم إطلاق عمليات للسيطرة على عدد من التجمعات السكنية الصغيرة الموجودة داخله، والثاني هو وقف «التحالف الدولي» للعمليات العسكرية في محيط باغوز وهجين، وانتقال تركيزه نحو منطقة الحدود، وهو ما أعطى «داعش» حرية التخطيط لهجمات عبر نهر الفرات ضد مواقع الجيش السوري.

وجاءت تلك التطورات، متزامنة مع تحذير وزير الدفاع الأميركي جايمس ماتيس، من سحب قوات بلاده و«التحالف» من سوريا، معتبراً أن ذلك سوف يكون «خطأ استراتيجياً». ولفت بوضوح إلى أنه «في الوقت الذي تشارف العمليات العسكرية على نهايتها، يجب أن نتفادى ترك فراغ في سوريا يمكن أن يستغله نظام (الرئيس بشار) الأسد أو داعموه»، مضيفاً: «معركتنا لم تنته. علينا أن نكبّد تنظيم داعش هزيمة دائمة، وليس فقط في ميدان واحد». وأعاد ماتيس ربط وجود بلاده العسكري في سوريا، بانطلاق «التسوية السياسية»، موضحاً أنه لا يجب رحيل تلك القوات «قبل أن يتوصل مبعوث الأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا إلى دفع عملية جنيف للسلام بتأييد منا جميعاً بقرار من مجلس الأمن».

وترافق كلام ماتيس وتحذيره من إفساح المجال أمام الحكومة السورية وحلفائها، مع اجتماع رئيسي أركان الجيشين الروسي والأميركي، فاليري غيراسيموف وجوزف دانفورد، أمس، في العاصمة الفنلندية هلسنكي حيث تم بحث الملف السوري وبخاصة اتفاقات «منع التصادم» بين جيشي البلدين على الأرض. وتوازياً مع الحديث الأميركي عن بقاء طويل في سوريا، أكد الرئيسان الروسي فلاديمير بوتين والصيني شي جين بينغ، ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي السورية واحترام سيادتها ودعم «التسوية السياسية». وأشار بيان مشترك لهما، عقب اجتماع عقداه في بكين، إلى التزام الطرفين بدعم مسارات المحادثات في جنيف وأستانا وسوتشي.

(الأخبار)

مسيرات حاشدة في إيران واليمن وسوريا والعراق

شهدت عواصم عربية وإسلامية وأخرى أجنبية مسيرات إحياء لـ«يوم القدس العالمي»، فيما شهدت العاصمة اليمنية صنعاء مسيرات حاشدة، رغم العدوان المستمر على البلاد منذ أكثر من ثلاث سنوات. ورفع المشاركون في تلك المسيرة أعلام الجمهورية اليمنية والأعلام الفلسطينية، كما شهدت المسيرة حضوراً نسائياً كبيراً، حيث ألقى عضو «المجلس السياسي» سلطان السامعي، كلمة الفعالية، قائلاً إن «التطبيع الذي تقوده السعودية والإمارات مع كيان العدو قد تجاوز ذلك ليمتد إلى تصفية القضية الفلسطينية وتمرير صفقة القرن». في غضون ذلك، خرجت في عشرات المدن والقرى في الجمهورية الإسلامية في إيران مسيرات كبيرة إحياء لليوم نفسه، وذلك بالتزامن مع مسيرات أخرى في كل من العراق وسوريا والبحرين وتركيا وباكستان. وشهدت العاصمة العراقية بغداد مسيرة حاشدة في شارع فلسطين.

(الأخبار)

العراق

استبق مقتدى الصدر ظهور نتائج إعادة العد والفرز اليدوي بإعلانه «تحالفاً» مع «تيار الحكمة» و«ائتلاف الوطنية». «تحالف» سرعان ما بادر إياد علاوي إلى «التبرؤ» منه، قائلاً إنه لا يرقى إلى أكثر من تفاهم. في موقف يشي بحالة الحذر والترقب التي تسود أوساط القوى السياسية العراقية في شأن ما ستفرزه عملية الإعادة

ترقّب لنتائج الفرز اليدوي
علاوي «يتبرأ» من التحالف مع الصدر

لم تكد تهدأ الزوبعة التي أثارها قرار تركيا ملء سد «إليسو» على نهر دجلة، مع إعلان السفير التركي في العراق، فاتح يلدز، تأجيل العملية إلى تموز/ يوليو المقبل، حتى اندلعت زوبعة تركية أخرى بإعلان أنقرة توغّلها لمسافة 30 كيلومتراً داخل شمال العراق، وتلويحها بعمليات ضد «حزب العمال الكردستاني» في جبال قنديل. تلويحٌ كان رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، ردّ عليه مُقدّماً في مؤتمره الصحافي الثلاثاء الماضي، بتأكيده استعداد بغداد للتنسيق مع أنقرة منعاً لأي هجمات ضد تركيا عبر الحدود، مطالباً في الوقت نفسه الأتراك باحترام السيادة العراقية، وملمّحاً إلى أن الغرض من الحديث التركي المستجد عن «العمال الكردستاني» إنما هو لأسباب داخلية. لتلميح لا يبدو بعيداً من الواقع بالنظر إلى الطابع المفاجئ الذي حملته التصريحات التركية، وذلك بعد قرابة 3 أشهر من أزمة مدينة سنجار، التي انتهت بانسحاب عناصر «بي كا كا» من المدينة وانتشار القوات العراقية داخلها.

وأياً تكن خلفيات تهديد الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، أول من أمس، ومعه رئيس وزرائه، بن علي يلدريم، أمس، بـ«التوغل أكثر» لـ«منع التسلل والأنشطة الإرهابية»، فالمؤكد أن هذه التهديدات ستضيف تعقيداً جديداً إلى المشهد العراقي، الذي لا يفتأ متقلّباً منذ إجراء الانتخابات النيابية في 12 أيار/ مايو الماضي. وعلى رغم أن «مجلس القضاء الأعلى» وجّه بدء إجراءات إعادة العد والفرز على أساس يدوي استناداً إلى القانون الأخير الصادر عن البرلمان العراقي، إلا أن ذلك لم يمنع تحالف «سائرون» المدعوم من زعيم «التيار الصدري»، مقتدى الصدر، من إعلان «تحالف» مع «تيار الحكمة» بزعامة عمار الحكيم، و«ائتلاف الوطنية» بقيادة إياد علاوي، فيما أشار إلى اطمئنان الصدر إلى أن نتيجة الفرز اليدوي لن تؤثر في شكل كبير في حجم كتلته.

وأعلن، مساء أول من أمس، في سنجار، التي انتهت بانسحاب بين الكتل المشار إليها أعلاه باسم «تحالف الأغلبية الوطنية الأبوية». وجاء في وثيقة التحالف التي تمّ توزيعها على الصحافيين، أنه تم الاتفاق على 12 مبدأً لعلّ أهمّها ما يلي: «حصر السلاح بيد الدولة

> يبدو «تحالف الكرابلة» عرضة لخسارة عدد من مقاعده

ومنع عسكرة المجتمع»، و«تضمين البرنامج الحكومي آليات مكافحة الفساد ومحاكمة الفاسدين»، و«بناء علاقات إقليمية ودولية على أساس المصالح المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية».

وعلى رغم أن الوثيقة جاءت تحت عنوان واضح هو «التحالف»، إلا أن «ائتلاف الوطنية» سرعان ما بادر إلى نزع صفة «التحالف» عن الخطوة، موضحاً أن ما اتّفق عليه هو «ورقة عمل تتضمن المبادئ الأساسية التي لا بد من توافرها في أي تحالف سياسي قد تنتج عنه الكتلة النيابية الأكبر». وأشار المكتب الإعلامي لـ«الوطنية»، في بيان، إلى أن «الائتلاف كان ولا يزال حريصاً على أن تكون التفاهمات مع جميع الأطراف والكتل الفائزة... من دون أن يُصار إلى إعلان الكتلة الأكبر كواقع حال ليلتحق به الآخرون». موقف يشي بأن ائتلاف علاوي يؤثر الحذر في تفاهماته قبيل ظهور نتائج الفرز اليدوي الذي تدور التوقعات حول استغراقه أسبوعاً، تحسباً للنتائج الجديدة التي ستفرزها العملية، والتي قد تتطلب من اللاعبين تموضعاً سياسياً مغايراً لما اقتضته نتائج تصويت 12 أيار.

في هذا الإطار، تذهب معظم الترجيحات إلى أن التغييرات ستطاول بمعظمها الكتلتين «السنية» والكردية، مع تعديلات محدودة بالنقصان أو بالزيادة على التحالفات «الشيعية». والظاهر، وفق ما هو متداول، أن أكثر المستفيدين من عملية إعادة العد والفرز على المقلب الكردي سيكون تحالف المعارضة الذي رفض الاعتراف بنتائج الانتخابات، مُتحدّثاً عن عمليات تزوير كبيرة شابتها في إقليم كردستان ومحافظة كركوك. وانطلاقاً من ذلك، يبدو مفهوماً السخط المتزايد داخل أروقة الحزبين الكرديين الرئيسين على إلغاء نتائج التصويت الخاص في إقليم كردستان (تصويت البشمركة) وإعادة العدّ والفرز يدوياً. ورأى «الحزب الديموقراطي الكردستاني» (بزعامة مسعود برزاني)، أمس، أن «إلغاء التصويت الخاص في الإقليم فيه استهداف سياسي واضح»، مُجدداً القول إن «إلغاء نتائج الانتخابات ليس من صلاحية مجلس النواب». وأكدت كتلة الحزب في البرلمان «(أننا) لن نقبل بمصادرة حقنا بأي شكل من الأشكال لمصلحة إعادة من خسر في الانتخابات»، مُهدّدة بأنه «في حال تم تغيير مقاعدنا وإعادة الخاسرين فسيكون لنا موقف صارم وحازم تجاهه».

أما على المقلب «السني»، فيبدو «تحالف الكرابلة» بزعامة محمد الكربولي عرضة لخسارة عدد من مقاعده لمصلحة قوى وشخصيات «سنية» أخرى كسليم الجبوري رئيس مجلس النواب الحالي. وهاجم الكربولي، أمس، النواب الخاسرين «الذين رفضوا فكرة العد والفرز اليدوي قبل الانتخابات، ولكن عندما ضُربت مصالحهم الشخصية عادوا إليها»، واصفاً الاتهامات الصادرة عن هؤلاء بأنها «حديث تلفزيوني استعراضي»، ومعتبراً أن «المغتربين العراقيين والنازحين داخل البلاد خارجها لا ذنب لهم لحذف أصواتهم بحجة التزوير».

(الأخبار)

اليمن

معركة الحديدة مُجمّدة: الأميركيون يخشون «ضعف إرادة القتال»

لا يزال الـ«فيتو» الذي وضعته الولايات المتحدة الأميركية على مواصلة «التحالف» هجومه الهادف إلى السيطرة على مدينة الحديدة مثار جدل في الأوساط السياسية والإعلامية اليمنية والغربية. وفيما تحاول واشنطن الاستفادة من الزخم الذي تولّده الدعوات الأممية المستمرة إلى تجنيب المدينة العمليات العسكرية للإيحاء بأن اعتراضها إنما نابع من مقتضيات ذات طابع إنساني، ينبري تقهقر الحملة التي أُطلقت قبل أسابيع قليلة تحت اسم «الرعد الأحمر» لـ«تحرير الحديدة» بأن القرار الأميركي مردّه إلى الخشية من الانجرار إلى مربع استنزاف جديد، لن يفيد الحلفاء وستكون له تكلفته على الإدارة الأميركية التي كانت تأمل بمعركة «قصيرة وحاسمة وباقلّ نسبة خسائر ممكنة». وانضمّت منسقة الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في اليمن، ليز جراندي، أمس، إلى صفوف المحذرين مما يجري في محافظة الحديدة، قائلة إن «أي هجوم أو حصار عسكري للحديدة سيؤثر على مئات الآلاف من المدنيين الأبرياء».

وأشارت، في بيان، إلى «(أننا) نخشى أن يفقد ما يصل إلى 250 ألف شخص، في أسوأ الحالات، كل شيء بما في ذلك حياتهم». تحذير يمثل استكمالاً لسلسلة مطالبات أممية ودولية صدرت أخيراً بوقف عمليات التحشيد باتجاه مدينة الحديدة، واستفادت منها واشنطن لإعلانها رفض «جهود الإمارات للسيطرة على المدينة»، بدعوى أن الولايات المتحدة «لن تدعم أي أعمال ستؤدي إلى التدمير ومزيد من التدهور في الوضع الإنساني»، علماً بأن الأميركيين لم يظهروا الحرص نفسه في وقائع أخرى راح ضحيتها الكثير من المدنيين اليمنيين. هذه المفارقة يقرأ فيها كثيرون وعياً لدى الإدارة الأميركية بفاتورة «تحرير الحديدة»، والتي رسمت بعضاً من معالمها العمليات الأخيرة لـ«أنصار الله» على الساحل الغربي، حيث تمكّنت من تكبيد القوات الموالية للإمارات خسائر بشرية ومادية فادحة. ومن هنا تأتي التحذيرات الأميركية للإماراتيين في اتجاهات ثلاثة: أولها أن العمليات ستكون بطيئة ومكلفة، وثانيها أنها ستُضاعف العبء الإنساني على واشنطن وحلفائها،

> دفعة جديدة من الصواريخ الباليستية على قواعد في نجران وخميس مشيط

أن القوات المحلية المدعومة من أبو ظبي على الساحل الغربي تعاني من «ضعف إرادة القتال»، مذكّراً بما آلت إليه «عمليات شرق المخا التي لم تجر كما كان مخططاً لها» بحسب ما تنقل الوثيقة عن الحرس الرئاسي الإماراتي.

المسار الذي اتخذته المواجهات على الساحل الغربي، والذي لن يؤدي ـ حتى في حال الوصول إلى مدينة الحديدة ـ إلى حسم الحرب لمصلحة الرياض وأبو ظبي كما تأمل العاصمتان، يوازيه مسار عسكري متواصل على الحدود الشمالية مع المملكة، حيث يتابع الجيش واللجان تعزيز مكتسباتهما في مناطق جيزان وعسير ونجران، وثالثها أنها لن تضمن تحقق إنجاز فعلي حتى لو تمّت السيطرة على ميناء الحديدة، الذي سيبقى يتلقى «مضايقات انتقامية متفرقة». ولعلّ ما نشره أمس موقع «ذي إنترسبت» الأميركي، نقلاً عن تحليل عسكري أجراه الجيش الأميركي، يبرز بوضوح تلك التحذيرات، إذ يؤكد التحليل

> دفعة جديدة من الصواريخ الباليستية على قواعد في نجران وخميس مشيط

يرى الأميركيون أن الهجوم على الحديدة سيكون مكلفاً ومن دون مردود استراتيجي (أ ف ب)

دفعة من الصواريخ الباليستية على «قواعد عسكرية في نجران وخميس مشيط»، في حين تم التصدي لمحاولة تقدم للجيش السعودي والمقاتلين الموالين له باتجاه موقع الشبكة في نجران، «ما أدى إلى مصرع وجرح جنود سعوديين»، وفي منطقة عسير، تصدّى مقاتلو الجيش واللجان لمحاولة مماثلة اشترك فيها قوات سودانية قبالة منفذ علب، ما أسفر عن تكبيد المهاجمين «خسائر فادحة في العدد والعتاد».

على خط موازٍ، وفي ما يبدو ترجمة لمحاولات التهدئة التي قادها ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، أخيراً، بين الإمارات من جهة وحكومة الرئيس المستقيل، عبد ربه منصور هادي، من جهة أخرى، عاد وزير الداخلية في حكومة هادي، أحمد الميسري، مساء الخميس، إلى مدينة عدن، حيث أعلن الاتفاق على «ترتيب العمل الأمني تحت قيادة وزارة الداخلية»، قائلاً إن هذا الاتفاق سيتحول إلى «واقع ملموس على الأرض في المناطق المحررة، وفق خطة زمنية أعدّت لذلك».

(الأخبار)

مقالة

الإمارات:
من فقاعة فوق الرمال إلى «إسبارطة الصحراء»

إريتريا أيضاً في الحرب على اليمن. ليس للدولة الفقيرة، التي يحكمها أسياس أفورقي منذ التسعينات، لا جيش ولا مرتزقة للقتال ضد اليمنيين، كما فعلت السودان. لكنها مع ذلك تقدم ـ للحرب على اليمن ـ القاعدة الأساسية في ميناء عصب، حيث تنطلق منها القوات الإماراتية في عملياتها ضد صنعاء. ومن دون التوسع الإماراتي، المبكر على الساحل الإريتري المقابل للحديدة اليمنية، لم يكن للإماراتيين أن يملكوا فرصة الوقوف اليوم على رأس الحملة التي يجري إعدادها لقطع شريان الحياة العسكري والأهلي عن صنعاء، أو الضغط عليها لإملاء شروط «التحالف» على «أنصار الله»

وليد شرارة ـ محمد بلوط

«الإمبريالية» الإماراتية في البحر الأحمر والمحيط الهندي سبقت النزاع اليمني بسنوات. ولكن أصغر «الإمبرياليات» الخليجية التي لا تتجاوز المليون نسمة، مسلحةً بموارد غير محدودة تقريباً تستند إلى 700 مليار دولار من الناتج القومي الخام (عام 2017)، تحصد اليوم ثمار سياسة انتشار وتوسّع لم تتوقف منذ مطلع الألفية الثالثة.

صحيح أن الإماراتيين يملكون خبرة تعود إلى القرن الرابع عشر في البحار التي تحيط بشبه الجزيرة العربية، يتفوّقون فيها على دول الخليج العربية الأخرى، إلا أنهم بخلاف أقرانهم يضعون خبرتهم في خدمة مشروع يطمح إلى بناء «إمبريالية إقليمية» تطوق شبه الجزيرة العربية وشرق أفريقيا، بسلسلة من القواعد، لا تهدف فقط إلى احتواء إيران أو محاربة الإرهاب، بل تذهب أبعد من ذلك. وعلى خطى السوفيات في الحرب الباردة حول البحر الأحمر سار الإماراتيون، بل وورثوا قواعدهم في الصومال . في مرفأي بربرة وبوصاصو، وميناء عصب في إريتريا، ونزلوا في جزيرة سقطرى جنوب اليمن، وأقاموا هيئة أركانهم المشتركة في جزر حنيش اليمنية، ونزلوا في قاعدة الكاظم في المرج الليبية.

يلعب الإماراتيون في ملعب الكبار بل ينافسون في البحر الأحمر والمحيط الهندي، قوى بحرية كبيرة أقامت حتى الآن خمس قواعد لها في جيبوتي: الصين التي وصلت العام الماضي بحجة مواجهة القرصنة، وليس كخطوة أولى للخروج من بحر الصين الجنوبي، والمشاركة في حماية طرق تجارتها؛ وهناك فرنسا القوة الاستعمارية السابقة التي أبقت جنودها في قاعدة بحرية أقامتها منذ قرن؛ وتستقبل قوات ألمانية وإسبانية، فيما يفضل الإيطاليون قاعدة مستقلة، فضلاً عن الولايات المتحدة التي جاءت بأربعة آلاف جندي إلى جيبوتي، بعد هجمات أيلول 2001.

وأيضاً، على مداخل الممرات الاستراتيجية، كباب المندب أو بالقرب من مضيق هرمز أو على طول الطريق البحري الذي يتحكم بأهم خطوط التجارة العالمية من خليج عدن والقرن الأفريقي وصولاً إلى المتوسط عبر قناة السويس.

ويعتمد علوّ الطموح البحري الإماراتي على قوة متواضعة مؤلفة من 2500 بحار فحسب. ويعمل هؤلاء على 11 سفينة سريعة وأربع ناقلات للقوات وسفينة تموين وحيدة، وثماني سفن دورية، واثنتين هجوميتين، وكاسحتي ألغام. كذلك يحمل المشروع التوسّعي الإماراتي 65 ألف جندي و464 دبابة و2000 مدرعة، وقوة جوية من أربعة آلاف رجل، يديرون 500 مروحية وطائرة، من بينها 210 مقاتلات.

ومن دون التحولات الكبرى التي تعصف بالإقليم بأسره، من مصر وليبيا وسوريا وحربها الأهلية ـ الإقليمية، فاليمن، ما كان للإمارات أن تنقلب إلى إسبارطة في قلب شبه الجزيرة العربية، بعد أن كانت لعقود دولة «عادية» تندرج تحت المظلة السعودية والأميركية. تهادن إيران، وحتى تنظيم «القاعدة»، حماية لإزدهارها التجاري من التقلبات والنزاعات الإقليمية. شكّلت الإمارات العربية المتحدة، وخصوصاً دبي، نموذجاً للرأسمالية في طورها النيوليبرالي، مما حدا بالفكر مايك ديفيس، إلى عنونة كتابه «مرحلة دبي في الرأسمالية». عن دبي، يقول مفكر آخر هو كريستوفر لاش، في كتابه «انتفاضة النخب»: «دبي هي تجسيد لأحلام الرجعيين الأميركيين، وواحة للاقتصاد الحر حيث لا ضرائب ولا نقابات ولا أحزاب معارضة. وكما هو مفترض في جنة الاستهلاك، فإن عيدها الوطني الذي يسهم في تظهير صورتها عالمياً، هو مهرجان التسوق الشهير الذي يرعاه 25 من أكبر المراكز التجارية في الإمارة. إن هذه المناسبة الجليلة للجنون الاستهلاكي تبدأ كل الثاني عشر من كانون الثاني، وتستقطب لمدة شهر 4 ملايين مستهلك من الطراز الرفيع.

ولكن للمعجزة الإماراتية جانبها المظلم أيضاً. يمكن القول إن المعجزة الإماراتية هي بحق، أولاً وقبل كل شيء، صنيعة دماء وعرق الملايين من العمال المهاجرين الذين يعيشون ما بين العبودية والسخرة، وقبلة الرقيق الأبيض والأصفر في عاصمة الدعارة على الخليج، ما بين باب المندب ومضيق هرمز. وهناك الموقع الجغرافي لدبي، واستراتيجية المزاوجة بين العسكري والتجاري للانتشار حول شبه الجزيرة. إذ توفر «شركة موانئ دبي» التي تدير أضخم مرفأ يطل على الخليج العربي، وتشارك في 69 مرفأ عالمياً، دور الرديف التجاري للانتشار العسكري. ففي الموانئ التي هجرها السوفيات، وصلت الشركة الإمارتية العام الماضي، قبل القوات الخاصة والبحرية والجوية الإماراتية، عبر اتفاقات تجارية قدمت فيها نصف مليار دولار، لتطوير المرفأ، والحصول على موطئ قدم في بربرة الصومالية، التي تتحكم بخليج عدن، لمنع الصينيين والأتراك من تطويرها ومنافسة مرافئ دبي أيضاً.

وهناك أيضاً الرساميل الإيرانية التي استخدمت الإمارة كمنصة تجارية، التفافاً على الحصار المستمر منذ 40 عاماً، والجاذبية الضريبية للمناطق الحرة فيها، وتغاضي النظام عن مصادر الأموال التي تحطّ في مصارفه. وهناك خصوصاً، ذلك التغير الذي أصاب وجهة دولارات النفط حيث لم تعد الولايات المتحدة بعد الحادي عشر من أيلول 2001، تلك الجنة الاستثمارية التي تستقطب الفوائض النفطية الهائلة.

وقبل صعودها العسكري في مآل طبيعي، كانت القوة المالية الإماراتية تتقدم في العشرية الماضية لتتصدر الرأسمال العربي، وتكتنز. إذ يقول تقرير «المؤسسة العربية لضمان الاستثمار وائتمان الصادرات» لعام 2016، إن أرصدة الاستثمارات الأجنبية المباشرة الصادرة من الدول العربية للعالم لعام 2016 بلغت 353,2 مليار دولار: حصة الإمارات منها نحو 113,2 مليار دولار أي 32,1 في المئة، وتلتها السعودية بقيمة 80,4 مليار دولار أي 14,5 في المئة، ثم الكويت بقيمة 31,3 مليار دولار أي 8,9 في المئة، ثم ليبيا بقيمة 20,9 مليار دولار أي 5,9 في المئة. وتتصدر الإمارات الاستثمارات الخليجية والعربية بحجم أصول تبلغ نحو 5,1 تريليون درهم (أي 1,39 تريليون دولار) بفضل قوة ضاربة من ستة صناديق سيادية تتفوق فيها على عداها من بلدان الخليج. ففي حين تملك الإمارات ستة صناديق سيادية (جهاز أبو ظبي للاستثمار، مؤسسة دبي للاستثمارات الحكومية، مبادلة للاستثمار، مجلس أبو ظبي للاستثمار، هيئة الإمارات للاستثمار، هيئة رأس الخيمة للاستثمار)، تملك الكويت صندوقها الوحيد في «الهيئة العامة للاستثمارات الكويتية»، وتملك السعودية صندوقين في «مؤسسة النقد العربي السعودي» (ساما)، و«صندوق الاستثمارات العامة السعودي»، ولقطر هيئة للاستثمار.

وبلغة أوضح، لعبت الإمارات دوراً مركزياً في الاقتصاد السياسي لتحالف دول الخليج مع الأنظمة الأمنية العسكرية العربية ما قبل الربيع العربي في مصر وتونس. وكان بديهياً أن تتصدر الإمارات الأنظمة العربية في الاستجابة لتحديات الربيع العربي. إذ بادرت للتصدي لقواه «الإخوانية» بسرعة أكبر من السعودية، بسبب مركزية النظام وقراره حول ولي عهدها محمد بن زايد، بينما حالت شيخوخة النظام السعودي في ظل الملك عبدالله بن عبد العزيز دون استجابته بسرعة مماثلة لنتائج الربيع العربي، لتركيبته متعددة الأقطاب، وتعقيدات آلية اتخاذ القرار. ولم يعد سراً اليوم أن محمد بن زايد لعب الدور الأول في تبسيط آليات اتخاذ القرار لدى جاره السعودي المتهالك، بدفعه محمد بن سلمان إلى الاستحواذ على السلطة في الرياض وتغيير هرمية النظام الملكي من أفقية إلى عمودية يحكمها القطب السلماني الواحد على صورة إمارات محمد بن زايد.

وفي سبيلهم نحو الخيار العسكري الذاتي والانتشار حول أسوار شبه الجزيرة لحماية فقاعتهم المالية، قرأ الإماراتيون خصوصاً، والخليجيون عموماً، تهديد الربيع العربي بصفته نتيجة مباشرة لتراخي إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما إزاء الزلزال الذي هز أركان شركائهم. وأحسّ هؤلاء بالعراء السياسي والأمني بعد أن تبيّن دعم إدارة أوباما لعمليات التغيير الجارية على حسابهم. وزاد إقدام الإدارة الأوبامية على «ارتكاب» الاتفاق النووي مع إيران في تموز من عام 2015، في قناعة هؤلاء بأن الولايات المتحدة لم تعد ذلك الحليف المؤتمن على ديمومة أنظمتهم. انتقلت المنظومة الخليجية للاعتماد على نفسها لحماية دولها من العدوى الثورية، وشنّت هجومها المضاد الذي أسقط «الإخوان المسلمين» في مصر وتونس.

كانت المحطة الثانية في الهجوم المضاد، هي احتواء إيران ومنعها من التمدد في الجوار اليمني المباشر. وهو أيضاً في دوافع الانتشار العسكري الذي يجعل من الإمارات أحد القوى الأكثر جدية داخل «التحالف» الدولي الذي يشن الحرب على اليمن، في قيادة العمليات العسكرية، أو في إدارة الصراع في عدن وفرض وصاية على اليمن الجنوبي. لكن الخلاصة الأساسية التي ينطوي عليها الانتشار الإماراتي، وتعاظم الإنفاق الإماراتي على التسلح في خط بياني صاعد من معدل 3 مليارات دولار في التسعينات إلى 9 مليارات في العقد الأول من الألفية الثالثة، إلى ما يقارب 20 مليار دولار في العقد الثاني، خصوصاً عام 2016، هو إدراك محمد بن زايد، منذ أن أدار الانقلاب في السعودية بولي العهد محمد بن سلمان، هشاشة النظام السعودي نفسه. ولا يزال التسلح الكثيف والبحث عن شراكات خارج الخليج والانخراط في شكل جدّي وشرس في الحصار البحري ضد اليمن لانتزاع انتصار لا يزال بعيداً، ينطوي قبل كل شيء، على خوف ابن زايد من سقوط النظام السعودي في أية لحظة خلال العملية الانتقالية المعقدة والصعبة التي لا يزال مناخرطاً فيها منذ عامين، ولا يسيطر خلالها على كل مفاتيح البقاء، فيما لا تزال شكوك كثيرة تعتري قدرته على البقاء والصمود أمام تهديدات يمكن أن تتبلور من اتجاهات مختلفة، تبدأ سواءً من المؤسسة الدينية الوهابية أو الاتجاهات الإصلاحية الإخوانية أو السلفية، وتمتد لتشمل كل الذين أقصاهم محمد بن سلمان، من سلم التوريث أو الربع من الأمراء السعوديين ورجال الأعمال، أو بعض شرائح الطبقة الوسطى التي تتذمر من إجراءات التقشف التي اتخذها بن سلمان لمعالجة العجز البنيوي في الموازنة، ونقص الإيرادات والإخفاق في تنويع الموارد والاستمرار في الاعتماد على الاقتصاد النفطي وحده.

من نافل القول إن دولة الإمارات العربية المتحدة تنهض بدور يتجاوز موقعها وحجمها، لكن الانتشار العسكري لن يكون مجدياً أمام استجلابها للتهديدات وتحديها لقوى ثقيلة وموازنة في المنطقة، لن تقوى على مواجهتها «إسبارطة الصحراء».

ليبيا

قبل شهر من الآن، حشد خليفة حفتر قواته وأطلق هجوماً على درنة، آخر المدن الكبرى الخارجة عن نفوذه في شرق ليبيا. اليوم، لم تبقَ سوى بعض أحياء مركز المدينة تحت سيطرة «قوّة حماية درنة». ومع اشتداد المواجهات، تكرّر الأمم المتحدة دعواتها لفتح منافذ آمنة وتجنّب استهداف المدنيّين، من دون أن يكون لذلك أثر كبير

تثبيت السّيطرة شرقاً: حفتر يقتحم درنة

سينتصر حتماً جيش حفتر في درنة، لكن السؤال هو: كيف وبأي ثمن؟ (أرشيف)

تونس ـ الأخبار

يوم الاثنين الماضي، خرج خليفة حفتر في خطاب ثانٍ لإعلان انطلاق المرحلة الثانية من «عمليّة تحرير درنة». في الأيام التالية، تكشّف القصف الجوّيّ الذي تساهم فيه طائرات مُسيّرة تتبع على الأغلب لسلاح الجوّ الإماراتيّ، فيما تحقّق تقدّم ميدانيّ، كانت تكلفته على مدى شهر من العمليات سقوط أكثر من مئة مقاتل من قواته، وتدمير عشرات الآليات من بينها مُدرّعات حديثة، وفي المقابل قُتل عدد كبير من المدنيّين وأصيبت أضرار بليغة البنية التحتيّة للمدينة.

منطق الحرب

بنى حفتر مجده العسكريّ في شرق ليبيا على أساس «محاربة الإرهاب»، وذلك منذ إطلاقه «عمليّة الكرامة» قبل أربعة أعوام. تسرّب تنظيم «داعش» إلى درنة، وبقي فيها إلى حين قيام حرب بينه وبين تحالف من المجموعات القتاليّة العاملة تحت اسم «مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها». استمر القتال أشهراً، إلى حين دُفع التنظيم للانسحاب نحو مدينة سرت. إلا أنّ المشكلة أنّ قوات حفتر لم تحارب «داعش» في درنة، كما لم تحاربه عند انسحابه وتمركزه في سرت.

حاصر «رجل الشرق القويّ» درنة منذ وقعت تحت سيطرة «مجلس الشورى» قبل نحو عامين، وعلى رغم تعدّد دعوات المصالحة التي جاءت من مؤسسات في غرب البلاد، ومن قبائل في الشرق، بقي الوضع على ما هو عليه حتى لحظة بداية الهجوم في الشهر الماضي، الذي جاء بعد مدّة قصيرة من عودة حفتر إلى بنغازي عقب رحلة علاجيّة في باريس.

لكنّ ما يثير الانتباه في هذه الحرب هو اختلاط العناصر المحليّة و«الدوليّة» التي يتركّب منها محور حفتر. فمحلياً، وإلى جانب كتائب انتقاميّة تُسمى «أولياء الدم»، وتشمل تشكيلات تحمل أسماء غريبة مثل «كتيبة ميّت ميّت»، تشارك في الهجوم مجموعات عسكريّة يغلب عليها الطابع السلفيّ «المدخليّ» (نسبة إلى الشيخ السعوديّ ربيع المدخليّ، الذي يُوجّه كلّ فترة رسائل إلى أتباعه في ليبيا)، وأخرى تشمل متطوّعين يُطلق عليهم اسم «شباب المناطق». من الناحية الدوليّة، وعلى رغم وجود حظر تسليح دوليّ على ليبيا، تحارب الإمارات ومصر منذ سنوات إلى جانب حفتر، حيث تقدّمان المشورة والتدريب العسكريّ لقوّاته، إضافة إلى دعمه بالياتٍ وطلعات جويّة تكثّفت مع الوقت. إلى جانب الحلفاء العرب، يوجد أيضاً دعم فرنسي، حيث تحطّمت قبل عامين طائرة عسكريّة فرنسيّة قرب بنغازي. حينها، قال الرئيس السابق فرنسوا هولاند، إنّها كانت تؤدي «مهمّة استخباراتية»، واكد لاحقاً الناطق باسم الحكومة الفرنسية ستيفان لو فول، وجود قوات خاصة فرنسيّة تساعد «في الحرب ضدّ الإرهاب».

> طائرة مراقبة تسيرّها الاستخبارات الخارجية الفرنسية تشارك في المعركة

أوّل من أمس، كشف موقع «مغرب كونفيدونسيال» أنّ «شركة طيران فرنسيّة ـ لوكسمبورغيّة» دعمت قوات حفتر في الحرب على درنة بطائرة مراقبة تُسيّرها «الإدارة العامة للأمن الخارجيّ» الفرنسيّة (الاستخبارات الخارجيّة). مشكلة هذا التوجّه الفرنسيّ هو إضفاؤه مزيداً من الشرعيّة على نظرة حفتر التي ترى أنّ الحلّ في ليبيا عسكريّ بحت، وقد تحدّث الرجل سابقاً بشكل يدلّ على احتقاره للسياسيّين والجهود السياسيّة. وتكمن المفارقة في أنّ الدعم العسكريّ يأتي بموازاة جهود يقودها قصر الإليزيه الرئاسي لتحريك العمليّة السياسيّة في البلاد، كانت آخرها «قمّة باريس 2» التي عقدت قبل أيام، وحضرها أربعة زعماء ليبيّين من بينهم حفتر، فيما غُيّب عنها القادة العسكريّون من غرب البلاد في شكل شبه كامل.

انتهت حرب درنة؟

في الأيام الأخيرة، تقدّمت قوات حفتر بنسق مرتفع، خصوصاً مع تشدّد القصف الجويّ المُساند. لكن تراجَع نسقُ التقدّم مع وصول الاشتباكات إلى مركز المدينة، حيث يقيم جزء كبير من الأهالي البالغ عددهم حوالى 120 ألفاً، كما ارتفع عدد الضحايا المدنيّين. وعلى رغم رصد خروج بعض السيارات الحاملة لرايات بيضاء، لم ينزح عن المدينة عدد كبير من السكان، وهو أمر زاد الأوضاع تعقيداً خاصّة بعد إغلاق المستشفى الأخير في المدينة أبوابه الأسبوع الماضي بعد استهدافه بعدد من القذائف.

في حديث إلى «الأخبار»، يعتبر الباحث في الشأن الليبيّ جلال حرشاوي، أنّ «الجيش الوطنيّ الليبيّ (تسمية قوات حفتر) سينتصر (في درنة)، وذلك لم يكن قطّ موضع شكّ»، لكن المسألة بالنسبة إليه ترتبط بسؤالين: «كيف وبأيّ ثمن؟ هل سيوفّر مخرجاً آمناً للمدنيّين؟ هل سيعامل المقاتلين المستسلمين على نحو عادل وشفاف؟».

وفي حين ما زالت الإجابات غائبة، أعلن آمر «غرفة عمليات الكرامة» اللواء عبد السلام الحاسي، أمس، القبض على يحيى الأسطى عمر، الذي صُنّف بأنّه «المسؤول عن الملف الأمنيّ في تنظيم القاعدة ـ أبو سليم» ويُقال إنه الرجل الثاني في «مجلس شورى درنة». لكنّ هذه العمليّة التي نقلتها قناة «فرانس 24» بصيغتها «الحفترية»، خلّفت تعليقات بين المتابعين للشأن الليبي، خصوصاً أنّ الأسطى وهو عميد يقود الأمن في درنة، لا تدلّ تصريحاته السابقة ولا تاريخه إلى انتمائه لـ«القاعدة»، فيما أشارت مصادر محليّة إلى تسليمه نفسه «بعد احتجاز عائلته وتهديد سلامتها».

في واقع الأمر، تستغلّ قوات حفتر ضبابيّة المشهد داخل المدينة للدفع بسرديّة «مقاومة الإرهاب»، فيما تتشكّل «قوّة حماية درنة» (التي تأسست بعد حلّ «مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها» الشهر الماضي) من مقاتلين متنوّعين، يشملون قوات الأمن المحليّة وجهاديّين محليّين وشباباً من المنطقة، يجمعهم رفض الانخراط ضمن «عمليّة الكرامة»، والخوف من عمليّات انتقاميّة في حقّهم على غرار ما حصل في بنغازي سابقاً.

لكن ما يثير الانتباه في هذه الحرب هو اختلاط العناصر المحليّة و«الدوليّة» التي يتركّب منها محور حفتر. فمحلياً، وإلى جانب كتائب انتقاميّة تُسمى «أولياء الدم»، وتشمل تشكيلات تحمل أسماء غريبة مثل «كتيبة ميّت ميّت»، تشارك في الهجوم مجموعات عسكريّة يغلب عليها الطابع السلفيّ «المدخليّ» (نسبة إلى الشيخ السعوديّ ربيع المدخليّ، الذي يُوجّه كلّ فترة رسائل إلى أتباعه في ليبيا)، وأخرى تشمل متطوّعين يُطلق عليهم اسم «شباب المناطق». من الناحية الدوليّة، وعلى رغم وجود حظر تسليح دوليّ على ليبيا، تحارب الإمارات ومصر منذ سنوات إلى جانب حفتر، حيث تقدّمان المشورة والتدريب العسكريّ لقوّاته، إضافة إلى دعمه بالياتٍ وطلعات جويّة تكثّفت مع الوقت. إلى جانب الحلفاء العرب، يوجد أيضاً دعم فرنسي، حيث تحطّمت قبل عامين طائرة عسكريّة فرنسيّة قرب بنغازي. حينها، قال الرئيس السابق فرنسوا هولاند، إنّها كانت تؤدي «مهمّة استخباراتية»، واكد لاحقاً الناطق باسم الحكومة الفرنسية ستيفان لو فول، وجود قوات خاصة فرنسيّة تساعد «في الحرب ضدّ الإرهاب».

> طائرة مراقبة تسيرّها الاستخبارات الخارجية الفرنسية تشارك في المعركة

أوّل من أمس، كشف موقع «مغرب كونفيدونسيال» أنّ «شركة طيران فرنسيّة ـ لوكسمبورغيّة» دعمت قوات حفتر في الحرب على درنة بطائرة مراقبة تُسيّرها «الإدارة العامة للأمن الخارجيّ» الفرنسيّة (الاستخبارات الخارجيّة). مشكلة هذا التوجّه الفرنسيّ هو إضفاؤه مزيداً من الشرعيّة على نظرة حفتر التي ترى أنّ الحلّ في ليبيا عسكريّ بحت، وقد تحدّث الرجل سابقاً بشكل يدلّ على احتقاره للسياسيّين والجهود السياسيّة. وتكمن المفارقة في أنّ الدعم العسكريّ يأتي بموازاة جهود يقودها قصر الإليزيه الرئاسي لتحريك العمليّة السياسيّة في البلاد، كانت آخرها «قمّة باريس 2» التي عقدت قبل أيام، وحضرها أربعة زعماء ليبيّين من بينهم حفتر، فيما غُيّب عنها القادة العسكريّون من غرب البلاد في شكل شبه كامل.

انتهت حرب درنة؟

في الأيام الأخيرة، تقدّمت قوات حفتر بنسق مرتفع، خصوصاً مع تشدّد القصف الجويّ المُساند. لكن تراجَع نسقُ التقدّم مع وصول الاشتباكات إلى مركز المدينة، حيث يقيم جزء كبير من الأهالي البالغ عددهم حوالى 120 ألفاً، كما ارتفع عدد الضحايا المدنيّين. وعلى رغم رصد خروج بعض السيارات الحاملة لرايات بيضاء، لم ينزح عن المدينة عدد كبير من السكان، وهو أمر زاد الأوضاع تعقيداً خاصّة بعد إغلاق المستشفى الأخير في المدينة أبوابه الأسبوع الماضي بعد استهدافه بعدد من القذائف.

في حديث إلى «الأخبار»، يعتبر الباحث في الشأن الليبيّ جلال حرشاوي، أنّ «الجيش الوطنيّ الليبيّ (تسمية قوات حفتر) سينتصر (في درنة)، وذلك لم يكن قطّ موضع شكّ»، لكن المسألة بالنسبة إليه ترتبط بسؤالين: «كيف وبأيّ ثمن؟ هل سيوفّر مخرجاً آمناً للمدنيّين؟ هل سيعامل المقاتلين المستسلمين على نحو عادل وشفاف؟».

وفي حين ما زالت الإجابات غائبة، أعلن آمر «غرفة عمليات الكرامة» اللواء عبد السلام الحاسي، أمس، القبض على يحيى الأسطى عمر، الذي صُنّف بأنّه «المسؤول عن الملف الأمنيّ في تنظيم القاعدة ـ أبو سليم» ويُقال إنه الرجل الثاني في «مجلس شورى درنة». لكنّ هذه العمليّة التي نقلتها قناة «فرانس 24» بصيغتها «الحفترية»، خلّفت تعليقات بين المتابعين للشأن الليبي، خصوصاً أنّ الأسطى وهو عميد يقود الأمن في درنة، لا تدلّ تصريحاته السابقة ولا تاريخه إلى انتمائه لـ«القاعدة»، فيما أشارت مصادر محليّة إلى تسليمه نفسه «بعد احتجاز عائلته وتهديد سلامتها».

في واقع الأمر، تستغلّ قوات حفتر ضبابيّة المشهد داخل المدينة للدفع بسرديّة «مقاومة الإرهاب»، فيما تتشكّل «قوّة حماية درنة» (التي تأسست بعد حلّ «مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها» الشهر الماضي) من مقاتلين متنوّعين، يشملون قوات الأمن المحليّة وجهاديّين محليّين وشباباً من المنطقة، يجمعهم رفض الانخراط ضمن «عمليّة الكرامة»، والخوف من عمليّات انتقاميّة في حقّهم على غرار ما حصل في بنغازي سابقاً.

إسبانيا

بيدرو سانشيز «اشتراكي» على رأس مدريد

في زمن الهزات التي تواجه الاتحاد الاوروبي راهنا، تكاد «الاحزاب الاشتراكية» تعني في قواميس هذه المنظومة الاقليمية الحليف المؤيد. مايندر بمرحلة سُتجنّب «الاتحاد» النقاشات الاقتصادية الحادة، والاكتفاء بما لديه من طروحات

قبل أقل من عامين، وقف بيدرو سانشيز على عتبة الخروج من الحياة السياسية الإسبانية. خسائر مدوية ومتتالية لـ«حزب العمال الاشتراكي الإسباني» في الانتخابات النيابية، عامَي 2015 و2016، أضعفته أمام الحلفاء قبل الأعداء، وجعلته فريسة سهلة للطامحين من داخل حزبه وخارجه.

حينها، تلقى «رجل إسبانيا الوسيم» الضربات من كل حدب وصوب، ابتداءً من تحقيقه أسوأ نتائج في تاريخ الحزب الاشتراكي في الانتخابات التشريعية، مروراً برفض النوّاب تعيينه رئيساً للحكومة، ووصولاً إلى إطاحته كرئيس للاشتراكيين وتخليه عن مقعده النيابي في البرلمان. إلا أنّ سانشيز لم يجتزّ العتبة، بل وقف عندها حتى استجمع قواه المبعثرة وعاد ليثأر للدموع التي ذرفها أمام عدسات الكاميرات في خريف عام 2016.

«يوم الإثنين سأستقل سيارتي وأسافر في جميع أنحاء إسبانيا للاستماع إلى أولئك الذين لم يتم الاستماع إليهم... إلى أعضاء القاعدة الشعبية والناخبين اليساريين»، قال سانشيز قبل خروجه من البرلمان. بضعة أشهر كانت كفيلة ليعود الزعيم الاشتراكي إلى المعترك السياسي من الباب العريض، وذلك بعدما نجحت رحلته في رص صفوف الناشطين الذين أعادوه إلى رئاسة الحزب في أيار 2017.

ولكنه لم يكتفِ بذلك، بل دخل أستاذ الاقتصاد السابق، الأسبوع الماضي، تاريخ إسبانيا المعاصر، كأول زعيم حزبي يستطيع إطاحة رئيس حكومة عبر سحب الثقة في البرلمان. وفي أول إقصاء لرئيس وزراء إسباني من قبل البرلمان خلال أربعة عقود من الحياة الديموقراطية، سحب البرلمان الثقة من رئيس الحكومة الإسباني ماريانو راخوي (63 سنة)، بعدما استطاع سانشيز تأمين الأصوات اللازمة قبل ساعات فقط من التصويت.

مهمة الزعيم الاشتراكي لم تكن سهلة، ولكن شظايا قضايا الفساد التي عصفت بـ«الحزب الشعبي» طاولت راخوي وشعبيته النيابية، ودفعت بأحزاب غير متجانسة إلى العمل معاً لإخراجه من السلطة بعد ست سنوات قضاها في الحكم. ولعل القضية التي «قصمت ظهر البعير» كانت «قضية غورتل»، التي خلصت إلى وجود «نظام فساد مؤسساتي متأصل» في «الحزب الشعبي»، يقوم على «التلاعب بالصفقات» وضخ «أموال سرية مصدرها غير واضح» في الحزب.

> يواجه هذا البلد الاوروبي سلسلة من التحديات الكبيرة

«قصة النجاح» توّجت، أول من أمس (الخميس)، بتشكيل حكومة تضم أكبر عدد من النساء (11 امرأة و6 رجال) في تاريخ الحكومات الإسبانية، وصفها سانشيز بـ«مرآة لأفضل ما في المجتمع... تعتمد المساواة بين الرجل والمرأة وعابرة للأجيال وراسخة في الاتحاد الأوروبي».

ولكن نشوة الانتصار لا يمكن أن تطول، إذ تواجه الحكومة «غير المسبوقة» تحدياً غير مسبوق أيضاً، وهو الحكم بدعم أقل من ربع البرلمان (84 نائباً من أصل 350). كما أن سانشيز حصل على 180 صوتاً فقط من أصل 350 في معركته ضد «الشعبي»، وهي أغلبية ضئيلة غير كافية لتحصين رئيس الحكومة الجديد، الذي رأى في الانقلاب السياسي «صفحة جديدة من تاريخ الديموقراطية في بلدنا».

ويواجه البلد الأوروبي سلسلة من التحديات الكبيرة «القديمة ـ الجديدة» التي سبق أن واجهها راخوي منذ توليه الحكم في كانون الأول 2011، أبرزها الانكماش الاقتصادي وما أعقبه من إجراءات تقشفية قاسية، والأزمة السياسية التي دفعت البلاد إلى شلل حكومي، ومحاولة انفصال إقليم كاتالونيا العام الماضي، وغيرها على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ويبدو أن الزعيم الاشتراكي سيتبنى طرقاً جديدة في قيادته للبلاد، التي قال إنه يعتزم قيادتها حتى منتصف 2020 عندما تنتهي ولاية البرلمان. فبالإضافة إلى الحكومة «النسائية» التي شكلها، لم يضع سانشيز (46 عاماً)، خلال أدائه القسم الدستوري أمام الملك فيليبي السادس في قصر «لاثارثويلا» قرب مدريد، يده على الإنجيل أو صليب، في بادرة هي الأولى لرئيس وزراء إسباني. وتزامن ذلك مع أداء الحكومة الجديدة في كاتالونيا القسم الدستوري برئاسة الانفصالي كيم تورا، الذي دعاه الزعيم الاشتراكي إلى «محادثات عاجلة بصفتنا حكومتين». أما على المستوى الأوروبي، فوعد بأن تكون «أهم أولوياته» احترام تعهدات مدريد أمام الاتحاد الأوروبي بخفض العجز، كما تعهد بعدم المساس بالميزانية التي تتضمن مخصصات كبيرة لمنطقة الباسك.

عودة سانشيز جذبت أنظار العالم، واجتاحت صوره وسيرته الذاتية وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

ولد السياسي الإسباني في 29 شباط 1972 في مدريد لعائلة غير سياسية. درس الاقتصاد في العاصمة الإسبانية ثم حصل على الإجازة في الاقتصاد السياسي من «جامعة بروكسل الحرة». في 2004، انتخب سانشيز عضواً في مجلس بلدية مدريد حتى عام 2009، حين أصبح نائباً بالصدفة إثر استقالة صاحب المقعد. وهذه كانت بداية الصعود. في 2014، وصل إلى رئاسة «الحزب الاشتراكي»، الذي قاده إلى هزيمتين متتاليتين، في مرحلة «فشل» يمكن وصفها الآن بـ«الظلمة التي تسبق شروق الشمس».

(الأخبار)

تراس سانشيز امس اول اجتماع لحكومته (أ ف ب)

الجزائر

انفصالي ومطبّع مع إسرائيل .... يدعو إلى تمرّدٍ

أثارت تصريحات فرحات مهني، وهو زعيم دعاة الانفصال في منطقة القبائل الناطقة بالامازيغية بالجزائر، موجة استنكار واسعة لدى الرأي العام الوطني في البلاد، بعد دعاته سكان المنطقة إلى «تشكيل ميليشيات مسلحة تكون بديلاً» عما يصفها بـ«السلطة الاستعمارية للدولة الجزائرية»!

الجزائر ـ الأخبار

للمرة الأولى منذ ظهور «حركة انفصال القبائل» عام 2001، تجرأ زعيمها فرحات مهني، على دعوة أنصاره بالمنطقة إلى تشكيل «ميليشيات مقاومة» لسلطة الدولة الجزائرية، في تطوّر خطير قد ينذر بالتصعيد في هذه المنطقة، خصوصاً أنّ هذه الحركة الانفصالية لم يُعرف عنها تبني العنف في السابق، حيث كانت تكتفي بالتعبير عن نفسها عبر التظاهرات والتعبئة لأفكارها في الجامعات وحتى المدارس.

وجاء تصريح فرحات مهني، وهو في الأصل مطرب عُرف عنه نضاله في الحركة الأمازيغية، في إطار لقاء جمعه بأنصاره في العاصمة البريطانية لندن، قال فيه: «حتى يتحوّل الاستقلال إلى حقيقة، أطلب من الشعب القبائلي القبول بحسن نية إنشاء جهاز مقاومة... تنظيم أمني للقبائل، لأننا من دون سلطة لم يكن لنا أي تأثير». وأضاف: «من دون ذلك، سيبقى أبناؤنا يذهبون إلى مدارس الخضوع، وسيظلون يُقمعون من الشرطة الكولونيالية في كل مرة ينزلون إلى الشارع».

هذا الكلام الخطير في مضمونه، قال عنه الباحث محند أرزقي فراد، إنّه «تجاوز عتبة حرية التعبير التي كان المثقفون في المنطقة يقرّونها له من باب الحرص على احترام الثقافة الديموقراطية». واعتبر فراد أنّ منطقة القبائل لم تكن في ماضيها البعيد والقريب، «جزيرة مجنونة» تعادي الوحدة الوطنية التي «ساهم أبناؤها بفعالية في بناء صرحها، فكرياً وسياسياً». وعليه، اعتبر أنّ هذا التاريخ «يدعو إلى الارتياح، وإلى استبعاد احتمال تحوّل (هذه المنطقة) إلى حاضنة للفكر الانفصالي الخطر»، مستدركاً في الوقت نفسه بأنّ صناعة

(عن الويب)

> أطلق فرحات مهني تصريحات من لندن، وسبق له أن زار إسرائيل

الواقع لا يخضع دوماً للتاريخ والمنطق، وبالتالي يجب الشعور بالقلق إزاء هذا الكابوس المسمّى بـ«الفكر الانفصالي». وأشار فراد أيضاً إلى ضرورة التنبّه لإمكانية «تضافر عاملين اثنين، هما: المظالم الداخلية والمطامع الخارجية».

جدير بالذكر أنّ فرحات مهني سبق أن عُرف بنشاطاته المشبوهة، وسبق له أن زار إسرائيل، وبجاهر باعتى الموتقف التطبيعية مع العدو الإسرائيلي، إذ سبق أن زعم بأنّ «الشعب القبائلي ليس له مشكل مع الكيان الصهيوني». أيضاً، سبق للوزير الأول (رئيس الوزراء) أحمد أويحيى، اتهام هذه الحركة الانفصالية بتلقي الدعم من المغرب، لمحاولة ضرب الوحدة الوطنية في الجزائر.

وفيما رأى الصحافي في جريدة «الوطن» الناطقة بالفرنسية، حسان والي، أنّ فرحات مهني تحوّل بهذه الدعوة المشبوهة إلى «حليف موضوعي للنظام»، كتب المدوّن فريد بوشن، وهو مناضل في «حزب التجمع من أجل الثقافة والديموقراطية» التي تُعدّ منطقة القبائل إحدى معاقله، أنّ هذه الدعوة تضع مهني في نفس طاولة الإرهاب الإسلامي عام 1990 حين «دعا علي بلحاج القيادي في الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى تشكيل جناح عسكري من أجل محاربة الطواغيت والسلطة الجزائرية، والقصة بعدها يعرفها الجميع: تسجيل فاتورة بشعة ووحشية في حق الشعب الجزائري... ولحد اليوم لا تزال مخلفات هذه العشرية السوداء تضرب الباب الجزائريين وأنفسهم عامة».

من جهته، دان «حزب العمّال» بشدّة تصريحات فرحات مهني، واعتبر أنّ هذه الحركة «قد خطت للتو خطوة نوعية في عملها الرامي إلى تفكيك الأمة الجزائرية، وتؤكد بهذا أنّ مسعاها يخدم القوى العظمى التي تعمل في كل مكان من أجل تدمير الدول/ الأمم قصد الاستيلاء على ثرواتها». ولفت هذا الحزب الذي تقوده لويزة حنون، إلى أنّ «هذا التصعيد الخطير لهذه الحركة، يحدث في الوقت الذي تعرف هذه الحركة الانفصالية تراجعاً ملموساً نتيجة التطورات المسجّلة في تسوية المسألة الأمازيغية، على غرار دسترة اللغة الأمازيغية كلغة رسمية، والاعتراف بعيد السنة الأمازيغية... وإنشاء أكاديمية اللغة الأمازيغية، وهي كلها إجراءات اعتمدها الرئيس (عبد العزيز) بوتفليقة لتفكيك أزمة الهوية في البلاد الممتدة إلى الفترة الاستعمارية».

ماقل ودل

بدأت حكومة النمسا، أمس، حملة تستهدف «الإسلام السياسي»، من المفترض أن تؤدي الى طرد عشرات الأئمة وإغلاق سبعة مساجد تمولها تركيا. وصدر الإعلان على لسان المستشار سيباستيان

كورتز (الصورة)، بعد استياء وغضب الأتراك إعادة تمثيل معركة رمزية في التاريخ العثماني من قبل اطفال ارتدوا زيّاً عسكرياً، في احد ابرز المساجد في فيينا التي تحصل على تمويل تركي. وسارعت انقرة الى الرد. فعلّقَ المتحدث باسم الرئيس التركي، إبراهيم قالين، بالقول: «إغلاق سبعة مساجد وطرد ائمة هما نتيجة الموجة الشعبوية والمعادية للإسلام والعنصرية والتمييزية في هذا البلد».

(أ ف ب)

تقرير

ترامب يُربك «السبع»: زوبعة روسيّة قبل التجارة

يُنتظر اليوم صدور البيان الختامي لـ«قمة السبع» المنعقدة في كندا. فيما نجح دونالد ترامب قبيل وصوله للمشاركة فيها أمس، في إطلاق زوبعة إعلامية غطّت لساعات على المواضيع الخلافية

كان ترامب آخر الواصلين إلى منتجع مالبيه في مقاطعة كيبيك أمس (أ ف ب)

عشية انعقاد قمة مجموعة السبع في كندا، ابتعد قادة الدول الغربية عن النقاش حول التجارة في ما بينهم، في ظل «الحمائية الأميركية» في عهد دونالد ترامب، وانتقلوا إلى موضوع مثير على الصعيد الإعلامي بعدما دعا الرئيس الأميركي إلى «إعادة روسيا» إلى هذا النادي الذي تحوّل إلى «مجموعة السبع» بعد عزل روسيا منه عام 2014 على خلفية الأزمة الأوكرانية.

الرئاسة الفرنسية التي تسعى إلى إظهار دور قيادي لها ضمن المنظومة الغربية منذ وصول إيمانويل ماكرون إلى الإليزيه، أصدرت بياناً أشار إلى أنّ الدول الأوروبية الأربع المشاركة في «قمة السبع»، وهي: فرنسا، إيطاليا، ألمانيا وبريطانيا، اتفقت على رفض عودة روسيا إلى المجموعة، علماً بأنّ موسكو لم تطالب بذلك. وأوضح البيان أنّ ماكرون والمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، ورئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي، ورئيس الوزراء الإيطالي الجديد جوزيبي كونتي، عقدوا قبيل بدء القمة في كندا اجتماعاً بمبادرة من الرئيس الفرنسي للاتفاق على أن «الموقف الأوروبي لا يريد عودة روسيا» مع التذكير بتوخي الحذر «واليقظة» تجاه موسكو. لكنهم أشاروا الى «احتمال إقامة حوار»، ما يشكل «تنازلاً تمّ تقديمه الى روما»، وفقاً لمستشاري ماكرون.

وبالرغم أنّ روسيا لم تكن يوماً بمثابة عضو كامل منذ انضمامها إلى هذا النادي (عملياً بعد عام من سقوط الدولة السوفياتية ورسمياً منذ عام 1997)، فإنّ تصريح ترامب صنع الحدث أمس، فيما رجّح البعض أنّه أراد بذلك «خلق زوبعة إعلامية» تخفف من حدّة الهجمات والانتقادات التي تنتظره من حلفائه في هذه القمة. في هذا الصدد، كتبت مجلة «نيويورك» أنّ «القمة التي يستضيفها رئيس الوزراء الكندي جاستين ترودو تتجه لتكون الأكثر إثارة للخلافات... منذ انطلاق هذه القمم عام 1975». وإضافة إلى الدول الأوروبية الأربع، تشمل هذه المجموعة أيضاً كلاً من الولايات المتحدة وكندا واليابان.

ترامب كان قد أطلق «زوبعته» الجديدة عبر دعوته نظراءه في المجموعة إلى التفكير في إعادة روسيا الى المجموعة، مضيفاً في شأن الخلافات التجارية: «أتطلع إلى تسوية الاتفاقات التجارية غير العادلة مع دول مجموعة السبع، إذا لم يحدث ذلك، سيكون أفضل». وقال للصحافيين في البيت الأبيض: «طردوا روسيا وعليهم إعادتها، لأنه يجب أن تكون معنا على طاولة المفاوضات»، معتبراً أنّ موسكو تُعدّه «أسوأ كوابيسها... لكن رغم قول ذلك، فإن روسيا يجب أن تكون في الاجتماع».

> تتّجه هذه القمة لتكون الأكثر إثارة للخلافات منذ عام 1975

على هامش ما جرى أمس، خرج رئيس الاتحاد الأوروبي دونالد توسك، بتصريح يحذّر فيه من أنّ محاولة ترامب إلغاء أو تعديل عدد من الاتفاقات الدولية يشكل تهديداً للنظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية. وقال للصحافيين قبيل القمة: «من المؤكد أن الرئيس الأميركي وبقية المجموعة يواصلون الاختلاف بخصوص التجارة والمناخ والاتفاق النووي الإيراني»، مشيراً إلى أنّ ما يقلقه «أكثر هو حقيقة أن النظام الدولي القائم على القواعد يواجه تحديات، والمفارقة أن ذلك لا يحدث عبر المشتبه بهم المعتادين، ولكن من مهندسه وضامنه الرئيسي، الولايات المتحدة».

(الأخبار)

وفيات

بمزيد من الحزن والأسى ننعى اليكم وفاة فقيدنا الغالي
الحاج زكي محمد حمّاده
والدته: المرحومة الحاجة فاطمة صلوخ
زوجته: الحاجة سهام محمد مصطفى حيدر
اولاده: وائل - المهندس حسن - حسام - سلام
ابنته: الصيدلي رولى زوجة الصيدلي توفيق شاهين
اشقاؤه: المرحومان علي وموسى - الحاج أديب والمهندس نديم
شقيقاته: المرحومة هدى زوجها المرحوم عارف نصر الدين
سعاد زوجها محمود حماده
عطاف زوجها سامي ياسين
الحاجة هيام زوجها الحاج هاني منصور
اخواله: المرحومون ابراهيم وعلي والحاج زين
وفوزي وزير الخارجية السابق
تقبل التعازي نهار الاثنين الموافق 11 حزيران 2018 في الجمعية الاسلامية للتخصص والتوجيه العلمي قرب المديرية العامة لأمن الدولة - الرملة البيضاء من الساعة الثالثة حتى السادسة بعد الظهر.
للفقيد الرحمة ولكم الأجر والثواب

ذكرى

يصادف يوم الاحد الواقع في 10 حزيران ذكرى مرور ثلاثة أيام على وفاة المرحوم
الحاج عبد الرضى وهبي
أبناؤه الحاج يوسف، جهاد وحسن
ابنته وفاء
اخوته عبد الامير، أحمد ومحمود والمرحومون عبد الجليل عبد الكريم ومحمد
وبهذه المناسبة سيقام مجلس عزاء عن روحه في حسينية بلدة حاروف عند الرابعة عصرا يتضمن كلمة لرئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب الحاج محمد رعد. ويتقبل اهل الفقيد العزاء الثلاثاء 12 حزيران في الجمعية الاسلامية للتخصص والتوجيه العلمي في الرملة البيضاء، من الثالثة حتى السادسة عصرا.

أسبوع على وفاة المرحوم
الحاج محمد حسين فرحات (أبو باسم)
إخوته: المرحوم الحاج فخر الدين، المرحوم الحاج علي، الحاج أحمد والحاج محمود.
أبناؤه: باسم، المرحوم حسين، علي، بلال ووحيد.
ابنته: زينب زوجة يوسف حسان (أبو صالح)
وبهذه المناسبة، سيقام مجلس عزاء عن روحه الطاهرة يوم الأحد 10 حزيران 2018 الساعة العاشرة والنصف صباحاً في حسينية بلدته بليدا.
تقبل التعازي في منزل المرحوم الكائن في بئر حسن، مقابل مدرسة المروج، يومي الاثنين والثلاثاء 11 و12 حزيران.
الراضون بقضاء الله: آل فرحات، آل حسان، آل شمص، آل ضاهر وعموم اهالي بليدا

أبناء الفقيد القنصل الياس وزوجته غادة قرقماز وعائلتهما
المهندس جوزيف وزوجته غادة الترك وعائلتهما
أنطوان وزوجته ليزا يونان وعائلتهما
بناته: فاديا
ماري روز زوجة إبراهيم بركات وعائلتهما
لوريت زوجة روجيه الصياح وأولادهما وعائلاتهم
ريتا زوجة فادي فرنسيس وعائلتهما
أرملة شقيقه المرحوم أمين العمّار: ماري شعبا وأولادها وعائلاتهم
أولاد شقيقته المرحومة محبة زوجة المرحوم خطار أبو مراد وعائلاتهم
وانسباؤهم ينعون إليكم فقيدهم الغالي المأسوف عليه المرحوم
حبيب فؤاد العمّار
ينقل جثمانه الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر غد الأحد 10 حزيران 2018 إلى كنيسة مار الحي، الدامور، حيث يحتفل بالصلاة لراحة نفسه الساعة الرابعة من بعد الظهر.
تقبل التعازي يومي السبت 9 والاثنين 11 منه في منزل الفقيد الكائن في الدامور، ويوم الأحد قبل الدفن وبعده في صالون كنيسة مار الياس الحي، الدامور، من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر لغاية السابعة مساءً.
ويوم الثلاثاء 12 الجاري في صالون كنيسة سيدة العطايا، مطرانية أدما، ابتداءً من الساعة الحادية عشرة قبل الظهر لغاية السابعة مساءً.

إعلانات رسمية

اعلان مناقصة
تعلن مستشفى تبنين الحكومي عن اجراء مناقصة عمومية ثانية لزوم شراء مستلزمات الاشعة -مستلزمات المختبر -مستلزمات الادوية -الامصال - مستلزمات و معدات لبنك الدم -مستلزمات عمليات العيون -معدات و مستلزمات طبية لجراحة المنظار . اخر مهلة لتقديم العروض الساعة الثانية عشر من تاريخ 19 /06/ 2018 على ان تفض العروض بتاريخ 20 /06/ 2018 الساعة الثانية عشر في مبنى المستشفى .
رئيس مجلس الادارة
د. محمد علي حمادة

إعلان صادر عن دائرة تنفيذ النبطية
برئاسة القاضي أحمد مزهر
المعاملة التنفيذية 2014/81
طالبا التنفيذ: محمد ونور عماشة
المنفذ عليهم: ايمان وعلي عماشة ومحمودة كريم
السند التنفيذي: حكم محكمة البداية في النبطية رقم 2013/89 بتاريخ 2013/10/22 المنتهي الى اعلان عدم قابلية العقارات الموصوفة ادناه للقسمة العينية وطرحها للبيع بالمزاد العلني على اساس سعر الطرح وتوزيع الثمن وفق مندرجات الحكم.
المعاملات: تاريخ التنفيذ: 2014/2/13
تاريخ تبليغ الانذار: 2014/5/2
العقارات الموصوفة: وكلها تقع في منطقة النبطية الفوقا وهي كامل 2400 سهماً في كل واحد من العقارات التالية
الاول: رقم 29/النبطية الفوقا وهو عبارة عن ارض بعل سليخ تحتوي على بعض اشجار الخروب على واجهة الطريق.
مساحته: 3600م2
التخمين: 450,000 د.أ.
الطرح بعد التخفيض: 346275 د.أ.
الثاني: رقم 3082/النبطية الفوقا وهو عبارة عن ارض بعل سليخ لا يوجد عليه اي انشاءات.
مساحته: 2265 م2
التخمين: 192,525 د.أ.
الطرح بعد التخفيض: 148149 د.أ.
الثالث: رقم 3526/النبطية الفوقا وهو عبارة عن ارض بعل سليخ على يوجد عليه اي انشاءات.
مساحته: 1460م2
التخمين: 124,100 د.أ.
الطرح بعد التخفيض: 95496د.أ.
الرسوم المتوجبة: رسم الفراغ والدلالة مكان المزايدة وتاريخها: نهار الخميس الواقع فيه 2018/7/12 الساعة 11,00 ظهراً امام رئيس دائرة تنفيذ النبطية.
تطرح هذه الدائرة للبيع بالمزاد العلني العقارات الموصوفة اعلاه، فعلى الراغب بالشراء ايداع بدل الطرح في قلم الدائرة بموجب شيك مصرفي منظم لامر رئيس دائرة تنفيذ النبطية واتخاذ محل اقامة له ضمن نطاقها والا عد قلمها مقاماً مختاراً له ما لم يكن ممثلاً بمحام، وعليه الاطلاع على قيود الصحيفة العينية للعقارات المطروحة ودفع الثمن والرسوم ضمن المهلة القانونية تحت طائلة متابعة التنفيذ على عهدته.
مأمور التنفيذ
مريم قبيسي

اعلان بيع
صادر عن دائرة تنفيذ كسروان
ينفذ الاعتماد اللبناني ش. م. ل. بوجه ميلاد موسى بو نقولا بالمعاملة 2010/630 قرار اللجنة القضائية الناظرة في الخلافات الناشئة عن تطبيق قوانين الاسكان رقم 2010/140 والقاضي ببيع القسم 13/218 - A صربا وهو بموجب الافادة العقارية مدخل ودار وطعام وثلاث غرف ومطبخ وحمام وخلاء وشرفات وله موقف سيارة مساحته 105 م.م.
وبالكشف تبين ان الواقع مطابق للافادة العقارية وان المنجر الداخلي الرئيسي خشب مافيف والداخلي معاكس والخارجي الومينيوم مع زجاج والبلاط الرئيسي رخام وفي الغرف والمطبخ والحمامان سيراميك والمجلى غرانيت مع خزائن قشرة سنديان وخزانة حائط في غرفتين.
تاريخ محضر الوصف 2011/2/19
وتاريخ تسجيله 2011/6/30.
بدل تخمين القسم 13/218 - A صربا 94/ 500 د.أ. وبدل طرحه 56/ 700 د.أ.
يجري البيع بيوم الثلاثاء الواقع فيه 2018/7/3 الساعة 11 في قاعة محكمة كسروان للراغب بالشراء دفع بدل الطرح بموجب شك مصرفي منظم لامر حضرة رئيس دائرة تنفيذ كسروان او تقديم كفالة وافية من احد المصارف المقبولة من الدولة ويتحمل رسوم التسجيل والدلالة وعليه اتخاذ محل اقامة ضمن نطاق الدائرة والا عد قلمها مقاماً مختاراً له، كما عليه الاطلاع على قيود الصحيفة العينية العائدة للقسم موضوع المزايدة.
رئيس قلم التنفيذ
ناديا صليبي

إعلان قضائي
يقتضي حضور السيدة برناديت منير مكرزل الى المحكمة المارونية في ذوق مصبح لاستلام نسخة عن طلب الوالد الحصول على إذن باستخراج جوازات سفر لاولاده وذلك في غضون اسبوع من تبلغ هذا الاعلان.
الرئيس
جوزف نخلة

تقرير

واشنطن تمنع الأفارقة من حماية اقتصاداتهم؟

في وقت ينتهج فيه دونالد ترامب نهجاً حمائياً وعدائياً على مستوى التجارة العالمية تحت شعار «أميركا أولاً»، يبدو أنه يمنع دولاً أفريقية من تمتين أواصر العلاقات البينية في ما بينها

قبل يومين، نشرت دورية «جون أفريك» التي تُعنى بالشؤون الأفريقية، رسالة سرية تُظهر ضغوطاً كانت قد مورست من قبل الإدارة الأميركية على الاتحاد الأفريقي لمنعه من تطبيق ضريبة على الاستيراد كان الهدف منها تمويل هذه المنظمة.

تاريخ الرسالة يعود إلى بداية الشهر الماضي، حين قامت البعثة الأميركية في أديس أبابا بإرسالها إلى الاتحاد الأفريقي بقيت سرية حتى اليوم. يُعبّر الأميركيون من خلال رسالتهم عن قلقهم بخصوص مشروع تمويل الاتحاد من خلال فرض ضريبة بنسبة 0,2% على الواردات، الذي كان قد قدّم قبل عشرة أشهر في العاصمة الرواندية كيغالي.

وتحذّر الرسالة من أن «تطبيق الدول الأعضاء (لهذا القانون يجب) أن يبقى في إطار الالتزامات الدولية، وخاصة اتفاقات منظمة التجارة العالمية». وعبّرت الإدارة الأميركية عبر رسالتها عن قلقها من كون «الضريبة تطبق فقط على الواردات الآتية من البلدان غير الأعضاء في الاتحاد الأفريقي». وأضافت أنه «يجب على أعضاء منظمة التجارة العالمية التأكد من أن الرسوم تعكس تماماً تكلفة الخدمة المرتبطة بالاستيراد ولا تطبق لأغراض ضريبية أو تمثل وسيلة للحماية غير المباشرة».

> يعود تاريخ الرسالة الأميركية إلى بداية الشهر الماضي

وكانت 44 دولة أفريقية وقّعت بداية العام على اتفاقية للتجارة الحرة بين بلدان القارة تهدف إلى زيادة حجم التجارة البينية، وتشمل إلغاء رسوم استيراد. إلّا أن الضغوط الأميركية لم تحقق التأثير المرجو، إذ إنّ 21 دولة كانت قد وقّعت على الاتفاقية خلال الدورة العادية الثامنة عشرة لقمة رؤساء الدول وحكومات الاتحاد الأفريقي التي أقيمت في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا في كانون الثاني من العام الحالي.

وكان الرئيس الأسبق جورج بوش الابن قد وقّع مع الدول الأفريقية عام 2000 اتفاقية «أغوا ـ AGOA»، وهي اتفاقية تُسهّل التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والبلدان الأفريقية، وتعفي عدداً كبيراً من منتجات 38 دولة أفريقية من رسوم دخول أسواق الولايات المتحدة. اتفاقية ربما لم تكن لترى النور لولا الأسس التي وضعها بيل كلينتون لإنشاء علاقات اقتصادية وتجارية بين الولايات المتحدة وأفريقيا «ينبغي على دراسة معمّقة للمصالح الحيوية التي يمكن لواشنطن استغلالها لدى القارة السمراء»، كما تذكر «جون أفريك».

بعد ذلك، جاء الرئيس الأميركي باراك أوباما ليتبنّى سياسة اقتصادية توسعية في أفريقيا في محاولة لمنافسة الصين. لكن سياسته هذه لم تحدث تحولاً جذرياً، خاصة على الصعيد الاقتصادي، وبقي الاهتمام الأميركي منصبّاً على العمل الاستخباري و«مكافحة الإرهاب». وبذلك، خيّب أوباما آمال الأفارقة الذين أملوا خيراً من وصول رئيس من أصول أفريقية إلى سدّة الرئاسة في واشنطن. وفي المرحلة الأخيرة، أدّت التصريحات المسيئة والجدلية للرئيس الأميركي الحالي دونالد ترامب، بشأن البلدان الأفريقية، إلى استياء في هذه القارة.

استراحة

كلمات متقاطعة 2890

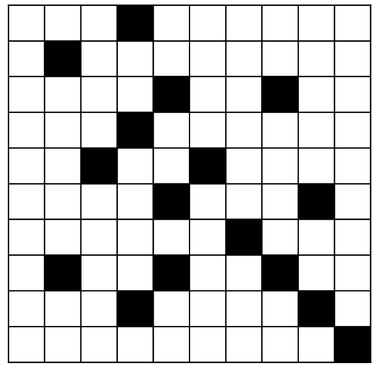

افقيا
1- بلدة لبنانية بقضاء بعبدا شهيرة بمياهها المعدنية – آلة يدوية يستعملها الحلاق – 2- رائعة الفنان ليوناردو دا فنتشي – 3- مقياس مساحة – إثنان بالأجنبية – نوع من الحيوانات الصدفية المائية – 4- إتفاقية بين الكرسي الرسولي والحكومة الإيطالية يستعاد فيها البابا حقوقه الزمنية داخل دولة الفاتيكان – من المآكل اللبنانية – 5- نوع من الأشجار – حرف جر – ضمير متصل – 6- خشبة الحائك – عاصمة اسيوية – 7- سيد الهة عند اليونان كان له معبد شهير في الأولمب – احد أنواع الطيب وأفخر أنواعه بعد المسك – 8- صوّت الرصاص – داس فشدخ – للنفي – 9- تستعملها لتسلق الجبال – ينثر الماء – 10- بلدة لبنانية بقضاء بنت جبيل

عمودياً
1- من ذرى جبل المكمل في سلسلة جبال لبنان الغربية – 2- سلسلة جبال روسية ينبع فيها نهر يحمل نفس الأسم – وثب بالعامية – 3- حرف نصب – دولة عربية – فكّ العقدة – 4- معركة شهدت إنكسار نابليون بونابرت – تنّ أو دخّان – 5- حقدوا وغشوا – عائلة طبيب فرنسي راحل مؤسس مدرسة تحليل نفسي هامة – 6- للتفسير – بذر الأرض – خاصم أشدّ الخصومة – 7- ربط وشدّ – يتّضح ويخرج من صدره صوت أجش لا إرادي – 8- خاصم ولاج – إسم كانون الثاني في بعض البلدان العربية – 9- مدينة في مصر بمحافظة اسيوط – سقي النبات – 10- من المعالم السياحية في لبنان

حلول الشبكة السابقة

افقيا
1- طرابلس – شرك – 2- شيراز – جبيل – 3- قم – رقيب – مر – 4- كي – الشام – 5- دروسهم – دنو – 6- وبّ – لوط – جن – 7- طب – رغ – نحيف – 8- رينو – بالمر – 9- الزوفا – 10- قبر – ميسلون

عمودياً
1- طشقند – طريق – 2- ريم – روبي – 3- آر – كوب – نار – 4- باريس – رول – 5- لزق – هلع – زم – 6- ياموبي – 7- جبل – طنافس – 8- شب – شد – حالل – 9- ريما نجيم – 10- كلرمون فران

2890 sudoku

4	2		7			9		6
				4				
1		7					2	3
	7				2		9	
		8	9		4	1		
	1		8		3	7		
8		2					3	4
				2	5			
5	4		3				7	1

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 2889

1	3	8	7	2	4	6	9	5
9	4	2	8	6	5	1	7	3
7	5	6	3	9	1	2	4	8
3	7	1	6	4	2	5	8	9
4	2	5	9	7	8	3	1	6
5	6	9	1	5	3	4	2	7
2	8	4	2	3	9	7	6	1
6	1	7	5	8	6	9	3	4
8	9	3	4	1	7	8	5	2

مشاهير 2890

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتبة وصحافية وناقدة مصرية تولت رئاسة تحرير جريدة أخبار الأدب لفترة وجيزة. تزوجت الشاعر المصري الراحل أمل دنقل وأصدرت كتاب « الجنوبي » الذي يحكي سيرته

10+9+8+7+9+11+2 = عاصمة كينيا ■ 1+3+4 = مرض ■ 6+5 = للتعريف

حل الشبكة الماضية: **فاسكو داغاما**

إعداد
نعوم مسعود

مبوب

مطلوب

Active and Fast Growing Exclusive agents and distributors in Lebanon for European and American Food Supplements & Cosmetics seeking serious investors.
(pharma.invest.2018@gmail.com)

خرج ولم يعد

غادرت العاملة الاثيوبية
DEMA SHUMI ABERA
من عند مخدومها، الرجاء ممن يعرف عنها شيئا الاتصال على الرقم 884577/76

غادر العاملان البنغلادشيان
Mohammad sale ahmmad babul
Shanto tamez uddin
من عند مخدومهما، الرجاء ممن يعرف عنهما شيئا الاتصال على الرقم 331175/70

غادرت العاملة البنغلادشية
Anowar hossain
من عند مخدومها، الرجاء ممن يعرف عنها شيئا الاتصال على الرقم 71/466081

غادر العامل البنغلادشي
Mohammad jalal faker
من عند مخدومه، الرجاء ممن يعرف عنه شيئا الاتصال على الرقم 367040/03

اختارت الحلاج لاستفز كل شخص متزمت

موسيقى

ضد التزمت والظلم **الحلاج** «يتجلى» عند أحمد حويلي

الليلة يجدد «الشيخ» موعده مع جمهوره ضمن أمسية يحتضنها مسرح «الجامعة اليسوعية». ليلة ستقتصر على الحلاج الذي قتل كحالة «العشاق» على حد تعبير أحمد حويلي

عبدالرحمن جاسم

ربما هو واحد من القلة في لبنان الذي يمكن القول عنهم بأنهم «متفرّغون» كلية لفنّهم الخاص. وخاص هنا كلمة قليلة لوصف «الإنشاد الصوفي»، إذ لا يمكن حصر ما يؤديه المنشد والمؤدي «الشيخ» أحمد حويلي. الشيخ هنا لأنّه درس العلوم الدينية قرابة 14 عاماً، أتبعها بدراسة أكاديمية مقارباً الفكرة نفسها، ناهيك بدراسته الموسيقى.

إنه المنشد والشيخ أحمد حويلي، الذي يعتبر بأنّ «العشق هو رأسماله الأوّل وقبل أي شيء»، فكل شيء هو حالة عشقية، حتى في انتقاله من مرحلة قراءة العزاء وصولاً إلى بحثه عن شخصيته الفنية ثم مرحلة الإنشاد الصوفي الحالي مع الات موسيقية وعازفين على مسارح خارج الإطار الديني/ العاشوراني الذي اعتاد عليه في بداياته. هل كان ذلك «انتقالاً» كبيراً بالنسبة إليه؟ «لم أعتبرها نقلة، فالقضية نفسها كانت وما زالت موجودة. مثلاً يأتي عرضي لموضوع كربلاء من المبدأ العشقي نفسه. كل شخص قتل في سبيل قضية عشقية أتحمل مسؤولية تجاهه ومسؤولية نقل تراثه من خلال الصوت والموسيقى. كلما أقدم أمسية في لبنان والخارج، أقدم قضية كربلاء؛ ليس من مبدأ طائفي أو مذهبي أو حتى ديني، بل من منطلق أنه شخص قتل من أجل العشق. قضيته واضحة هي قضية عشقية بلا شك. إذا أردنا الحديث عنها من المبدأ السياسي، فهو صراع الحق مع الباطل. من مبدأ روحي، هو كان عاشقاً حقيقياً. لذلك قال: «قلو قطعتني في الحب إربباً إربباً، لما مال الفؤاد الى سواك». وكمثل: «كما لا اعتبر ما قمت به نقلة، بل اتساعاً. إنها توسع في الأفق كي لا تنحصر القضية بشخص أو عنوان». ماذا عن بداياته مع الصوفية إذاً؟ يجيب: «حبي للصوفية كان منذ أن كنت في عمر 13 عاماً. تعرفت إلى استاذ رحمة الله عليه وأستاذتي كثر قبل دراستها أكاديمياً». هنا يحضر السؤال: لماذا لا يذكر أسماء الأساتذة في هذا المجال؟ يجيبنا: «هو شرط في عالم المعنى والباطن (بقصد الصوفية) ألا تذكر أسماء المعلمين لأنهم يعتبرون أنهم لم ياتوا الى الدنيا كي يكون لهم ظهور. مثلاً شمس التبريزي من شدة خجله، رفض أن يكون له أسم على قبره. يخجل أن يكون له اثر في زمان الوجود بدل عليه أمام الله». يشير حويلي إلى أنه أتبع تلك المرحلة بدراسة الصوفية أكاديمياً في «الجامعة اليسوعية» لأنّ «ابن عربي وضع أسساً أكاديمية للدراسة الفلسفية الصوفية. هناك نظام موجود في جامعات عديدة وبالأخص الجامعة اليسوعية التي تخرّجت منها. بعد دراسة الفلسفة، اتجهت الى مقارنة الأديان ثم عالم التصوف ليكون هذا مجالي الذي نلت رسالة ماجستير فيه». ماذا عن الموسيقى؟ هل جاء الموضوع حباً بها، أم أنها دراسة هي الأخرى؟ «موسيقياً، تعرّفت إلى المبادئ الموسيقية المتعلقة بالموضوع الى جانب دراستي لها طبعاً، لكنها لا تشبهني. مررت في المجال الغنائي/ الإنشادي الإنساني والأرض والوطن. حتى بدأت تجربتي الإنشادية الصوفية منذ 10 سنوات، مع ابن الفارض ورابعة العدوية وسواهما. لاقت التجربة استحساناً بشكل سريع وتوالت الأمسيات في لبنان وخارجه». يشير حويلي إلى أنّ الكلمات الصوفية والأناشيد تصل إلى الناس بسهولة «بسبب حاجتهم الروحية واستغراقهم في العالم المادي بشكل مخيف»، مؤكداً في الوقت عينه أنّ التصوف في لبنان لم يصل بعد بشكل عميق إلى الناس. هم يعرفونه

> المرأة بالنسبة إلى الصوفي تعني الصفات الأساسية لله

كموضة عبر كتاب اليف شفاق «قواعد العشق الأربعون» ورقصة التنورة للأسف. أحببت أن يكون الغوص في هذا العالم لإظهر أنّ العشق وحده يطهر ولم يكن أمامي من طريقة سوى أن أغنيه كي أظهره. لا سبيل آخر لتعبر عنه بشكل أدق من هذه عشقية كتبت بالحد الأدنى ما بين عامي 800 الى 1100 سنة من قبل سلاطين عشق لا يعرفهم أحد. حتى على المستوى الشعري، نحن لا نعرف سوى ابن الفارض والسهروردي. هناك كثيرون غيرهم كابسطامي وهو من الأشخاص الذين كان لهم قيمتهم في عالم المعنى».

هنا يعود الحديث إلى إشكالية الأنظمة الحاكمة مع «العشاق» كما يحلو لحويلي تسميتهم، إذ إن أغلب شعراء الصوفية وممارسيها المشهورين قتلتهم الأنظمة الحاكمة إبان وقتهم: «لدى العشاق مشكلتان. المشكلة الاولى هي عدم فهم الأنظمة هذه للمضمون مثل مضمون الحلاج. هؤلاء. أي العشاق. كانوا في غربة حقيقية. يسأل الإمام الحسين عن معنى الغربة الحقيقية، فيقول لهم «الغربة الحقيقية هي أن تتكلم ولا أحد يفهم كلامك». عندما قتل الحلاج، كان يقول لهم: «إن الله في جبتي» بقدر «ما ذاب وجوده وانفنى» بالتعبير الإسلامي أو «اتحد مع الذات الإلهية» كما في التعبير المسيحي اللاهوتي؛ هو صار منصهراً في الحقيقة الإلهية واصبح الله في داخله وكل الجمال الذي تراه هو الله، فاعتُبر كلامه كفراً. وكما تلاحظ في كل اشعارهم، تكلموا مع الله كأنّي لأنهم لم يكن باستطاعتهم الكلام بشكل مباشر، فبطّنوا اللغة. ولا شك في أنّ المرأة بالنسبة إلى الصوفي، قضية جدلية، فهي تعني له الصفات الاساسية لله، وهي المعبر والجسر الاساسي الوطيد». ويضيف: «ابن عربي يعتبر أنّ لله صفات جمال وصفات جلال وقدرة والى اخره. أعلى صفة لله هي صفة الجمال. اذا أردنا الحديث عن صفات الجمال، فاجمل صفة موجودة على الاطلاق هي المرأة، فالله قد اختصر الصفات الجمالية فيها. غوصك في الحقيقة تجاهها هو غوصك تجاه المعشوق الأوحد ليس تجاه الانثى كأنثى».

وبالعودة إلى النقطة الأولى، يؤكد المنشد الصوفي: «المسألة الأخرى هي مسألة سياسية. تقاط الخلاف التي مرت سابقاً هي أنّ التصوف لم يكن معروفاً. لقد بدأ كتجربة فردية عندما بدأ بنيتشر عام 220 هجري. النظام كان مختلفاً جداً عنه. والحكم في العصر العباسي كان قاسياً. لذا، فأي مختلف أو مخالف كان يعرّض نفسه للمحاكمة والقتل. من أسهل الأمور آنذاك اتهام الآخر بالكفر». هنا يقترب حويلي من تجربته الذاتية: «أنا اتهمت بهذا كله، واتهمت بأني تركت عالمي واتجهت الى عالم آخر. بمفهوم أهل الدنيا، المرتد هو الشخص غير الممارس للطقوس العامة. أنا مثلاً، نظرتي للطقوس نظرة مختلفة، فمفهوم الصوم عندي مختلف، ومفهوم الصلاة مختلف والحقيقة مختلفة. كل شخص يتعدى النظر الى الشكل الظاهري، هو متهم. حتى الموسيقى، فالموسيقى هي نوع محرم، وقد دفعنا ثمن ذلك. لكن ذلك الحمدلله قد انتهى اليوم، لأنهم فهموا بأن هدفي ليس الاتجاه الى الفن المبتذل». ولأن أمسية حويلي الرمضانية الليلة هي حول الحلاج فقط، لا بد من السؤال عن سبب اختياره. «الحلاج قضية جدلية فلسفية عند كل الفلاسفة والعشاق وحتى علماء الدين. هل الحلاج شطح ام لا. السبب الثاني أنه ظلم تاريخياً لغاية اليوم. انظر الى كل المتصوفين، لم يتم التعامل على أحد كما حدث مع الحلاج لأن رمزيته مستفزة؛ وأنا اخترته بكل صراحة لأستفز كل شخص متزمت، ولأقول له إنّ الحلاج لم يقصد الاهانة، بل فهمك الخاطئ هو الذي ظلمه. طالما لديّ صوت، سأجهد بانشاد قصيدته أو قصائده لأظهر لك ذوبانه في الذات الالهية». إذا ماذا عن اختيار «تقديمه» في شهر رمضان؟ «لأن الناس يتجهون في هذا الشهر الكريم إلى الابتهالات والأدعية والموشحات. انا كان لدي اختيار مختلف. هذه المرة، لم أحب أن تكون هناك فرقة موسيقية خلفي. أحببت أن تقتصر الأمسية عليّ وعلى عازف العود أسامة عبد الفتّاح وراقص درويش في الخلف. سنقدّم تجربة جريئة من حيث الدفء؛ وستكون على 50 دقيقة إلى ساعة كحد اقصى». ويختم ضاحكاً: «الا اذا كان الجمهور متحمّساً وطلب المزيد».

أمسية أحمد حويلي «صوته وعوده والحلاج ثالثهما» ■ 21:30 مساء اليوم ــ «مسرح الجامعة اليسوعية» (بيروت ـ طريق الشام). للاستعلام: 01/218078 . 03/006329

تحية

جوسلين صعب... سينمائية القضايا «أينما تكون»

في الذكرى الخامسة لتاسيسه، يوجّه متحف «مقام» تحية إلى السينمائية اللبنانية من خلال معرض استعادي ينطلق بدءاً من اليوم مع عرض مجموعة من فيديواتها تعود إلى ما بعد 2006. عام مفصليّ بدأت من بعده الاهتمام بالتصوير الفوتوغرافي، والفيديو، والتجهيز، مناسبة للعودة إلى مسار هذه المشاكسة وممارستها الفنية والصحافية والسينمائية التي كان عنوانها الجرأة

أمل عارف

رسمت شخصيّة جوسلين صعب (1948) الصحافية، ملامح أفلامها. تخطّت الحدود المغلقة وحطّمت العديد من الحواجز الاجتماعية والسياسية. نزلت من الوسط البورجوازي الفرنكفوني اللبناني الى الشارع والمخيمات الفلسطينية وميادين الحروب. جرأتها ليست وليدة الحرب الأهلية فقط، هي ممارسة بدأتها مذ عملها في الإذاعة اللبنانية، وتسببت في إيقاف برنامجها الموسيقي «عيون المارسوبيلامي زرقا» بعد خروجها عن فقراته التقليدية، أو عن المحظور الاجتماعي في الإذاعة. كانت أولى مراسلات الحرب العربيّات، من بين ثلاث نساء، اقترن من الجبهة لتغطية حرب أكتوبر عام 1973.

في العام ذاته، ذهبت الى ليبيا، لتغطية مسيرة معمّر القذافي الخضراء، حين أراد صنع وحدة من طرف واحد مع مصر في عهد أنور السادات. حينها، انتهت رغبة القذافي بعرض وخطاب في ساحة بنغازي، وعاد الناس أدراجهم، إلّا جوسلين، التي مكثت أياماً تنتظر موافقة القذافي على إعطائها مقابلة. وافق الأخير وقضت معه أياماً إضافية في جولته في الصحراء، وصوّرت بورتريهاً عن شخصيّة العقيد الشاب حاكم ليبيا.

عام 1976، ذهبت الى مصر، تعرفت إلى يسارها، وصوّرت مع الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم على طريق الحجّ بين مصر والسعودية، فمنعت من دخول المحروسة. ظلّ المنع سارياً في مطار القاهرة إلى ما بعد عامين من اغتيال السادات، ما تسبّب في مبيتها للمرّة الأولى في حياتها في سجن المطار.

مشاكستها في مصر بلغت ذروتها حين تطرقت إلى الختان في شريطها الروائي «دنيا» عام 2005. تعرّضت وطاقم عملها للتهديد، ولحملة إعلامية شرسة ولم يعرض الفيلم.

الحرب اللبنانية التي انطلقت عام 1975، كانت لها الحصّة الكبرى في أعمال جوسلين، هي التي كانت حاضرة لتوثيقها قبل بدايتها. لم تكن على الحياد قبل اندلاع أحداثها، فموقفها كان مؤيداً للقضية الفلسطينية ولنضال الأحزاب اليسارية آنذاك. الحرب شهدت بدايات تجربتها السينمائية. في عامها الأول، أخرجت جوسلين باكورة أعمالها التسجيلية الطويلة «لبنان في الدوامة»، تلاها «أطفال الحرب» (1976)، و«بيروت لم تعد كما كانت» (1976)، ثمّ «رسالة من بيروت» (1979) و«بيروت مدينتي» عام 1982. كانت الحال الإنسانية في الحرب، غالبة على صورة أفلامها الوثائقية.

احترق منزلها خلال الاجتياح الإسرائيلي، وصلتها رسائل تهديد، اعتدى بشير الجميّل ومسلحّوه عليها وعلى فريق صحافي فرنسي. أثناء تغطيتها لقضية صراع الحدود في الصحراء المغربية، أطلق عليها وعلى مصوّرها النار. يومها، عبرت الحدود الى الجزائر وقابلت الرئيس هواري بومدين. صعدت على متن السفينة التي غادر فيها ياسر عرفات والقيادات الفلسطينية بيروت، وأجرت معه المقابلة في عرض البحر، شاهدة على إسدال الستارة على مرحلة الكفاح الفلسطيني المسلّح في بيروت.

هذه هي جوسلين صعب، المغايرة والمشاكسة والمتحدّية، أعمالها تدلّ على مسيرتها وشخصيتها. هي أيضاً شخصية الأنثى الرقيقة والحالمة في أعمالها الروائية بدأً من شريطها الأول «غزل بنات 2» أو «حياة معلّقة» عام 1985 و«كان يا ما كان بيروت» 1995، و«دنيا» و«شو عميصير» في 2009.

نالت جوسلين صعب جوائز عدة وعرضت أعمالها في مهرجانات عربية وعالمية، منذ أن باشرت بتصوير التحقيقات الصحافية المصوّرة والأعمال التسجيلية الأولى. لكن لا الجوائز ولا المهرجانات ما دفع جوسلين حينها الى حمل الكاميرا الثقيلة والجري لتوثيق الأحداث. في صحافة أو سينما جوسلين صعب، هناك دائماً قضية. قضية الجماعة أو قضية الفرد، قضية سياسية أو إنسانية. بداية جوسلين كانت مع فلسطين، مع تغطيتها أحداث «أيلول الأسود»، وتصوير النساء الفلسطينيات وتدريب الأطفال في المخيمات وقصف الطائرات الإسرائيلية للمخيم عام 1973، مع اعتراضها واعتصامها بسبب تغييب القضية الفلسطينية عن الشاشة اللبنانية. قاومت بعدستها وبمواقفها ونشاطاتها. في عام 2013، أطلقت مهرجان «المقاومة الثقافية»، وأرادت أن تجري العروض في مناطق عدة في لبنان من الشمال إلى الجنوب. كان التحدي في التوقيت يومها، إذ انطلق المهرجان أثناء الحرب في سوريا، وجولات القتال في طرابلس والتفجيرات في بيروت.

معرض استعادي لجوسلين صعب: بدءاً من اليوم حتى 16 أيلول (سبتمبر) المقبل ـ متحف «مقام» (جبيل ـ شمال بيروت). للاستعلام: 03/197900 أو 03/271500

الحرب اللبنانية احتلت الحصّة الكبرى في أعمالها

رادار

مصروفو «الحياة» يربحون الجولة الأولى

زكية الديراني

قبل أيام قليلة من موعد إغلاق مكتب «دار الحياة» في بيروت (تضمّ جريدة «الحياة» ومجلّة «لها») المقرّر في 30 حزيران (يونيو) الحالي (الأخبار 2017/11/22)، ربح مصروفو الدار في العاصمة اللبنانية جولة أولى ضمن المعركة الطويلة لاسترجاع حقوقهم وتعويضاتهم. رغم الحالة الصعبة التي يعيشها هؤلاء، إثر إغلاق العدد الدولي لـ«الحياة» الذي يصدر في بيروت ومصر، إلا أن المؤشرات تدلّ على أن القضية شارفت على النهاية. بعدما فشلت التشاورات بين الموظفين والقائمين على الدار وبين «وزارة العمل»، اتّجه العاملون نحو «مجلس العمل التحكيمي» للفصل في قضيتهم والحصول على حقوقهم (الأخبار 2018/2/24)، خاصة أن الدار تتحجّج بأنّ سبب الإقفال «مادي»، بينما كل المؤشرات تدل على أن الأسباب ليست مقنعة. من هذا المنطلق، تسلّم المحامي أكرم عازوري ملف موظّفي «الحياة»، وانتظر قرار «وزارة العمل» و«مجلس العمل التحكيمي» إزاء حقوق العاملين الذين يبلغ عددهم أكثر من 100. في هذا الإطار، أصدرت وزارة العمل قبل أيام تقريرها الذي اعتبرت فيه أن صرف موظّفي «الحياة» هو «تعسّفي، وأن الادارة لم تحترم أصول الصرف الاقتصادي». وفي حديث إلى «الأخبار»، يفنّد عازوري التقرير قائلاً «تقرير الوزارة واضح، وهو يقف إلى جانب الموظفين. بحثت الوزارة في تداعيات الحجج الاقتصادية التي قدّمتها «الحياة»، ولكنها وجدت أنها غير مُثبتة. لذلك خلص التقرير إلى أن «الحياة» لم تلتزم بنص المادة 50 عمل الفقرة «واو»، لجهة التقيد بمهلة الشهر القانونية قبل تنفيذ الصرف، مما يرتّب حفظ الحقوق والتعويضات المتوجبة للأجراء موضوع التشاور، واعتبار قرار إنهاء عقودهم مسنداً إلى سبب غير مقبول». ويتابع

> من المتوقع أن يكون قرار «مجلس العمل التحكيمي» إيجابياً أيضاً

عازوري: «هذا التقرير هو مبشّر بالخير. بالتالي نحن في انتظار قرار «مجلس العمل التحكيمي» المتوقع صدوره قريباً.

صحيح أن صاحب أيّ مؤسسة لديه الحقّ في صرف أجرائه، لكن إذا تحجّجت الشركة بالوضع الاقتصادي كما حصل مع «الحياة»، فعليها أن تُثبت ذلك بالفعل والأدلة والموازنات والمستندات الرسمية. هذه الخطوة لم تقم بها «الحياة» أبداً». ويشرح عازوري بأن «محاكم العمل لم تفصل بعد بالدعاوى التي قدّمت ضمن المهل القانونية، إلا أن وزارة العمل أصدرت تقريرها الواضح برفض حجج «الحياة».

ومن المتوقع أن يكون قرار المحكمة إيجابياً أيضاً يصبّ في صالح الموظفين، لأن التقرير الأول واضح بأن الصرف تعسفي، وبالتالي يجب أن تدفع الدار جميع حقوق الموظفين التي قد تراوح بين شهر و12 شهراً حسب سنوات الخدمة».

في المقابل، لا يمكن الحديث مع عازوري عن دعاوى الاعلاميين المصروفين من دون التطرّق إلى قضايا صحف «النهار» و«البلد» و«الوسيط» (تابعة لـ«البلد» ومخصّصة للاعلانات). وبلفت المحامي إلى «أن المصروفين من «النهار»، الذين يبلغ عددهم نحو 8، لم يوافقوا على التسوية التي قدّمتها الصحيفة إثر صرفهم قبل عام ونصف عام، واتجهوا نحو المجلس التحكيمي، وربحوا الدعوى أخيراً وصدر القرار بعد صراع مع القائمين على الصحيفة. بالتالي سينالون حقوقهم كاملة قريباً». ويتابع «أما بالنسبة إلى «البلد» و«الوسيط»، فإنّ الوضع فيهما لا يزال على حاله. وقد اعترف القائمون على الصحيفة اليومية و«الوسيط» الاسبوعية بأنّ صرف الموظفين كان تعسّفياً، ولكنهم لغاية اليوم لم يدفعوا لهم مستحقاتهم المادية». ويختتم عازوري حديثه بمناشدة «مجلس العمل التحكيمي» أن يُصدر قراراته سريعاً بعيداً عن المماطلة، لأنّ «الأجير لا قدرة له على تحمّل الأعباء المادية والنفسية الناتجة عن المماطلة».

تركي آل الشيخ: welcome عمرو أديب!

لا يمكن تفسير ما يحصل في قناة mbc خلال الأشهر القليلة الماضية أو تحليله بطريقة عقلانية، إذ ينام العاملون في الشبكة السعودية على خبر ليصحوا على آخر نقيض للأوّل. في كل مرة، تشهد المحطة تغييرات يعتقد العاملون أنها ستكون الأخيرة، لكنهم يفاجأون بأنّ سبحة التغييرات لا تنتهي، آخرها تمثل أوّل من أمس في انتقال عمرو أديب إلى قناة mbc pro sport. والأخيرة محطة رياضية تابعة للشبكة السعودية، تأسّست عام 2014 وكانت تستقطب المشاهد السعودي بسبب نقلها حصرياً الأنشطة الرياضية، أبرزها الدوري السعودي لكرة القدم. لكن في الشتاء الماضي، قرّر السعودي تركي آل الشيخ، مستشار الديوان المعروف بولعه بالشاه والرياضة، كفّ أيدي الممولّين عن الشاشة الرياضية وسحب عرض الدوري السعودي منها، فوصلت الشاشة إلى شفير الإقفال. لذا، فخير انتقال عمرو أديب إلى الشاشة الرياضية، لتقديم برنامج عليها، فاجأ الجميع، وخاصة أن طريقة الاعلان عنه جاءت بسرية تامة من قبل الطرفين. وكان الإعلامي المصري قد أعلن أخيراً تركه قناة On E المصرية التي انضم إليها قبل عامين تقريباً، مضيفاً أنه سيكون في فترة استراحة للخريف، ثم عاد وظهر مرة أخرى على شاشتها، ليكون انتقاله إلى أحضان الاعلام السعودي بمثابة الوداع الأخير. حتى إن جميع العاملين في mbc لم يكونوا على علم بالخطوة التي انحصرت بعلم تركي آل الشيخ وبعض المقرّبين منه. أتت هذه الخطوة في ظلّ استعداد الشيخ لإطلاق قناة «مود» المتوقعة في شهر آب (أغسطس) المقبل (الأخبار 2018/5/28)، لكنّ مصدراً يشير لـ«الأخبار» إلى أن «مود» جمّدت حالياً، بعدما قرر آل الشيخ إعادة تفعيل mbc pro. في هذا الإطار، انتشر فيديو تسجيلي يجمع أديب وآل الشيخ وإلى جانبهما الاعلامي السعودي بتال القوس. والأخير هو مقدّم في قناة «العربية»، يُحكى أنه دخل على خطّ القرارات المصيرية في mbc. كذلك برز اسمه عندما أعلن الإعلامي السعودي وليد الفراج، قبل أيام، تركه قناة mbc Action

> وُقّع العقد في ظلّ غياب مسؤولين من قبل mbc

بعدما عمل فيها سبع سنوات وقدّم برنامج «أكشن يا دوري»، وانتقاله إلى قناة ksa sports التي يديرها الإعلامي السعودي تركي العجمة، إثر توقيع الفرّاج عقده الجديد، كان القوس حاضراً معه إلى جانب العجمة، وبالتالي يكون شاهداً على انتقال الإعلاميين بتال القوس وعمرو أديب إلى موقعهما الجديد. أما في الفيديو الذي يعود للمقدّم المصري، وقد تمّ تداوله على نطاق واسع، فيظهر توقيع أديب عقداً مع الشاشة السعودية (مدته سنتان)، فيتدخل آل الشيخ ويهنّئ أديب بأنه أصبح «أعلى مذيع في الشرق الأوسط. ويلكام لاري كينغ العرب إلى السعودية». العقد تمّ توقيعه في ظلّ غياب أيّ مسؤولين من قبل mbc، وهذا الأمر لم يكن يحصل سابقاً، خاصة أن عملية الانتقال جاءت بعد أيام قليلة من الزيارة الأولى لوليد آل ابراهيم، رئيس مجلس إدارة mbc، إلى مكاتب المحطة في دبي (الأخبار 2018/5/29)، وقيل إن الأمور ستُفرج قريباً وتعود القناة إلى سابق عهدها بالنشاطات الاعلامية. وكان آل ابراهيم قد اعتقل مع باقي الأمراء في «ريتز كارلتون» في الرياض نهاية العام الماضي. وفور خروجه إلى الحرية، أعلن آل الديوان الملكي استحواذ على 60 في المئة من أسهم mbc، واحتفظ هو بالنسبة المتبقية. هذا الأمر فسّره بعضهم بأنه كان ثمناً لحرية وليد آل ابراهيم. يُذكر أن المواقع الاخبارية المصرية تشير إلى أن المزيد من الاعلاميين المصريين سينضمّون إلى mbc pro، فمن سيكون التالي؟

زكية...

الأخبار
al-akhbar
السبت 9 حزيران 2018 العدد 3487

صورة وخبر

وضع العاملون في متحف Hermitage في أمستردام اللمسات الأخيرة على القطع التي سيشملها معرض Classic Beauties (جماليات كلاسيكية) الذي يفتتح في 16 حزيران (يونيو) الحالي ويستمرّ لغاية 13 كانون الثاني (يناير) 2019. سيوفّر المعرض رحلة ممتعة إلى عالم الحركة الكلاسيكية الحديثة في أوروبا، من خلال مروحة منوّعة من الأعمال التي تضم منحوتة The Three Graces للإيطالي أنطونيو كانوفا (1757 ـ 1822). (ساندر كونينغ ــ أ ف ب)

حملة المقاطعة:
MeBop أو فخّ التطبيع الأكاديمي

على الرغم من أنّ المقاطعة الأكاديمية للكيان الصهيوني هي من أكثر أشكال المقاطعة المثيرة للجدل، فقد ازداد في الآونة الأخيرة حجمُ هذه المقاطعة في العالم، على مستوى الجامعيين والجامعات، من أجل حثّ هذا الكيان على التزام القانون الدوليّ، وخصوصاً لجهة انسحابه من الأراضي العربيّة المحتلّة عام 1967 ووقفِ جرائمه المستمرّة في حقّ الشعب الفلسطينيّ.

يُجادل معارضو المقاطعة الأكاديميّة بأنّ العلم منفصلٌ عن السياسة، وبأنّه ـ بحكم طبيعته «الموضوعيّة» وفائدته على سائر البشر ـ يتجاوز الحواجزَ أيّاً كانت طبيعتها، ويبني جسوراً بين الشعوب. لكنّ نظرةً متبصّرةً إلى الكيان الإسرائيلي كافية لفضح تورّط الجامعات ومراكز الأبحاث الإسرائيليّة في دعم المؤسّسة العسكريّة والقضائيّة ومدّهما بكثيرٍ ممّا يلزمهما لإدامة احتلال الأراضي العربيّة ولتأبيدِ القهر ومكافأة القاتل.

بناءً على ما تقدّم، وتحت شعار بناء القدرات وتجسير الحواجز، أطلق الفلسطينيّ عمر حرب (من جامعة بنسلفانيا) والإسرائيليّة ليلاش شاينر (من جامعة گلاسگو) حلقة دراسيّة سنويّة بعنوان Middle-east Biology of Parasitism (MeBoP)

وكانت شاينر قد التقت عمر حرب في مؤتمر علميّ، ما حثّهما على إنشاء MeBop. ويؤكّدان كلاهما أنّ في إمكان من يمتلكون اهتماماتٍ مشتركة أن يلتقوا ويصبحوا أصدقاء، بغضّ النّظر عن أيّ اعتبار آخر.

تُعقد حلقة MeBop الدراسيّة، منذ افتتاحها في أواخر تمّوز 2016، في جامعة بيرن في سويسرا، في الموعد نفسه تقريباً من كلّ سنة، وتستمرّ نحو أسبوعين (الموعد المقبل هو في الثاني والعشرين من شهر تمّوز). من شروط الانتساب أن يَحمل المرشّحُ جنسيّةَ أحد بلدان «الشرق الأوسط»، أو شمال أفريقيا، أو أفريقيا جنوب الصحراء، ومن بين هذه الدول الكيانُ الإسرائيليّ طبعاً. تجدر الإشارة إلى أنّ MeBoP ليست مؤتمراً علميّاً اعتياديّاً يشارك فيه باحثون وطلّاب من كافّة أنحاء العالم، بل حلقة دراسيّة وورشة عمل لمجموعة محدودة، يَعرف المنتسِبُ إليها مسبقاً أنّ لها هدفاً معلناً يصرِّح به الموقعُ الإلكترونيّ من خلال النقطة الثانية:

«توفيرُ بيئةٍ يُعطى فيها الباحثون الشباب، من مناطق نزاع سياسيّة، الفرصةَ كي يركّزوا على اهتماماتهم المهنيّة وأهدافهم المشتركة؛ والترويجُ للتشبيك؛ وبناءُ تعاوناتٍ مهنيّة عبر هذه المناطق».

يشارك سنويّاً في هذه الحلقة الدراسيّة أساتذة وطلّابٌ إسرائيليّون، وللأسف شارك فيها سعوديون ومصريون ولبنانيون. ففي عام 2016 شاركتْ د. ص، وهي أستاذة مساعدة في كليّة الصحّة العامّة في الجامعة اللبنانيّة. وفي عام 2017 شاركتْ ل. م، وهي طالبة دكتوراه في الجامعة الأميركيّة في بيروت، وقدّمتْ عرضاً (الاسم الخامس في In-troductions) فيه خريطة لمنطقة الشرق الأوسط تسمّي جزءاً من الأراضي الفلسطينية باسم «إسرائيل»؛ كذلك قدّمتْ عرضًا آخر بمشاركة طالبة إسرائيليّة (المجموعة الثانية في Module 1). ويرد في لائحة الداعمين للمبادرة اسمُ هـ. ح، وهي أستاذة مساعدة في كليّة الطبّ في الجامعة الأميركيّة في بيروت (الاسم العشرون على اللائحة).

يهمّ حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان أن تؤكّد خطورةَ حلقات دراسيّة كهذه؛ حلقاتٍ لا يُنظر فيها إلى الإسرائيليّ بوصفه مواطناً في دولةٍ قامت على الاحتلال والقتل والتهجير، بل كزميل وصديق محتمل يتشاطر والمشاركين أسئلةَ البحث العلميّ وهواجسَه، ويتحدّث معهم لغة «العلم» وحسب. وتدعو الحملة إلى مقاطعة MeBoP وأخواتها التي تشكّل بيئةً «مثاليّةً» للتطبيع الأكاديميّ مع كيانٍ لا يوفّر جهداً في استغلال العلم والأكاديميا خدمةً لأهدافه الاستعماريّة.

وحرصاً من حملتنا على تعميم الفائدة من المعلومات التي وثّقتها عن ورشة عمل MeBoP، فإنّها ستقوم بالاتصال بالجامعات العاملة في لبنان، ولا سيّما تلك التي شاركتْ في الماضي في هذه الورشة ومثيلاتها، لما في ذلك من تحصين للطلّاب والأساتذة الجامعيين من الوقوع في فخّ التطبيع الأكاديميّ. كذلك ندعو الجميعَ إلى الامتناع عن المشاركة في هذه الورشة وفي شبيهاتها من الورشات التطبيعيّة.

حملة مقاطعة داعمي «إسرائيل» في لبنان
7 حزيران 2018

سليمان زيدان: «مبسوط إنّي ميّت»

في 2014، قدّم سليمان زيدان (الصورة) مسرحية «أنا مبسوط إنّي ميّت»، المقتبسة عن «كرنفال الأشباح» للفرنسي موريس دوكوبرا. وفي 28 حزيران (يونيو) الحالي، سيعيد تقديمها على مسرح «أبراج». يعالج العمل الغنائي تخبّط الإنسان بين إرادتي الموت والحياة، وانعكاسهما على «الحلم والأمل والاستسلام والرضوخ والسخط على الوجود»، من خلال «أموات» أتتهم فرصة حياة جديدة... فكيف كانت النتيجة؟ إلى جانب زيدان (تمثيل ونص وإخراج وموسيقى)، يشارك فيه الممثلون مروى دندن، وروي واكد، ورامي ماهر، وغادة بيضون، وعبد جمعة، وزهير القواص، وضياء حمزة (بيانو).

الخميس 28 حزيران ـ 19:00 ـ «مسرح أبراج» في سنتر «أبراج» (فرن الشبّاك ـ قضاء بعبدا/ ط 2-).
للاستعلام: 01/288760

يوم اللاجئين العالمي: الموسيقى جسر تواصل؟

في مناسبة «يوم اللاجئين العالمي» (20/6)، تدعو جمعية Red Oak في 22 حزيران (يونيو) الحالي إلى المشاركة في طاولة مستديرة حول «الموسيقى: جسر للتواصل» في معهد «غوته». يأتي النشاط في إطار مشروع «دَبَكْ» (بمبادرة من الموسيقي وائل قديح) الذي يهدف إلى «جمع موسيقيين محترفين، سوريين ولبنانيين، للعمل معاً على إنتاج عمل فنيّ فريد وإصدار ألبوم وإحياء حفل موسيقي». يشارك في اللقاء المديرة التنفيذيّة لـ«دار النمر للفن والثقافة» رشا صلاح (الصورة)، والموسيقي والمنتج رائد الخازن، والموسيقيّان خالد عمران وآية متولي، وفنان الهيب هوب «شينو»، على أن يديره الزميل بيار أبي صعب.

الجمعة 22 حزيران ـ 18:00 ـ معهد «غوته» (الجميزة ـ بيروت).
للاستعلام: 01/780200

«مهرجانات بعلبك» تلتقي الأهالي

في مبادرة تندرج ضمن «إشراك الأهالي والمجتمع المدني» في الأنشطة التي تشهدها «مدينة الشمس»، نظّمت لجنة «مهرجانات بعلبك الدولية»، أوّل من أمس لقاءً مع فعاليات بعلبك ومنطقتها للإعلان عن برنامج صيف 2018 الذي يبدأ في 8 تموز (يوليو) ويختتم في 18 آب (أغسطس). الأخبار (1/5/2018). الموعد الذي استضافه أحد فنادق المنطقة، جرى بمشاركة الفنانَيْن جاهدة وهبة وجورج خباز، وبحضور حشد كبير من أبناء المنطقة وفعالياتها. خلال اللقاء، أكدت رئيسة اللجنة، نايلة دو فريج، أنّ «الإعلام يحمل رسالة إنسانية، من ملامحها الترويج للأمور الإيجابيّة الثقافية والفنية والسياحية في المجتمع، لذا علينا نشر رسالتنا عبره وعبر كل وسائل التواصل الاجتماعي»، مستعرضةً مسيرة المهرجانات خلال السنوات الخمس الأخيرة، لا سيّما في ظل الظروف الأمنية الصعبة.

أما وهبة التي تلتقي الجمهور (17/8) برفقة الموسيقي إيلي معلوف ضمن أمسية تجمع بين الطرب والجاز، فاستهلت كلمتها بمقطع من قصيدة للشاعر طلال حيدر: «البعل اللّي كان بحبها ملبّك، بدّو هدية للشمس، عمّرلها بعلبك»، مشيرة إلى أنّ «كل السلالم الموسيقية تؤدي إلى بعلبك».

من جهته، أعرب خبّاز عن سعادته بالمشاركة في المهرجانات بعمل كوميدي موسيقي بعنوان «إلّا إذا...» (10 و11/8)، بمشاركة أوركسترا تضم 35 عازفاً، ولوحات تراثية لفرقة «المجد» بقيادة الفنان خالد النابوش، فضلاً عن تقديم أغنية تكريمية لبعلبك «بشراً وحجراً». واختتم اللقاء بالوقوف دقيقة صمت على الراحلة مي عريضة.

«مهرجانات بعلبك الدولية»: من 8 تموز (يوليو) حتى 18 آب (أغسطس).
للاستعلام: 01/999666

من اللقاء

«متروفون» في حزيران: تحية إلى سامي حواط

هذا الشهر، سيطلّ سامي حوّاط (الصورة) على الجمهور في حفلتَيْن يستضيفهما «مترو المدينة» 19 و26 حزيران (يونيو) الحالي، ضمن سلسلة «متروفون» التي انطلقت في عام 2016. لكن هذه المرّة، سيستعيد ابن مدينة جبيل في هذين الموعدَيْن مشواره الفنّي وريبيرتواره الخاص الذي يشكّل جزءاً من أرشيف الأغنية اللبنانية. طبعاً، ستُلقى مهمّة الغناء على عاتق الفنان المولود في عام 1956، ويرافقه الموسيقيون: سماح بو المنى (أكورديون)، ووفاء بيطار (قانون)، وفؤاد بو كامل (كونترباص)، وأحمد الخطيب (إيقاع). أما مقدّمة الحلقتين، فسيتولّاها هشام جابر.

«متروفون» يقدّم سامي حوّاط: الثلاثاء 19 و26 حزيران ـ 21:30 ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت).
للاستعلام: 76/309363

الأخبار
al-akhbar
رياضة
كأس العالم 2018

مونديال الغيابات الكبرى

- إيطاليا افتقدت للغرينتا فافتقدها المونديال
- الطواحين الهولندية تعطّلت فجأة
- «لا روخا» اللاتيني: نهاية حزينة للجيل الذهبي

أبرز الغائبين عن هذه النسخة هم إيطاليا، هولندا، وتشيلي

المونديال بلا «كاتيناشيو» ولا «غرينتا»

إيطاليا مِلح العالم... لكنها لم تتأهل

منتخب إيطاليا لن يكون موجوداً في روسيا. رغم أن الإيطاليين بدأوا مرحلة التجديد، فإن فشل إيطاليا في التأهل لا يزال عصيّاً على التصديق. هي خسارة طبعاً لإيطاليا، لكنها خسارة للمونديال أيضاً إزاء منتخب بتاريخ وعراقة «سكوادرا آتزورا». المدرب فنتورا، وخلفه الاتحاد الإيطالي لكرة القدم، هم سبب هذه الكارثة التي حلّت بالمونديال قبل انطلاقه

الخطأ يعود إلى ما قبل التصفيات (أرشيف)

حسن زين الدين

هل يمكن أن يكون المونديال مكتملاً من دون إيطاليا؟ هذا السؤال لو طُرح على مرّ تاريخ كأس العالم أو على الأقل منذ 60 عاماً تاريخ الغياب الأخير لـ «سكوادرا آتزورا» عن البطولة لكان الجواب حتماً: لا. لكان مجرّد طرح السؤال ضرباً من ضروب الخيال. لكن، في 2018، أصبح هذا الخيال واقعاً. في 2018، سنشاهد المونديال من دون إيطاليا.

لن تُشرق في حزيران المقبل شمس إيطاليا على روسيا.

كثر حتى الآن طبعاً ما يزالوا لا يصدّقون أن موندیالاً سيُلعب من دون الطليان. من الصعب استيعاب ذلك. هذا أقلّ شيء إزاء منتخب لم يغب عن التصفيات سوى مرة واحدة عن المونديال في 1958 ولم يشارك في النسخة الأولى عام 1930. إزاء أول منتخب يحصد اللقب مرتين متتاليتين في أولى مشاركاته في النسختين الثانية والثالثة. إزاء منتخب حصد اللقب العالمي 4 مرات وبلغ 6 مرات إلى المباراة النهائية. إزاء منتخب قدّم في كل مشاركاته لاعبين عظماء أمثال جيوسيبي مياتزا وجياسينتو فاكيتي وباولو روسي ودينو زوف وفرانكو باريزي وروبرتو باجيو وباولو مالديني والیساندرو دل بييرو وفرانشيسكو توتي وأندريا بيرلو وفابيو كانافارو وجيانلويجي بوفون والكثير الكثير غيرهم. إزاء منتخب يشكّل تاريخاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. ذاكرة عشاق المونديال فيها حيّز كبير لإيطاليا. الأمر لا يتعلّق فقط بعشاق «الآتزوري» المولعين به حدّ الجنون، بل يمتدّ إلى كثر من متابعي كأس العالم نظراً إلى عراقة ومكانة المنتخب الإيطالي وكرته التي لا تشبهها كرة. للمنتخب الإيطالي نكهة خاصة. لطالما كان «الآتزوري» المنتخب القوي والذي تفرّد بتلك الروح القتالية أو «الغرينتا» التي نالت الإعجاب وجعلته دوماً رقماً صعباً في البطولة ومنافساً شرساً. حتى اللعب الدفاعي الذي اشتهر به كان جاذباً بوجود مدافعين أفذاذ. «الكاتيناتشيو» الإيطالي كان ساحراً.

في الوقت الذي تستعدّ فيه حالياً المنتخبات للمشاركة في المونديال الروسي وتُعلن تشكيلاتها للبطولة، فإن وضع «سكوادرا آتزورا» يبدو مغايراً تماماً. إيطاليا، ببساطة، تبذل جلدها بعيداً عن المونديال، وأولى الخطوات كانت تعيين روبرتو مانشيني مدرباً خلفاً لجانبييرو فينتورا. العالم الآن في مكان، وإيطاليا في مكان آخر. عمل كبير على كاهل الرجل طبعاً، إذ ليس بقليل ما حصل مع «الآتزوري». لكن كان من الممكن أن لا تصل إيطاليا إلى هذه الخطوة وحتى أن لا تغيب عن البطولة، بيد أن الطليان أخطأوا مراراً. الخطأ الأول يعود إلى ما قبل التصفيات المونديالية الأخيرة. يعود تحديداً إلى الفترة التي تلت تتويجهم بلقب مونديال 2006. حينها وصل الإيطاليون إلى القمة مع جيل كان يصل إلى نهاية مشواره في الملاعب، على الأقل على المستوى الدولي، أمثال النجوم الیساندرو دل بييرو وفرانشيسكو توتي وفابيو كانافارو وماركو ماتيراتزي وماورو كامورانيزي والیساندرو إنيستا، فضلاً عن وصول لاعبين آخرين أمثال جينارو غاتوزو ولوكا طوني وسيموني بيروتا إلى عتبة الثلاثين، أي إن الأمر كان يستدعي أن تكون إيطاليا قد بدأت مسبقاً التحضير لجيل جديد. صحيح أن «الآتزوري» وصل إلى نهائي كأس أوروبا 2012 ونصف نهائي نسخة 2016، لكن في البطولة الأولى كان لا يزال أندريا بيرلو بسحره حاضراً وماريو بالوتيللي وصل ليصبح بطلاً للعالم في 2014. الفضل للمدرب أنطونيو كونتي الذي عرف بأسلوبه كيف يشحذ همة اللاعبين ويصل بالـ «غرينتا» من دور المجموعات. بدا واضحاً أن الكرة الإيطالية أمام أزمة جيل. ألمانيا عاشت التجربة ذاتها أواخر التسعينيات لكنها استدركت الأمر حيث بدأ اتحاد الكرة بالاشتراك مع الأندية الاهتمام بالمواهب الناشئة واكتشافها فظهر جيل في قمة مستواه، وفي الثانية يعود الطليان لم يفعلوا ذلك. النتيجة حصدوها في مونديال 2010 ومن ثم في مونديال 2014 عندما ودّعوا إلى أعلى مستوياتها.

في الجيل الحالي الذي فشل في تصفيات مونديال روسيا، يُطرح السؤال: هل يمكن تسمية لاعب موهوب إيطالي واحد تتنافس الأندية الأوروبية الكبرى لضمه مقابل مبالغ خيالية كما هو موجود في باقي المنتخبات الكبرى؟ الجواب هو: لا. بالنظر إلى تشكيلة فنتورا طبعاً. أما خارجها، فيمكن الحديث عن برناردسكي، وعن فيراتي، وعن فيردي، وعن انسيني، وعن كثيرين. لكن رغم ذلك، فإن إيطاليا كانت قادرة على تفادي ذلك الفشل في التصفيات ذلك أن المنتخب كان لا يزال يضم بعض الأسماء على غرار الكبير جيانلويجي بوفون وليوناردو بونوتشي ودانييلي دي روسي وأنطونيو كاندريفا وماركو فيراتي والشابين لورنزو إنسيني (لم يلعب إلا بعض الدقائق) وأندريا بيلوتي لو لم يرتكب الاتحاد الإيطالي كرة القدم الخطأ الكبير بتعيين مدرب مغمور اسمه جيانبييرو فينتورا لقيادة «الآتزوري». مدرب بدا بعيداً كل البعد عن خيرة المدربين الذين قدّمتهم المدرسة الإيطالية سواء من الناحية الفنية التكتيكية أو الكاريزما أو الشخصية القيادية التحفيزية التي اشتهر بها المدربون الإيطاليون. فضلاً عن إصراره على مواصلة استبعاد ماريو بالوتيللي رغم عودته إلى مستواه في الدوري الفرنسي، فإن المواجهتين الحاسمتين أمام السويد فضحتا ضعف هذا المدرب. تشكيلة إيطاليا كانت لا شك أقوى من السويد خصوصاً مع اعتزال زلاتان إبراهيموفيتش. خسر «الآتزوري» ذهاباً خارج ملعبه بسبب سوء خيارات فينتورا وسوء إدارته للمباراة، لكن «المصيبة الكبرى» كانت تكراره الأخطاء في الإياب وأين؟ في «سان سيرو» التاريخي. يكفي اختصار سوء فينتورا بلقطة دي روسي التي امتنع فيها غاضباً عن المشاركة بديلاً في الشوط الثاني لإصراره على مشاركة زميله إينسيني في الهجوم نظراً للحاجة لتسجيل هدف.

أن لا تتواجد إيطاليا في المونديال فتلك خسارة للبطولة توازي خسارة الإيطاليين. خسارة لمنتخب منافس، لأجواء إيطاليا، لجماهيرها. خسارة عبّر عنها حتى الخصوم كما قال يواكيم لوف، مدرب ألمانيا، مثلاً: «أنا حزين لعدم تأهل منتخب إيطاليا، كنت سأكون سعيداً لو تأهلوا إلى مونديال روسيا». كلمات تكفي وحدها لتختصر حجم الخسارة.

هكذا، لا إيطاليا في مونديال روسيا. كأس العالم سيكون ناقصاً. فرحة انطلاقه لن تكون مكتملة. في روسيا، لن يشاهد الإيطاليون لاعباً في «الآتزوري» يسجل هدفاً رائعاً على غرار هدف باجيو في مرمى تشيكوسلوفاكيا في مونديال 1990، ولا لاعباً إيطالياً يحتفل على غرار الاحتفال الشهير لماركو تاردیللي بهدفه في مرمى ألمانيا في نهائي 1982. لن يشاهدوا لاعباً إيطالياً يرفع كأس العالم كما رفعها كانافارو آخر مرة. تلك اللقطات الرائعة لإيطاليا لن تتكرّر في روسيا. سيلعب العالم في روسيا. سيكتفي الطليان بالعودة إلى الذكريات.

المفاجأة الدائمة

في مونديال 1982، أقر الاتحاد الدولي رفع عدد المنتخبات المشاركة من 16 إلى 24 منتخباً بناء على توصية من الرئيس السابق الإنكليزي ستانلي راوس وذلك لتتمثل «القارات الضعيفة» بعدد أكبر. كانت الكويت أول سفيرة للكرة الخليجية في المونديال وأوقعتها القرعة في مجموعة صعبة مع انكلترا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا. كما بلغت الجزائر النهائيات للمرة الأولى، وحلت في مجموعة ألمانيا الغربية وتشيلي والنمسا. فجّرت الجزائر مفاجأة من العيار الثقيل وألحقت بألمانيا الغربية خسارة تردد صداها في أنحاء العالم بهدفين لرابح ماجر والاخضر بلومي مقابل هدف لكارل هاينتس رومينيغه، لكنها لم تتأهل الى الدور الثاني بعد مؤامرة ألمانية ـ نمساوية ضدها. رشح النقاد المنتخب البرازيلي لإحراز كأس العالم، لكن المفاجأة الأكبر، كانت إيطاليا. إيطاليا ونجمها باولو روسي كان لهما رأي آخر. سجل روسي «ثلاثية» بلاده (3-2) ليقصي البرازيل في ربع النهائي، قبل تخطي بولندا في نصف النهائي، والتغلب على ألمانيا الغربية في النهائي.

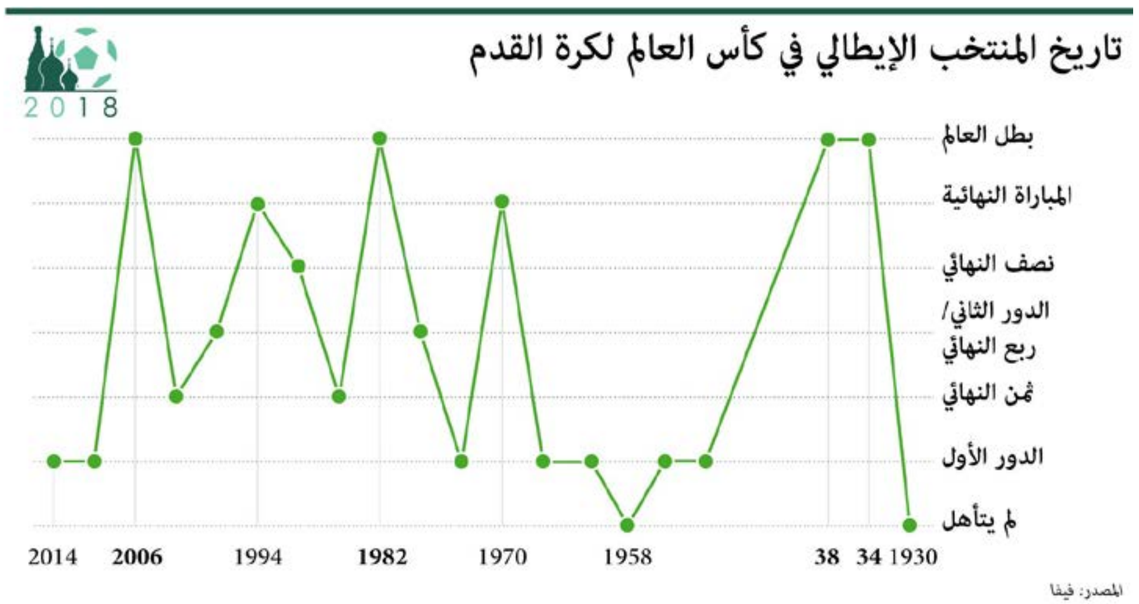

المصدر: فيفا

(أ ف ب)

بوفون القياسي

بخمس مشاركات في كأس العالم، يتقاسم ثلاثة لاعبين الرقم القياسي في عدد المشاركات في المونديال، بينهم حارسان هما المكسيكي انطونيو كارباخال (بين 1950 و1966) والايطالي جانلويجي بوفون (بين 1998 و2014). الإيطالي كان يحلم بمشاركة سادسة والانفراد بالرقم القياسي، إلا أن غياب إيطاليا للمرة الأولى منذ 60 عاماً حرمه هذا الانجاز. اللاعب الثالث الذي شارك خمس مرات هو الألماني لوثار ماتيوس (1998-1982).

«الأورانجي» حلّ رابعاً
الطريق إلى موسكو مقطوعٌ مقطوع!

هي هولندا أرض الأكاديميات المتفوّقة والمواهب الاستثنائية. البلاد التي قدّمت «الفيلسوف» يوهان كرويف الى عالم الكرة تغيب عن تظاهرة كبيرة جديدة. إذ فشل المنتخب البرتقالي في التأهل الى مونديال 2018 بعد فشله في تأمين حضوره في كأس أوروبا قبل عامين. هي أزمة ليست وليدة الصدفة بل مزمنة وتحتاج إلى علاج طويل الأمد

لا يتحمل المدربون المتعاقبون المشكلة بل إن الدوري الهولندي يتحملها

شربل كريم

ركّز العالم كثيراً على فشل إيطاليا في التأهل إلى نهائيات كأس العالم 2018، لكن هذا التركيز ليس سببه أنهم نسّوا فشل هولندا أيضاً بل لأن الانطباع المشترك عند كثير من متابعي اللعبة هو أن المسألة باتت عادية، فهي ليست المرة الأولى التي تكون فيها البلاد المنخفضة في أدنى مستوياتها الكروية، لتقف بالتالي متفرجة على الأحداث العالمية. في هذه الأيام منتخب هولندا مثله مثل أي منتخب آخر من منتخبات الصف الثاني في أوروبا.

ندرة المدربين والمواهب ومستوى الدوري هي في صلب أزمة الكرة الهولندية

هو مثل بلغاريا والمجر والنمسا وتشيكيا وغيرها. هذا الكلام يُذكر على لسان الكثير من الخبراء والمتابعين، الذين لم يحترموا الأسماء المهمة التي يجمعها المنتخب البرتقالي، فالأمر ليس مهماً طالما أنه لا يستطيع تحقيق المطلوب والتأهل الى المونديال. لكن بطبيعة الحال ما حصل هو صدمة، إذ إن هولندا حلّت ثالثة في المونديال الماضي، ووصيفة في المونديال الذي سبقه، لنبدأ الكلام عن مشكلات جمّة تعانيها الكرة في بلاد العظيم يوهان كرويف، تبدأ من ندرة المدربين الجيدين وتمرّ بفترة جفاف على صعيد المواهب وتصل إلى دوري لا يرتقي الى مستوى البطولات الوطنية الكبرى في القارة العجوز.

مدرب فاشل ولاعبون عاديون

لم تعرف هولندا من أين تأتيها الهزائم خلال التصفيات المؤهلة إلى المونديال: سقطتان ذهاباً وإياباً أمام تشيكيا، وأخرى أمام ايسلندا وأيضاً أمام تركيا، لينتهي المطاف بـ «الأورانجي» في المركز الرابع في مجموعته!

هذه النتائج هي نتيجة تبعات أزمة عرفتها هولندا منذ سنوات طويلة، فالبلاد التي اخترعت الكرة الشاملة وقدّمت عقولاً من أمثال رينوس ميتشلز وبوهان كرويف، فرّخت من المدربين المميزين، والدليل على هذا الكلام أن الاتحاد الهولندي أعاد مرات عدة مدربين فشلوا في مهماتهم مع المنتخب كونه لم يجد بديلاً جديداً. فإذا أخذنا في عين الاعتبار منذ عام 1992 وحتى اليوم، نجد أن ديك أدفوكات تسلم مهام الإشراف على المنتخب ثلاث مرات، ولويس فان غال مرتين، ومثله فعل غوس هيدينك.

وهذه المسألة إذا ما دلّت على شيء فهو أن هولندا لم تعد قادرة على إيجاد فلاسفة جدد يدخلون عملية تغيير شاملة على أسلوب تعاطيها مع الكرة، ليقع الخيار الذي وُصف بالكارثي على كابتن اياكس امستردام السابق داني بليند الذي لم يحقق شيئاً يُذكر منذ بداية مشواره التدريبي، لا بل إن تجربته مع اياكس كانت مأسوية حيث احتل معه المركز الرابع في الدوري، وهو مركز لم يعرفه فريق العاصمة الهولندية طوال الـ 15 عاماً التي سبقت.

لكن المشكلة لم تكن بليند وحده بل إن مشاكل أخرى طرأت وعطّلت دوران الطواحين الهولندية، على غرار تقدّم نجوم المنتخب في السنّ، أمثال ويسلي سنايدر، اربين روبن، روبن فان بيرسي وكلاس - يان هونتيلار. وهؤلاء لم يكونوا سيئين في فتراتهم الأخيرة مع المنتخب لكنهم كانوا بحاجة الى دماء شابة تزيد من قوتهم وتعطيهم حياة جديدة، لكنهم لم يجدوها في مجموعة شبّان بدوا غير قادرين على الارتقاء الى مستوى التحدي.

ضياع فردي وجماعي

الضياع على الصعيد الفردي للاعبين وصفوا بالنجوم في هولندا انعكس سلباً على الأداء الجماعي، فالحارس الأول ياسبر سيليسن مكث احتياطياً في برشلونة الإسباني، ولاعب الوسط المميز مع روما الإيطالي، كيفن ستروتمان عاش في دوامة إصابة طويلة ومؤذية. أما الجناح الذي وُصف بالموهبة الجديدة، كوينسي برومس فهو اختار اللعب في روسيا مع سبارتاك موسكو، أي حيث الدوري الذي لا يعطي اللاعب أي إضافة بل يأخذ منه. أما دالي بليند الذي رأى فيه الهولنديون القائد المنتظر لخط الدفاع، فإنه فقد الثقة بنفسه منذ فقدانه لمكانه الأساسي في تشكيلة مانشستر يونايتد الإنكليزي، حيث عاش زميله ممفيس ديباي فترة صعبة لينتهي به الأمر لاعباً مع ليون الفرنسي. بدوره، فينست يانسن، الهداف الذي وُصف بخليفة رود فان نيستلروي، فقد خيّب آمال توتنهام هوتسبر الذي دفع مبلغاً كبيراً لاستقدامه الى صفوفه قبل أن يعيره إلى فنربخشه التركي بسبب عدم تقديمه لأداء بحجم متطلبات البريميير ليغ. وتطول سلسلة اللاعبين الدوليين الذين عانوا هنا وهناك ليضطر ادفوكات بعد خلافته لبليند لاستدعاء مجموعة شابة فيها لاعبين مثل ويسلي هودت (لاتسيو الايطالي) ونايثان أكيه (تشلسي الانكليزي)، لكنهم كلّهم افتقدوا إلى خبرة المباريات

سجل كأس العالم

2014	ألمانيا	1	0	الأرجنتين (بعد التمديد)
2010	هولندا	1	0	إسبانيا (بعد التمديد)
2006	إيطاليا	1	1	فرنسا (بعد التمديد) 5-3 بركلات الجزاء
2002	البرازيل	2	0	ألمانيا
1998	فرنسا	3	0	البرازيل
1994	البرازيل	0	0	إيطاليا (بعد التمديد) 3-2 بركلات الجزاء
1990	ألمانيا*	1	0	الأرجنتين
1986	الأرجنتين	3	2	ألمانيا*
1982	إيطاليا	3	1	ألمانيا*
1978	الأرجنتين	3	1	هولندا (بعد التمديد)
1974	ألمانيا*	2	1	هولندا
1970	البرازيل	4	1	إيطاليا
1966	إنكلترا	4	2	ألمانيا* (بعد التمديد)
1962	البرازيل	3	1	تشيكوسلوفاكيا
1958	البرازيل	5	2	السويد
1954	ألمانيا*	3	2	المجر
1950	الأوروغواي	2	1	البرازيل
1938	إيطاليا	4	2	المجر
1934	إيطاليا	2	1	تشيكوسلوفاكيا (بعد التمديد)
1930	الأوروغواي	4	2	الأرجنتين

المصدر: فيفا — *جمهورية ألمانيا الاتحادية

(أ ف ب)

الدولية ولم يستطيعوا التأقلم مع المخضرمين، فحلّت الكارثة.

الحلوى المفقودة

وفي ظل الأزمات المتلاحقة أخطأ الاتحاد الهولندي بعدم الإنصات إلى الأصوات التي نادت بضرورة الاستعانة بالخارج أي استقدام مدرب أجنبي، وهو أمر لم تفعله هولندا منذ رحيل النمسوي إرنست هابل الذي قاد كرويف ورفاقه الى نهائي مونديال 1978. والحلّ بالتأكيد لم يكن ادفوكات الذي لم يؤمن بشيء مما رسمه أسلافه، ولا حتى فان غال الذي قدّم مونديالاً جيداً، يكفي فيه العرض الكبير الذي سحق من خلاله إسبانيا حاملة اللقب وقتذاك بنتيجة 5-1. وهنا فشل خلفاء فان غال، إذ لم ينظروا إلى مسألة مهمة وهي مسألة القبول الفكري غير الموجودة عند لاعبين تخطوا الـ 23 من العمر، فهم لا يأخذون كل شيء من المدربين إلى أرض الملعب بعكس أولئك الذين تبلغ أعمارهم الـ 18 أو الـ 19 سنة، والذين اعتاد المنتخب الهولندي استقبالهم ليصبحوا بعدها أعمدته الأساسية، وذلك بعكس ما هو الحال عليه اليوم، إذ إن الافتقاد للمواهب الصغيرة التي تستحق اللعب مع المنتخب جعلت البداية الدولية للاعبين الهولنديين متأخرة بعض الشيء.

ولا يتحمل المدربون المتعاقبون هذه المشكلة بالأساس بل إن الدوري الهولندي نفسه يتحملها، وهو ما ظهر في الأخطاء الدفاعية القاتلة التي ارتكبها أمام بلغاريا أهم موهبة دفاعية في البلاد ماتييس دي ليت (17 عاماً)، وذلك بسبب ضعف بطولة الدوري حيث الاحتكاك أضعف مقارنة بالساحة الدولية التي كشفته عند الامتحان الصعب، علماً أنه في المباراة المذكورة وباستثناء روبن الذي تخطى وقتذاك الـ 45 مباراة دولية، لم يتخط 6 لاعبين الـ 20 مباراة، و3 أخرين الـ 10 مباريات، ما يدلّ على ضعف الخبرة في التشكيلة الهولندية، وخصوصاً في التعامل مع مباريات حاسمة ومفصلية حيث تحيط الضغوط باللاعب من كل حدب وصوب. ببساطة تبحث كرة القدم الهولندية عن روحها الضائعة في سماء الكرة العالمية، وسيبحث منتخبها مع مدربه الجديد عن روح فقدها في السماء المونديالية وعن لمسة براغماتية تعيده الى سابق عهده وتمنحه مستقبلاً أفضل ليقف بين الكبار مجدداً.

مصنع المواهب

دائماً ما تمرّ المواهب بمرحلة «تأهيلية» أو مرحلة «التصنيع» وكسب الثقة في دوريات مختلفة قبل أن تسطع نجوم هذه المواهب الكروية في صفوف الفرق التي تنتقل إليها بعد أن مرّت بمحطّة النضج الكروي في دورياتها السابقة. من بين هذه المصانع، «مصنع» الدوري الهولندي، الذي عانى أخيراً من تراجع، لكنه يعتبر رغم ذلك من بين أفضل الدوريات التي تخرّج لاعبين ومواهب تبهر العالم. «ليستا» طويلة من الأسماء التي لمعت في الدوريات الأوروبية الكبرى بدأت من هناك. «الظاهرة» رونالدو لزلاتان إبراهيموفيتش، يوهان كوريف الراحل سابقاً، وغيرها من الأسماء الكبيرة التي تركت بصمتها في تاريخ كرة القدم. اليوم، يقوم نادي أياكس بهوايته المفضّلة في إخراج المواهب، من بينها ابن اللاعب الهولندي السابق باتريك كلويفرت، جاستن، الذي قدّم موسماً مميّزاً في ملعب «كرويف»، حيث سجّل كلويفرت (19 عاماً) 10 أهداف بالإضافة إلى خمسة تمريرات حاسمة ودقة تمرير وصلت إلى 87%. وعند ذكر أياكس، لا يمكننا نسيان الموهبة البرازيلية التي لديه أيضاً، الجناح دافيد نيريس (21 عاماً)، الذي شكّل رفقة جاستن كلويفرت ثنائياً شاباً قدّم لنا السّحر الكروي في الدوري الهولندي الموسم الماضي. اليوم آخر الأخبار تقول بأن باتريك ذاهب إلى روما الإيطالي، ومن هنا تبدأ ربّما، حكاية موهبة ونجم جديد يخرج من هولندا ليبهر العالم.

المونديال المستحيل

1974
الكرة الشاملة

كانت بطولة كأس العالم 74، هي أول بطولة يصل فيها المنتخب الهولندي للنهائي، وبمنتخب كان قد أبهر العالم بطريقة لعبه، «الكرة الشاملة» والتي سحقت الأرجنتين برباعية، وفازت على البرازيل بثنائية، إلا أن الفرحة لم تكتمل بسبب خسارة النهائي أمام منتخب ألمانيا الغربية مستضيفة البطولة بهدفين مقابل هدف واحد.

1978
الأرجنتين تنتقم

بغياب كرويف عن البطولة، بسبب التهديدات التي تعرض لها، إلا أن هذا لم يمنع من بلوغ المنتخب الهولندي المباراة النهائية للمرة الثانية توالياً في كأس العالم، إلّا أن الأراضي المنخفضة اصطدمت من جديد في النهائي مع صاحب الأرض المنتخب الأرجنتيني، ليرى الهولنديون من جديد الكأس ترفع أمامهم بعد الخسارة بنتيجة 3-1.

2010
الثالثة ليست ثابتة

في مونديال 2010، كانت ثالث مرّة يصل فيها المنتخب الهولندي إلى نهائي كأس العالم، واضعين نصعب عينهم، «الثالثة ثابتة»، إلّا أنها اهتزّت بهدف أندريس إنييستا في الوقت الإضافي لتخسر هولندا النهائي الثالث لها في تاريخها على الأراضي الأفريقية.

تشيلي «اليسارية» خارج «العصر الذهبي»

وداعاً فيدال، وداعاً سانشيز

يوماً ما سيحكي جيل تشيلي الذهبي لأحفاده كيف منع الأرجنتين مرتين بالتويج من لقب «كوبا أميركا»، وكيف أطاح بالإسبان خَمَلة اللقب من دور المجموعات في المونديال، وكيف كرر فعلته مع بلاد الفضة، وأطاح بأبطال أوروبا بنفس الطريقة. لكن الذكريات ذكريات، وتشيلي، في مفاجأة، لم تتأهل

ياسمين عبيد

كانت منتخبات تتفوق على المنتخب التشيلي بالإمكانيات والأفراد، ولكنها لم تستطع أن تفوق رغبته في الانتصار. وكان جيلاً بمثابة «خلطة ذهبية»، قد تكون الوحيدة في تاريخ هذا البلد، بمقادير جداً متواضعة، لا يمكن حفظ أسمائها باستثناء الثنائي الأشهر ألكسيس سانشيز وأرتورو فيدال، كما حفظ التاريخ اسمي مارشيلو سالاس وإيفان زامورانو.

بعد أيام سيكون التشيلانيون خلف الشاشات، يشاهدون مباريات منتخبات قهرها فريقهم. كرة القدم غريبة. تشيلي هي بطل كوبا أميركا مرتين في غضون 12 شهراً. هزموا الأرجنتين في نهائيين متتاليين من دون تسجيل هدف واحد (بضربات الجزاء). كان ذلك كافياً لإجبار ليونيل ميسي على الاستقالة من المنتخب الوطني والعودة عنها بعد وقت. سقوط تشيلي جاء بمثابة الصدمة على الجماهير خاصة، ليتسبب بزلزال كبير انتهى مع إعلان أرتورو فيدال الاعتزال الدولي.

رحلة القمة

وضعت تشيلي نفسها في خانة أحد أفضل فرق كرة القدم الدولية خلال هذا العقد بعد حصدها كأس أميركا الجنوبية مرتين تواليا. كان أفضل لاعبي البطولة آنذاك سانشيز، النجم الذي بتألقه ساعد تشيلي في الوصول إلى قمة خريطة كرة القدم العالمية. بعد الفشل في التأهل إلى نهائيات كأس العالم لكرة القدم 2006 في ألمانيا، سافرت تشيلي إلى فنزويلا للمشاركة في بطولة كوبا أميركا لعام 2007 مع لاعب كرة القدم السابق الأوروغوياني نيلسون أكوستا كمدرب للفريق. خرج رجال أكوستا من مرحلة المجموعات كأحد أفضل الفرق في البطولة بعد الفوز 3-2 على الإكوادور وتعادل مع المكسيك. لكن الربع النهائي كان المسمار الأخير في تابوت أكوستا حيث فاز منتخب البرازيل في النهائي على تشيلي 6-1 بفضل روبينيو. بعد هذه الهزيمة استقال أكوستا من منصبه وتولى مارسيلو بيليسا المدير السابق للمنتخب الأرجنتيني مسؤولية المنتخب التشيلياني، كان على بيليسا أن يصنع جوهرة تشيلية جديدة. بعد فترة وجيزة من التغييرات التي قام بها بيليسا، عملت تشيلي على حملة تأهيلية تاريخية حطمت بها العديد من الأرقام الإيجابية والسلبية. سجلت هذه الحملة أول خسارة في مباراة الذهاب ضد البرازيل منذ ما يقرب 50 عاماً، ولكنها أيضاً شهدت أول فوز له على الأرجنتين في مباراة رسمية.

بعد حملة تصفيات رائعة، تمكنت تشيلي من الوصول إلى كأس العالم 2010 برصيد 33 نقطة، لتحتل بذلك المركز الثاني بفارق نقطة واحدة خلف البرازيل. وصلت خلال البطولة إلى الدور 16، وخسرت 3-0 أمام البرازيل. في كأس العالم 2014 في البرازيل شاركت تشيلي بعد أن احتلت المركز الثالث في التصفيات. كان الكسيس سانشيز مع كل هدف تشيلي يعذب دفاع الخصم في كل مباراة من مباريات البطولة. في الدور 16، واجهت تشيلي البرازيل مرة أخرى. فبعد تقدم أصحاب الأرض عن طريق ديفيد لويز، وضع الكسيس هدف التعادل الذي جعل المباراة في الوقت الإضافي، نجح تشيلي في إسكات الجماهير البرازيلية بعد أن سدد موريسيو بينيلا كرة لسوء حظه ارتطمت بالعارضة في الدقيقة 120 من المباراة، وهو الأمر الذي كان من الممكن أن يخرج المضيفين من البطولة.

على الرغم من أن البرازيل تمكّنت من الفوز بركلات الترجيح، كانت بطولة لن تنسى لتشيلي وللجماهير التشيلينية. أعلنوا عن أنفسهم «خيول سوداء» في المسرح العالمي لكرة القدم الدولية. في 2015، استضافت تشيلي بطولة كوبا أميركا. تصدر المضيفون مجموعتهم وتغلبوا على حامل اللقب أوروغواي في الدور ربع النهائي. واجهوا منتخب الأرجنتين في النهائيات، وبمساندة دفاعية رائعة احتفظوا بالنتيجة مع الأرجنتين 0-0 لمدة 120 دقيقة. في ركلات الترجيح، سجل اليكسيس سانشيز الركلة الفائزة، ليصنع أمسية رائعة للاعبين ولجماهير بلاده. مع ذلك، لم تكن هذه الكأس نهاية قصة الفتى التشيلياني الفقير، بعد موسم عانى فيه من إصابات كثير في ارسنال، سافر الكسيس إلى الولايات المتحدة مع فريقه الوطني للمشاركة في بطولة كوبا أميركا المئوية.

سار التشيليانيون نحو نهائيات البطولة، سحقوا المكسيك بنتيجة 7-0، وكانت أفضل نتيجة لهم على أرضهم. مرة أخرى وصلوا النهائي بركلات الترجيح بعد أن أوقف الدفاع التشيلي ليونيل ميسي وزملاءه لمدة 120 دقيقة. تم استبعاد سانشيز من الملعب بعد الدقيقة 104. ولم يتمكن الرجل الذي حمل تشيلي في النهائيات سابقاً من مساندة رجاله في ركلات الترجيح. غيابه لم يكلف تشيلي الكثير حيث أنهى «لا روخا» المباراة، بفوز 4-2 في ركلات الترجيح.

عصر النهضة

في تشيلي، كما في دول أميركا اللاتينية، ترتبط السياسة وكرة القدم ارتباطاً وثيقاً، نتج عن هذا الارتباط بعض النتائج المثيرة للاهتمام، خاصة في العقود الأخيرة حيث شهدت كرة القدم التشيلينية نهضة طال انتظارها، تزامنت مع تحسن في اقتصادها. من الناحية الإيجابية، ساعدت هذه النهضة في انتشار كرة القدم خارج العاصمة سانتياغو، التي احتكرتها معظم تاريخها. نادي «كوبريلوا» هو أبرز مثال على هذا التطور. مقره في كالاما، وهي مدينة صغيرة يعيش فيها أقل من 150 ألف شخص، تقع في الصحراء شمال تشيلي. على الرغم من الإمكانيات المحدودة التي يعمل بها النادي، يملك 8 ألقاب دوري، بالإضافة إلى مشاركة جيدة نوعاً ما في كأس ليبرتادوريس. «كوبريلوا» هو الفريق الأكثر نجاحاً خارج سانتياغو، يأتي بعده «إيفرتون دي فينيا دل مار» بأربعة ألقاب فقط. وبالمقارنة، فازت أكبر ثلاثة أندية في سانتياغو خصوصاً وتشيلي عموماً، كولو كولو، يونيفرسيداد دي تشيلي وجامعة كاتوليكا، بـ 30 و17 و10 ألقاب تواليا. المتنافسون الجدد «أو هايجين» و«هوشيباتو» هم أيضاً من خارج سانتياغو.

مع استضافة تشيلي لكوبا أميركا لعام 2015، ثماني مدن مختلفة من جميع أنحاء البلاد شاركت في هذا الحدث. لا سيما في الجنوب بعد أن فشلت كرة القدم في تحقيق النمو المتوقع، أبرزها منطقة «كونسبسيون»، ثاني أكبر منطقة حضرية في تشيلي، ويبلغ عدد سكانها مليون نسمة. إن التحول إلى السياسة اليسارية وضع هذه المناطق على الأجندة السياسية مرة أخرى، خاصة في ضوء الأحداث الأخيرة والاحتجاجات الطلابية التي هزت البلاد بين عامي 2011 و2013. ويمكن رؤية ذلك بوضوح أكثر خاصة في ما يتعلق بتمويل النادي. فحتى منتصف القرن العشرين، كان ينظر إلى الرياضة كأداة للتربية البدنية والتدريب العسكري فقط وصولاً الى عام 1970 حيث عملت الدولة على ربط مفهوم الرياضة بالتنمية الرياضية التنافسية، وقامت بافتتاح أكاديميات للشباب وعملت على برامج خاصة بالمدربين. كما سُنّ قانون «بولا جول» لتقديم دعم مالي إضافي للرياضة خاصة لأندية كرة القدم المحترفة.

في السابق كان دخل الأندية يأتي عبر المراهنات، استفادت الأندية الاستفادة الكاملة من هذا النموذج. في أواخر الثمانينيات، وصلت الإيرادات الى 80% من الميزانية العامة المخصصة للرياضة. وفي بداية التسعينيات بدأت عيوب هذا النموذج المالي تظهر بوضوح عندما وقعت عدة أندية كرة قدم في الإفلاس، كما أنه ساهم في تطوير ثقافة سوء الإدارة داخل نوادي كرة القدم. في 2005، سُنّ قانون جديد يعمل على إعادة التوازن داخل الهياكل الإدارية المهملة ولهذا طلب من النوادي أن تتحول الى شركات مساهمة وبالتالي تصبح مسؤولة قانونياً عن تحركاتها المالية. كما تم سنّ قوانين تتناول العلاقات العامة في إدارة النوادي واللاعبين وأيضاً العنف في المدرجات.

الأرجنتين وبداية جديدة

الكتابة عن كرة القدم في تشيلي من دون ذكر العلاقة الأرجنتينية سيكون أمراً غير منصف. فقد كان لكل من كلاوديو بورغي ومارسيلو بيليسا، جنبا إلى جنب مع خورخي ساماباولي، تأثير لا يوصف على المشهد الكروي التشيلي. ما يعقد الأمر هو التنافس الشديد بين الدولتين على المستوى الاجتماعي. فالمسائل المتعلقة بحدودهم المشتركة أمر لا مفر منه. لقد كان لحرب تشيلي مع جيرانها تأثير كبير على علاقاتهم. كما أن المسارات السياسية التي اختارها البلدان كانت مختلفة بشكل ملحوظ، وحتى اليوم، تواصل تشيلي متابعة علاقاتها بعيداً عن الأرجنتين وبقية دول أميركا الجنوبية.

وعلى الرغم من هذا الصراع، فإن كرة القدم التشيلية كانت في مكان مختلف تماماً، بقي بيليسا وبورغي بعيدين عن الخلافات. بدأ بورغي اللعب والتدريب في تشيلي قبل عدة سنوات من تولي بيليسا للمنتخب الوطني التشيلي في عام 2007، وكان له دور أساسي في إشراك العديد من نجوم تشيلي الحاليين في فريق كولو كولو. ومع ذلك، فقد عزا كثيرون آخرون معظم نجاح شيلي في السنوات الأخيرة إلى بيليسا. إلياس فيغويروا، واحد من أعظم لاعبي تشيلي، يعتقد أن الفشل يكمن في عدم التركيز على الهوية الوطنية التشيلينية، فالمنتخب حاول دائماً استنساخ لعبة الآخرين بدلاً من تطوير أسلوبه الخاص. وهو ما عمل بيليسا على تغييره.

تشيلي اليوم هي مزيج من كل هذه التأثيرات. حتى أن الثلاثي الأرجنتيني كان له تأثير على الجانب السياسي، حيث شارك بيليسا وساماباولي في التظاهرات الطلابية في السنوات الأخيرة، مما جعل العلاقة بين السياسة وكرة القدم معلنة بشكل كبير. إن تشيلي الجديدة، التي تلعب أسلوباً غير اعتيادي بالهجوم والضغط على الخصم، غالباً ما تكون عرضة للهجوم، ولكن هذا الأمر قابل للتغيير بالنسبة لجيل ما بعد بينوشيه، الرجل الذي طالب بالإصلاح الاجتماعي في المدارس ومراكز الشرطة أيضاً.

الكاتب التشيلياني بابلو أزوكار أكد بشكل قاطع أن المنتخب التشيلي هذا هو الأفضل. وربما هي المرة الأولى التي تتحد فيها الأمة كلها خلف قوة واحدة. ومع الخلفية التاريخية والسياسية والاجتماعية لتشيلي، لا شك في أن هذا ليس آخر ما يمكن تنميته في هذا البلد. وبما أن تشيلي قامت بالترحيب بنخبة كرة القدم في أميركا الجنوبية عام 2015، فإن هذا لا يمكن أن يكون نهاية المطاف حتى وإن لن يحصلوا من الروس على الذهب الذي يريدونه بشدة.

(أ ف ب)

شقيقان في الأهداف أيضاً

في مونديال 1982، سجل النجم البرازيلي السابق سقراط هدفاً في مرمى الاتحاد السوفياتي في دور المجموعات في الفوز 2-1. بعد 12 عاماً، في مونديال 1994، ستلتقي البرازيل مع روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقاً) في دور المجموعات أيضاً. سيفوز «السيليساو» مجدداً لكن بنتيجة 2-0، أما مسجّل الهدف الثاني فليس إلا... راي، شقيق سقراط.

من هو؟

حل العدد السابق: مارادونا

سيرة ذاتية

سنوات اللاعب في فرق لعب فيها

السنوات	الفريق	المشاركات	الأهداف
1995-1993	ألباسيتي	22	5
1997-1995	سرقسطة	66	28
2005-1997	ريال مدريد	182	72
2006-2005	ليفربول	41	8
2009-2006	فالنسيا	19	66
2010-2009	مارسيليا	12	1

حل العدد السابق: سقراط

«لقد كتبت لعقود كثيرة عن الدور الذي يؤديه مساعد الحكم، الرجل ـ وربما أصبحت المرأة أحياناً ـ الذي يؤدي دوراً محورياً، ولكنه يبقى على الهامش ومن دون تقدير»

(جوليان برنز)

كلمات

الأخبار al-akhbar

www.al-akhbar.com

السبت 9 حزيران 2018 العدد 3487

أنا قلبي كورة...

يوري بيمينوف «لاعبو كرة قدم» (1936)

«الساحرة» التي حيّرت الأدباء والمفكرين

احتفال العيون بالجسد الذي يلعب

خليل صويلح

بالنسبة لأجيال كاملة من المتفرجين، كان اللاعب البرازيلي بيليه أيقونة كرة القدم في القرن العشرين، ونموذجاً استثنائياً لخروج أبناء الطبقات الفقيرة من ملاعب الأحياء الشعبية والكرة المحشوة بالأقمشة إلى أرقى ملاعب العالم، مسجّلاً في رصيده أكثر من ألف هدف. وسوف تتكرّر الأمثولة بأسماء أخرى لا تحصى، ولكن ليس بالدهشة نفسها. ذلك أن لاعب اليوم تحوّل إلى سلعة إشهارية متنقّلة، من ماركة الفانيلة إلى ماركة الحذاء، إلى عراقة النادي، إلى الأجور الخيالية التي تُدفع لشراء هذا اللاعب أو ذاك، في مراهنات ومضاربات ضارية، تبعاً لمهارته في تحقيق الأرقام القياسية في شباك الخصم.

معارك معلّنة وأخرى مضمرة في ساحة حرب حقيقية، يتخللها هتاف الجمهور، أو صمته، أو شتائمه، أو هياجه، وحتى مذابحه خارج الملعب. ورغم شعبوية كرة القدم، إلا أنها استقطبت قراءات سوسيولوجية عميقة في تفسير هذه الحمّى العالمية لجهة العنصرية والتعصّب وارتفاع منسوب الغريزة. هكذا شبّه أمبرتو إيكو لعبة كرة القدم بطقوس تؤدى وفق عادات أكلي لحوم البشر، يُذبح فيها أحد عشر شخصاً كقرابين للآلهة. لكن من يستحق التضحية به حقاً، هم ممولو هذه اللعبة، ووحوش الصحافة الرياضية والمحطات التلفزيونية. فوق هذا المسرح المشؤوم، تمضي اللعبة بما يشبه الماسي الشكسبيرية لجهة الخسارة. أن تخرج مهزوماً، كمن أصيب بفحولته، منكس الرأس، مخذولاً، من إضاعة هدف أو ضربة جزاء. لكننا لن نجد «هاملت» بين هؤلاء. فقط محاربون أشدّاء يتطلّعون إلى إطاحة الأعداء بأكبر قدر من الخشونة والمراوغة وتكسير الركب. رابات مرفوعة، وأخرى منكّسة، تبعاً لركلات الكرة الصحيحة نحو المرمى، ورعب أو بسالة حارس المرمى. هذا العنف في اللعبة/ المعركة، استدعى وجود مسعفين بنقّالات لإخلاء الجرحى. على أن أسوأ ما يحصل للاعب هو أن يجلس في مقاعد الاحتياط، ينتظر من دون أمل أن يستدعيه المدرّب إلى ساحة اللعب، وأن يرفع الحكم رقمه عالياً بدلاً من رقم لاعبٍ آخر، كي ينقضّ على الكرة بأقصى طاقته بوصفها طريدة.

انتهى مجد الأرجنتيني مارادونا بإصابته عمداً في الملعب، وانتهى مدمناً على الكوكايين، وبفضائح كثيرة أزاحته عن الواجهة. وفي المقابل، غادر ألبير كامو حراسة مرمى جامعة الجزائر باكراً ليتجه نحو الفلسفة. فقد اعتاد صاحب «الغريب» اللعب كحارس مرمى منذ طفولته «لأنه المكان الذي يكون فيه استهلاك الحذاء أقل، فكامو ابن الأسرة الفقيرة لم يكن قادراً على ممارسة ترف الركض في الملعب، وكل ليلة كانت الجدة تتفحص نعل حذائه وتضربه إذا كان متآكلاً». يقول عن تلك الفترة من حياته: «تعلمت أن الكرة لا تأتي مطلقاً نحو أحدنا من الجهة التي ينتظرها منها. وقد ساعدني ذلك كثيراً في الحياة، وخصوصاً في المدن الكبيرة، حيث الناس لا يكونون مستقيمين عادة».

في كتابه النفيس «كرة القدم في الشمس والظل»، يحيط إدواردو غاليانو بتاريخ كرة القدم كنوع من التاريخ المضاد للتاريخ الرسمي الذي طالما تجاهل أهمية هذه اللعبة بوصفها هوية جماعية، انطلاقاً من فكرة «أنا العب، إذاً أنا موجود»، فأسلوب اللعب كما يقول هو «طريقة في العيش». إلا أن اللعب تحوّل إلى استعراض «فيه قلة من الأبطال، وكثرة من المتفرجين. إنها كرة قدم للنظر». ولأن صاحب «ذاكرة النار» لم يحقق أحلامه بقدميه، فكّر أن يحققها بيديه. أن يكتب عن هذه الكرة التي اخترعها الصينيون قبل قرون، مقتفياً أثر عشرات اللاعبين الحزانى بعدما ابتعد عنهم صدى التصفيق في الملاعب. هؤلاء الذين انتقلوا من الأزقة الفقيرة الى أضواء الاستادات، مراهناً على «وقع مستهتر يخرج على النصّ ويقترف حماقة القفز عن كل الفريق الخصم وعن الحكم وجمهور المنصة، لمجرد متعة الجسد المنطلق الى مغامرة الحرية المحرّمة». هكذا يقتفي تاريخ المونديال مزاوجاً بين عناصر الكرة واللعب من جهة، وأبرز الأحداث العالمية التي واكبته في السنة ذاتها، في تناوب مثير. فـ 1930، هو العام الذي شهد أول مونديال في العالم، بشير إلى فيلم «الملاك الأزرق» لمارلين ديترش، وانتحار الشاعر الروسي فلاديمير ماياكوفسكي، واعتقال المهاتما غاندي لمطالبته باستقلال الهند عن بريطانيا. ولكن لماذا يحتقر بعض المثقفين المحافظين لعبة كرة القدم؟ يجيب: «هذا الاحتقار يستند إلى اليقين بأن عبادة الكرة هي الشعوذة التي يستحقها الشعب، فالغوغاء المصابة بمسّ كرة القدم تفكر بأقدامها. ذلك أن الغريزة البهيمية تفرض نفسها على الجنس البشري، والجهل يسحق الثقافة، وهكذا تحصل الدهماء على ما تريده». وسيبدو الأمر أكثر شناعة لدى معظم مثقفي اليسار الذين يزدرون الكرة لأنها «تخصي الجماهير وتحرفها عن النشاط الثوري».

ويضيف غاليانو حول جنون الكرة: «مع انتهاء مونديال 1994، أطلق اسم «رومارِيو» على جميع الأطفال الذين ولدوا في البرازيل، وعشب استاد لوس انجلوس ببع مجزّأ في قطع صغيرة مثل البيتزا، بعشرين دولاراً للقطعة».

كرة القدم صناعة احتيال وتجارة رابحة فقدت معنى السعادة، بعدما تحوّلت إلى تكنوقراطية احترافية تفرض كرة قدم تعتمد السرعة المحضة، والقوة الكبيرة، وتستبعد الفرح، وتستأصل المخيّلة، وتمنع الجسارة... هكذا يؤكد غاليانو، وفي المقابل يقول: «هي احتفال للعيون التي تنظر بسعادة للجسد الذي يلعب»! من منظور دلالي آخر، يحلّل الناقد المغربي سعيد بنكراد لعبة كرة القدم سيميائياً في كتابه «مسالك المعنى»، رابطاً متعة اللعب بـ«الاستراتيجية الحربية» و«الاستيهام الجنسي». فلعبة كرة القدم حالة ثقافية فريدة تنوس بين استراتيجية الحرب وإحالاتها المتعددة على العدوانية والاقتتال والنصر، أو الهزيمة، كما تحيل إلى عوالم الأنوثة والذكورة بدلالتهما الجنسية. أما في ما يتعلق بالارتواء أو حالات الكبت، فالأمر يحدّده «الهدف»، أي الارتقاء الانفعالي التصاعدي من حالة بدئية تمثل حالات المراودة والتنقل في «جغرافية الملعب» تمهيداً للوصول إلى أقصى حالات الانتشاء من طريق إحراز الهدف. هذا ما يفسّر الطابع الذكوري للعبة، باستثناء «الكرة» التي هي وحدها «مؤنّثة». مبدأ الرجولة إذاً، هو الرابط بين الاستراتيجية الحربية والاستيهام الجنسي. ذلك أن الجنس في المتخيل الذكوري معركة، وكلّ أداة هي إحالة على الفحولة. وهذا ما تؤكده أيضاً الروائية الألمانية الفريدة بلينك لجهة ذكورية اللعبة وما تنطوي عليه من تعصّب وعنف وتحريض على الفاشيّة.

> شبّه إيكو لعبة كرة القدم بطقوس تؤدى وفق عادات آكلي لحوم البشر
>
> قراءات عدة فسّرت هذه الحمّى العالمية لجهة العنصرية والتعصّب وارتفاع منسوب الغريزة

محفوظ «قلب الأسد»

محمد شعير

«الساحرة، مجاز الحياة» حسب تعبير جان بول سارتر. بسببها اندلعت حروب بين دول، وتقطعت علاقات. هي ليست مجرد لعبة، كرة تتقاذفها الأقدام. هي كل العلوم والفنون: السياسة والفن والأدب والطب والفلسفة. هي السحر الذي يخلب الألباب. فالحياة نفسها هي كرة قدم.

في مدينة فاس المغربية، ازدحمت القاعة بجمهور الشاعر محمود درويش (1941 ـ 2008). كان هناك مئات آخرون لم يجدوا مكاناً في القاعة للاستماع للشاعر الذي صعد إلى منصة شاكراً جمهوره، ومتعجباً في الوقت ذاته من حضوره رغم وجود مباراة لكرة القدم بين فرنسا وإسبانيا. أضاف درويش: «أنا من جهتي أفضل متابعة المباراة ولو كان من سيحيي الأمسية هو المتنبي». درويش عاشق للكرة كتب كثيراً عن بعض مبارياتها. لم يكن درويش أول من كتب عن الكرة. كتب يوسف إدريس بورتريهاً بديعاً أيضاً عن نجم الكرة محمود الخطيب.

واولى روايات نجيب محفوظ التي لم ينشرها كانت عن لاعب كرة. محفوظ نفسه كان لاعباً متميزاً في شبابه وطفولته. بدأت علاقته بالكرة عندما انتقل من منطقة الجمالية إلى العباسية، واصطحبه أحد أصدقاء الطفولة لمشاهدة مباراة بين فريق مصري وآخر انكليزي. كانت دهشة محفوظ عندما فاز الفريق المصري: «كنت أعتقد حتى ذلك الوقت أن الإنكليز لا يهزمون حتى في الرياضة». كان نجيب محفوظ أسرع لاعب في فريق «قلب الأسد» الذي يلعب عن منطقة العباسية. استمر في اللعب حتى 1930، وكانت اللعبة تعتمد على المهارات الفردية لا الجماعية. يتذكر محفوظ أن اللاعبين كانوا يرتدون ما يحلو لهم من زيّ، وقد لعب في كل المراكز تقريباً: قلب دفاع أحياناً، وهجوم أحياناً أخرى، لكنه تميز بالسرعة. لم يكن يسبقه أحد وقتها، حتى أصبح كابتن فريقه، وكما يقول: «استمر عشقي لها حوالى عشر سنوات متصلة، أثناء دراستي في المرحلتين الابتدائية والثانوية. لم يأخذني منها سوى الأدب. ولو كنت داومت على ممارستها، فربما أصبحت من نجومها البارزين».

يعقد الناقد المصري محمد بدوي مقارنة بين محفوظ لاعب الكرة وبين محفوظ الكاتب حيث انعكست مهارات اللعب على أعماله: «كان نجيب محفوظ في مراهقته لاعب كرة قدم مشهوراً بالمراوغة والحيلة والسرعة، ثم قرر في لحظة ما أن يهب نفسه للكتابة. هل بدأ محفوظ كتابته مصادفة في ما يسمّى في خطاب نقّاده «الرواية التاريخية»؟ وما العلاقة بين «المؤرخ» و«اللاعب»؟ المؤرخ شيخ جليل مولع بتقصي الحقيقة، من أجل هذا، يتجشّم عناء البحث ومقارنة الوثائق والذهاب مع الاحتمالات حتى آخرها. أما اللاعب فعقله بين قدميه، هاتين القدمين المبصرتين القادرتين على مباغتة المتفرجين وكسر توقعاتهم وإدهاشهم. ويضيف: «محفوظ، هذا المزدوج الذي يتناطح فيه لاعب لاه ومؤرخ جهم، لا يذرف دمعة رثاء واحدة. اللاعب هو الكائن الذي يلعب من دون انتظار جدوى... فيما المؤرخ مهووس بالحقيقة، يتصورها منثورة هنا وهناك، وعليه أن يطاردها ويلمّ شتاتها ويجمعها ويبث الحياة فيها لتتألق. لكن حين يجتمع اللاعب والمؤرخ، نصبح مع الكاتب بحيث يندمج الاثنان فتتهاوى الحدود بين اللاعب اللعوب والمؤرخ الجهم. لا نعرف أين يبدأ أحدهما وأين ينتهي الآخر. كفّ محفوظ عن ممارسة كرة القدم ثم نذر نفسه للكتابة. لكنه، وهو يشيد صروحه الضخمة، الشبيهة بمعابد أسلافه وأهرامهم ومساجدهم، ويتقصّى الحقائق والأوهام والهواجس منتقلاً من كتابة تاريخ الدنيا في «أولاد حارتنا» و«الحرافيش»، إلى كتابة تاريخ مصر القديمة «أم الدنيا» في «راديوبيس» و«عبث الأقدار»، إلى كتابة القاهرة في العصر الحديث... كان دائماً منطوياً على اللاعب الذي تحوّل بالمران والدربة إلى ساحر يخلب ألباب المتفرجين، ويخلط السم والترياق والدمعة بالضحكة».

في كثير من قصائده، يستخدم صلاح جاهين مفردات من الكرة، رغم أنه لم يمارس هذه اللعبة، اكتفى فقط بالتمثيل والشعر والرسم، وفنون أخرى. يقول في إحدى رباعياته: «أنا قلبي كوره.. والفراوة أكم/ يا ما انشطح وانشاط ويا ما اتعكم». وكان جاهين أهلاوياً متعصباً، وكان زميلاً لمحمود السعدني الذي يشجع بتعصب النادي الإسماعيلي. دارت بينهما على صفحات مجلة «صباح الخير» التي تزاملا فيها معارك بسبب الكرة. فقد كتب جاهين في المجلة مراهناً السعدني على قدرة الأهلي على الفوز بطبولة الدوري، لكن فاز الإسماعيلي وقتها. خسر جاهين الرهان. حتى لا يشمت فيه السعدني، ترك له رسالة: «عزيزي السعدني. هل ارتحت الآن وهدأت أعصابك؟ لقد كنت طوال الشهور الماضية، نسخة جديدة من الواد الشقي بتاع زمان، الذي لا يكتفي وهو يتعارك في الحارة بالطوب الذي يمطر به الخصم، بل يظل يلاحقه بسيل من الشتائم المنتقاة، تتخللها صرخات بكاء وهمي، من اعتداءات وهمية يدعي أنها حدثت عليه، حتى تتكامل عناصر المعركة المادية والمعنوية والدعائية، وينال من خصمه بكافة الطرق، أو بإحداها إن لم تفلح الأخرى. لقد سمعت أنهم في الإسماعيلية كانوا يهتفون لك ويصيحون: اكتب يا سعدني وقول لصلاح جاهين!».

وكما بدأ أحمد فؤاد نجم حياته الأدبية بديوان «حكاية الأهلي والزمالك» الذي استبعده من أعماله الشعرية الكاملة وقت صدورها، فقد اختتمها أيضاً بكتاب نثري بعنوان «يا أهلي يا حبي... يا حتة من قلبي».

أفيون الشعوب ومرآة العالم المعاصر

اسكندر حبش

لا أحد يستطيع أن ينكر اليوم أن كرة القدم أصبحت ملكة الألعاب الرياضية. يمكننا أن نضيف أيضاً، أنها أكبر استعراض شعبي يتشكل من الفن و«البيزنس» اللذين يتدخلان فيها وفي شؤونها. إنها مرآة العالم المعاصر، والعنصر الموحد للأمم المتنافرة والممزقة داخلياً، كما أنها العنصر المقسم لأمم متحدة أو لأمم تحكمها علاقات الجيرة. بيد أنه برغم كل تناقضاتها، تبقى هذه اللعبة القمة التي يتسلقها لاعبو البلدان المريضة بالأزمات الاقتصادية، والتي يلفها الفقر، من أجل تغيير أوضاعهم المعيشية. ثمة تسميات أخرى تعرفها اللعبة حديثاً: إنّها أفيون الشعوب لأنها الدين الجديد الذي يكتسح العالم بأسره.

نعم. كرة القدم هي ذلك كله وأكثر، إنها السحر الذي يشدّ الملايين، السرّ الكبير واللغز بحد ذاته. وإلا كيف نستطيع إذاً أن نفسّر إقبال هذا العدد الكبير من المتفرجين والمشاهدين الذين يقدر عددهم بالمليارات ممن سيتابعون «مونديال روسيا» (2018)؟ ما من رياضة أخرى، تستطيع جمع هذا العدد من الشعوفين. حتى الألعاب الأولمبية، بجميع ألعابها، لا تستطيع أن تحشد، سوى نصف هذا العدد، وبأفضل الأحوال. أي إن كرة القدم، هي العيد المطلق، الأوحد الذي لا يضاهيه أي عيد آخر. كرة القدم، هي ذلك القداس الكبير على خلفية «الكوريدا». مزيج من الديني والوثني. ثمة قربان نكسره على مذبح الملعب، على المدرجات والعشب الأخضر. فالرابط بين اللاعبين ـ على قول فلاديمير ديمتريفتش في كتابه الرائع «الحياة كرة مستديرة» ـ ليس العقل وإنما القلب. فطوال العصر الوسيط، كان القلب أهمّ من الرأس. فجاءت المجتمعات الحديثة لتبعده الى الدرجة الثانية. وبما أن الإنسان لا يستطيع اليوم العيش في مجتمع بطولي، يذهب الى المباراة كي يجد مجدداً «البعد الملحمي».

من هنا، تبدو الفرق الكبيرة، أشبه بالنصوص الكبيرة. ثمة غموض يأسرنا أو بحسب ما يطرحه ديمتريفتش: «لماذا نحن مأخوذون، متأثرون بما نشاهده؟ بمعنى آخر، من أين يأتينا هذا المزيج من المشاعر المتناقضة، هذا الفرح، هذا الهيجان، هذا الغضب، هذه الدموع؟».

تشبه المباراة الجيدة، إلى حدّ كبير، المأساة الإغريقية، حيث نجد وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الحدث. كذلك، نجد تلك القواعد الإجبارية: فجميع الألعاب الجماعية تستعمل اليد، ما عدا كرة القدم التي تعتمد، بالدرجة الأولى على أقدام اللاعبين، وعلى الساق «التي ليست بالعضو الموجه والدقيق». ثمة 22 ممثلاً (لاعباً) يرتدون ملابسهم الخاصة، وأحذيتهم الخاصة يركضون ويقفزون، يهبون أنفسهم، يعرقل بعضهم بعضاً، يتنفسون بصعوبة، يفرزون عرقاً غزيراً، يتألمون، ينزفون أحياناً كي يكونوا الأفضل، كي يكسبوا بعض النقاط في الترتيب العام، أو كي يفوزوا بالكأس أو البطولة. بيد أنّ هي ذلك كله، بعض السخرية، وقد تكون أمراً أساسياً. فالحركة الجميلة والموهبة التقنية واللمسة العبقرية، ليس لها أي معنى عند الخسارة. فقط الانتصار هو الجميل، هو ما يتبقى من ذلك كله.

في هذا الصدد، تبقى لغة كرة القدم، لغة فصيحة. فإزاء الصرخات الحمقاء للحشود المهتاجة، الهاذية، الواقفة بين البغض والشراسة، مثل «اقتله.. فركشه» تأتي تعابير المعلق الرياضي التلفزيوني لتتجاوب معها. فحين يسدّد لاعب الهجوم الكرة، تصبح تسديدته «صاروخاً أو قذيفة مدفع»، هذا حين لا تكون ركلته قذيفة صاروخ سكود، أو عابراً للقارات. أما الحارس السيئ الحظ، فيصبح عندها، شخصاً تعرض للقصف؟ شخصاً أطلق عليه النار، وربما كان شخصاً مصلوباً داخل قفصه. قد نجد هنا أسوأ جوانب هذه اللعبة، جانبها الأزعر. فالسؤال الذي يطرح نفسه «لماذا لا يكون هناك أيضاً في كرة القدم، الغشاشون والمتصنعون ومحطمو أخلاقيتها؟ بيد أن عالم الكرة، ليس غامضاً. فاللعب النظيف موجود. كذلك الاحترام المتبادل. ثمة مصافحات واعتذارات. ثمة إعجاب متبادل «مستمر منذ أيام أخيل وأجاكس وهكتور» كما يقول ديمتريفتش.

إن ما يصنع الفرق الكبيرة الأسطورية، هو الحس الجماعي والتضامن، هو ذلك التمازج الكامل بين اللاعبين. هذا ما كانت عليه المجر أيام بوشكاش وكوكشيش. هكذا كانت البرازيل أيام بيليه وغارنيشا. هكذا كانت هولندا زمن كرويف وريب وفرنسا زمن بلاتيني وتيغانا. فالمنتخب الوطني ليس سوى بارومتر. يكون جيداً حين يسير البلد بشكل جيد، وسيئاً حين يسير كل شيء بشكل سيئ. في 1938، وقبل أسابيع من مؤتمر ميونيخ، هُزم المنتخب الفرنسي أمام الفريق الإيطالي «الفاشي». وفي 1954 خسرت المجر المباراة النهائية أمام ألمانيا، ولم تمض سنتان حتى اجتاحت الدبابات السوفياتية شوارع بودابست. أما من الجهة المقابلة، فنجد ألمانيا التي كانت تشهد عملية تجديد وإصلاح شاملين، كانها تنتقم لما فعله بها الحلفاء خلال الحرب. لقد فازت ألمانيا ببطولة العالم. لم تستطع كرة القدم أن تسلم من يد الدكتاتوريين. موسوليني، مسلّم الكاس بيده، شخصياً الى المنتخب الإيطالي الذي فاز ببطولة 1934. والأمر نفسه حدث عام 1978 حين سلّم الجنرال العسكري الأرجنتيني، ورئيس الطغمة الحاكمة، الكاس الى قائد الفريق الأرجنتيني. ومع ذلك، فكرة القدم، لا تتوقف عن الدفاع عن القضايا العادلة. كان تكون عزاءً مثلاً في مواجهة الكوارث الطبيعية. كذلك لا تتوقف هذه اللعبة عن إيجاد تلك الحمى الكثيفة والمناخ الملتهب أكان ذلك في مانشستر أو ليفربول أو حتى في مدينة لنس. اسألوا المشجعين، لربما قالوا «ليس لدينا أي شيء آخر في الحياة». إذ إننا، ندعم عادة، فريقاً ومدينة ومنطقة ضد فريق ومدينة ومنطقة أخرى، أي ضد العدو المتوارث. إنه أيضاً «الشمال ضد الجنوب»، باريس ضد مارسيليا، ميلانو ضد نابولي. فالتاريخ يلقي بثقله على اللعبة ولا يستطيع أن يكون حيادياً. فلقاءات ريال مدريد وبرشلونة ليست سوى مبارزة حقيقية بين الفرانكويين والكاتالانيين. أضف الى ذلك أن الكرة تشعرنا بالفخر والانتماء الى «وطن» ما. إحدى مفاخر فريق اتلتيكو بلباو الاسباني، انه طيلة فترة وجوده في الملاعب، لم يستقدم أي لاعب لا ينتمي إلى منطقة الباسك.

لم يعد لكرة القدم اليوم أي حدود. فبطولة كاس العالم الحالية، تستقبل منتخبات تنتمي الى جميع القارات. 32 فريقاً يتمنى كل لاعب فيها أن يبرز، «ليصدر» نفسه الى دولة أخرى، حيث الشهرة والمال. فما بين العولمة والقوميات المرعبة، لا تتوقف كرة القدم عن البحث عن توازنها وليس التوازن الاقتصادي فقط. فالفيفا (الاتحاد الدولي) الذي يدير الميزانية الضخمة، يبحث باستمرار عن توفير أسواق مساعدة أمام اللعبة. من هنا جاء اختيار الاتحاد الدولي للولايات المتحدة في عام 1994 لتنظيم البطولة، بينما اختار آسيا في عام 2002 (اليابان وكوريا) وقطر عام 2022. من غير المهم أبداً بالمعنى الرياضي البحث عن أن تكون تلك الدول في مصاف الأمم الشهيرة والعريقة كروياً. علينا أن نحيا في زمننا. فأوروبا لم تتوقف عن أن تكون رب العمل، كما أن الأسواق لا تزال في مكانها. المال يسيل بغزارة من حنفيات متعددة الجنسيات ومن الشركات المرئية والمسموعة، بينما اللاعبون أصبحوا أكثر خوفاً من هذه المراهنات وأكثر خوفاً من الخسارة.

إزاء ذلك، من المستحيل معرفة ما سيكون عليه مستقبل هذه اللعبة؟ لغاية اليوم لا تزال تجعل الجميع يحلمون: فمن يتقلد السلطة حالياً كل من ميسي وكريستيانو رونالدو، وربما يصبح المصري محمد صلاح حاكماً جديداً في القريب العاجل. كذلك هناك الماضي، المثقل بهامات الأساطير: أياكس أيام العزّ مع كرويف، ملحمة سانت اتيان (الفريق الفرنسي) التي تكسرت أحلامها في النهاية، على أقدام أعضاء فريق بايرن ميونيخ الألماني عام 1976. هناك أيضاً، نابولي يوم مجيء مارادونا إليها. لكل أمة ذلك «البانتيون» الخاص بها. لكل أمة ذكرياتها وحكاياتها المفضلة. لكل أمة فانتسماتها واستيهاماتها. «أليس كذلك ولدت أساطير وأحلام فيرجيل»؟

«لاعب كرة قدم» لكيث هارينغ (1988)

لينون في بريطانيا وكرويف في هولندا

ما الفرق بين طريقة «كاتيناشيو» الإيطالية واسلوب اللعب الجماعي الالماني. او بين الانماط التكتيكي والمهارات الفردية في كرة القدم؟ ماهو مفهوم «الكرة الشاملة» التي اخترعها الهولندي رينوس ميشيلز مدرب «اياكس» في اواسط الستينيات. وكان يوهان كرويف احدى ايقوناتها بعدما حملها الاثنان معهما من اياكس الى برشلونة. ثم اجتاحت اوروبا من شرقها الى غربها؟ وهل ارتبطت كرة القدم الهولندية بالثقافة السريالية واللاسلطوية التي جعلت امستردام في ذلك الوقت عاصمة للحرية في العالم. وبطبيعة البلاد المنخفضة التي تجتاحها المياه كل عام؟ اسئلة كثيرة يجيب عنها الصحافي والكاتب البريطاني جوناثان ويلسون في مؤلفه المرجعي «الهرم المقلوب: تاريخ تكتيكات كرة القدم» (ترجمة بديعة من المترجم المصري احمد لطفي علي ـ هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث «مشروع كلمة» ـ 2013). ملحق «كلمات» يقدم مختارات من كتاب ويلسون تضيء على التكتيك الهولندي في مقاربة سوسيولوجية وثقافية وسياسية ورياضية. مع العلم بان هولندا التي اخترعت واحدة من افضل الخطط الكروية في التاريخ تغيب عن مونديال روسيا (14 يونيو) الذي ستنقصه «النكهة البرتقالية».

اختيار وتنسيق **محمد ناصر الدين**

أحياناً يكون العالم مهّيأً للابتكار، فكما توصل نيوتن ولايبنتس الى نظرية التفاضل والتكامل كل على حدة، في الوقت نفسه تقريباً، توصل رينوس ميشيلز وفالبري لوبانوفسكي على جانبَي متقابلَين من أوروبا إلى الفكرة ذاتها حول الطريقة التي ينبغي أن تلعب بها كرة القدم. كانت اللعبة من وجهة نظرهم تتلخص في المساحات وكيفية السيطرة عليها وتوسيعها عند استحواذ الفريق على الكرة حتى يمكن الاستحواذ بها فترة أطول. وكيف يضيّق الفريق المساحات حين يفقد الكرة حتى يجعل احتفاظ المنافس بها مهمة صعبة. شجع المدربان اللاعبين على تبادل المراكز، وكلاهما اعتمد على قدرة اللاعبين في تغطية بعضهم. وكلاهما أبدع جوانب جعلت كرة القدم لعبة مبهجة، وكان ذلك هو التطور المنطقي للأسلوب الروسي في الأربعينيات أو المجري في الخمسينيات (...)، إذ كثيراً ما تقارن الكرة الهولندية بالمجرية، لكن الذي أتاح لأياكس وديناميو فعل ذلك حدث مهم، هو الحفل الذي ألقى فيه الشاعر سايمون فينكينوج قصيدة «افتح المقبرة»، واكد أن «الانتصار على الطرق القديمة يبدأ في امستردام، المركز السحري». في منتصف العقد، كان المناخ العام في أمستردام يشع بالسريالية واللاسلطوية وسط تظاهرات منتظمة من حركة «البروفو» ضد الاستهلاكية. كان أبرز الأمور هو رد فعل الحركة عام 1966 على زواج الأميرة بياتركس بكلاوس فون أرنسبرج الأرستقراطي الألماني الذي خدم في الجيش الألماني. أعلنت الحركة أنها ستحاول إفساد مراسم الزفاف وروجت شائعات عن عدد من الطرق المبتكرة التي ستتبعها للقيام بذلك.

بوليفاف ـ الكسيك

> كانت امستردام في الستينيات «عاصمة تمرد الشباب»

وقبل إنّه سيتم وضع عقاقير الهلوسة في إمدادات المياه، وسيتم نشر فضلات الأسود في الشوارع لتخويف الجياد التي تجر عربات موكب الزفاف، وسيتم ضخ غاز الضحك في الكنيسة. لم تسفر الاحتجاجات في النهاية عن أكثر من مجرد إطلاق قنابل دخان في شارع راديوستراد. لكن ذلك كان كافياً (...) أدى تحقيق في أعمال الشغب، إلى عزل رئيس البلدية وقائد الشرطة. قررت السلطات أن أفضل طريقة للتعامل مع الشبان المتمردين هي التسامح. في غضون عامين، أصبح ميدان «دا» مخيماً للهيبيز الأجانب واشتهرت شرطة امستردام بأنها الأكثر تساهلاً في أوروبا. ولم يكن صدفة اختيار جون لينون ويوكو أونو فندق «هيلتون أمستردام» عام 1966 للاحتفال بزواجهما باعتصام في السرير لمدة أسبوع.

■■■

لم يظهر مصطلح «الكرة الشاملة» إلا كاستجابة لأداء المنتخب الهولندي في كاس العالم 1974، لكن كلمة «الشاملة» استعملت في كثير من المجالات الأخرى. وتحدث مهندس معماري هو جيه بي الشهيرة من «التمدن الشامل»، و«البيئة الشاملة» و«الطاقة الشاملة». وقال باكيما في محاضرة ألقاها سنة 1974: «لفهم الأشياء، عليك فهم العلاقة بينها. في وقت ما، كانت أعلى صورة للعلاقات البينية في المجتمع تعبر عنها كلمة «الرب»، وأتيح لإنسان استخدام الأرض والمساحة العالمية بشرط أن يعتني بما يستخدمه. وعلينا أن نجعل هذا النوع من الرعاية والاهتمام حقيقة، بعدما اقترب الإنسان بوعيه من ظاهرة العلاقات المتداخلة التي تسمى علاقات الذرات واصبح الإنسان واعياً بأنه جزء من نظام طاقة شامل». وكما في الهندسة المعمارية ـ وفي مجموعة كبيرة من المجالات الأخرى حينئذ مثل النظرية الأدبية والسيميوطيقية لرولان بارت والنظرية الأنثروبولوجية لكلود ليفي شتراوس ونظرية التحليل النفسي لجاك لاكان ـ كان الوضع في كرة القدم. في داخل نموذج أياكس، كان اللاعب يكتسب معنى ومغزى من علاقاته بسائر اللاعبين. من الصعب ألا ترى رابطاً بين كرة القدم الهولندية والروح الفكرية في هذه الفترة، وربما كانت صدفة محيرة أن يصعد نجم أعظم مثاليّ للنظام كقوة هجومية، وهما أياكس وديناميو كييف في هولندا والاتحاد السوفياتي، اللذين يمكن القول إنهما أكثر مجتمعين علمانية في العالم في ذلك الوقت.

فتى هولندا الاغر

في أثناء ذلك، ياتي كرويف، الذي اتضح أنه قائد الفريق (أياكس أمستردام)، أصبح كرويف الشاب المتمرد رمزاً لحركة الشباب الهولندي المزدهرة في ذلك الوقت. وكما وصفه كارل جابلر المدرب السابق لفريق الناشئين في نادي «أياكس»: كان كرويف في هولندا يوازي جون لينون في بريطانيا. وفي 1997، كتب الصحافي هوبرت سميتس في مجلة «هارد جرا» في مناسبة عيد ميلاد كرويف الخمسين: «كان كرويف أول لاعب يفهم أنه فنان وأول من استطاع تنظيم فنون الرياضة كفن جماعي». ولم يكن كرويف عضواً في جماعة البروفو. كان تحفظه بشان أمور مثل القيم الأسرية يتعارض تماماً مع معتقدات البروفو، إلا أنه قاسمهم موقفاً غريباً ولا سلطوياً في استفزاز المؤسسة الرسمية. ومن أشهر قصصه أنه رفض ارتداء قميص اديداس ذا الأشرطة الثلاثة على اكمامه أثناء كاس العالم 1974 احتراماً لعقده مع بوما، ويمضي سميتس قائلاً: «الهولنديون يكونون في أفضل أحوالهم عندما يمكنهم الجمع بين النظام والإبداع الفردي، ويوهان كرويف أبرز رموز هذه الفكرة. لقد صنع دولته بعد الحرب، أعتقد أنه كان الشخص الوحيد الذي فهم فترة الستينيات».

«يد الرب» وحرب الفوكلاند ومارلين مونرو

مارادونا... صبي الصفيح الذي أذلّ «الإمبراطورية»

جزر المالوين او «الفوكلاند»

قبل أيام من المونديال السابق في البرازيل عام 2014، وفي مباراة تحضيرية أمام سلوفينيا، وقفت التشكيلة الأرجنتينية باكملها خلف يافطة كُتب عليها بالخط العريض: «جزر المالوين أرجنتينية». كان ذلك بمثابة فتح نار سياسي قبل بداية المونديال من قبل الأرجنتينيين الذين ما انفكوا يطالبون بالسيادة على هذه الجزر الصغيرة التي احتلتها بريطانيا بالقوة منذ فترة ليست بالبعيدة. المعركة بين الأمّتين، كانت لتحسم بتفوق الفرقاطات الملكية على الصواريخ المضادة للسفن التي زودت بها فرنسا الأرجنتينيين سراً. لولا أن فتى أرجنتينياً في العقد الثاني من العمر، ولا يتجاوز طوله 165 سم رد للإنكليز الصاع صاعين في الدور ربع النهائي لمونديال مكسيكو 1986. يومها، سجل بيده في غفلة من حكم المباراة التونسي ومساعديه، الهدف الأشهر في تاريخ كرة القدم في مرمى العملاق الإنكليزي بيتر شيلتون. الأرجنتينيون الحالمون والكثير من المهووسين بالفتى المسمى مارادونا، رفعوه إلى مستوى الأيقونة، إلى درجة ظهور كنيسة «مارادونية» تنشط في المكسيك حتى اليوم، ويتبعها المريدون بالآلاف. سمّي الهدف الذي أذل «الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس» بـ «يد الرب».

الإخوة الاعداء

حمل الإنكليز والأرجنتينيون فكرتين مختلفتين تماماً عن كرة القدم، وتحديداً في ثقافة اللعب وأسلوبه. فكرتان لا يجمعهما جامع، لكن بأقدار ستضعهما وجهاً لوجه في محطات كثيرة. في المخيال الأرجنتيني، تحمل كرة القدم طابعاً أسطورياً يشكل فيه ابن الحي الشعبي (pibe) والأرض البور (potrero) ركيزتيْ لأسلوب قومي في لعب الكرة، كما يشرح الصحافي الفرنسي سيمون بلين على مدونته «قواعد اللعبة». أسطورة ابن الشارع الذي يستمتع بلعب الكرة فوق مساحة بالكاد مؤهلة، وفي حي معدم تضيء على أهمية القيم المرتبطة بالطفولة، كالحيوية والعفوية. الركيزتان مرتبطتان إذن بشكل عضوي، إذ لا يلعب الـ pibe إلا فوق الـ potrero حيث يستعرض مهاراته أمام الجمهور ويبدأ بقطف أول انتصاراته. تعريف «البوتريرو» هو على النقيض تماماً من مدارس كرة القدم الإنكليزية التي نظمت اللعبة في بداية القرن العشرين ونشرتها في أنحاء القارة العجوز، حيث التطبيق الكروي يمارس على نطاق أضيق. الأولاد الذين يلعبون في «البوتريرو» الأرجنتيني يتعلمون قيماً مختلفة عما سيتعلمه ليونيل ميسي الطفل مثلاً في أكاديمية برشلونة التي احتضنته وهو في السادسة من عمره. على هذه الأراضي الشاسعة، الحرية هي الكلمة المفتاحية واللاعبون لا يعرفون أي تقليص لها من قبل «المشرفين»، بل يتركون للمخيلة والغانزايا أن تصل إلى مداها الأقصى. هكذا، يكون الـpotrero جزءاً من الفضاء السوسيولوجي لـ pibe ويسمح بتعريفه في الفضاء الميتولوجي. هذه الأسطرة تشكّلت في مواجهة المهارة والمعرفة الفنية الكروية الإنكليزية. يصف عالم الاجتماع الأرجنتيني إدواردو أرشيتي الكرة الأرجنتينية بأنها نتيجة عملية «شعبوية» أو «مصادرة ناجحة لممارسات، كانت في الأساس، مرتبطة حصراً بهوية فئة اجتماعية معينة». حين كانت الكرة لعبة بريطانية خالصة في بداية القرن العشرين، كان المهاجرون (أغلبهم من الإيطاليين والإسبان) ينزلون بكرات الكاوتشوك ليختلطوا بالسكان المحليين في بيونيس ايرس وكوردوبا وروزاريو وغيرها. نأى البريطانيون بأنفسهم عن هذه العملية «الشعبوية». في الحالتين، صارت الكرة مرتبطة بالهوية في الصميم.

من «أرض النار». الحرب وإن استطاعت جزئياً توحيد الأرجنتينيين، إلا أنها أسهمت في إسقاط النظام الحاكم الأرجنتيني بعد أشهر ثلاثة. ربحت مرغريت تاتشر الحرب لبعاد انتخابها عام 1983 رئيسة لوزراء بريطانيا ولتعيد تثبيت سيادة مملكتها على حفنة من الجزر التي تسكنها الأغنام وحفنة من البشر «غريبي الأطوار».

مونديال 1982: خيبة الامل

في 13 حزيران (يونيو) 1982، ينطلق المونديال الـ 12 في إسبانيا التي تخلصت من فرانكو للتو، والأول لمارادونا. الأمة الأرجنتينية القلقة تأخذ جرعة من الأمل في رؤية الصبي الموهوب، الذي يحمل سمات «جالب الحظ» والمخلص. يعرف الأرجنتينيون سيرة الفتى عن ظهر قلب: كان مارادونا يثبت الكرة في وسط مطبخ البيت تماماً، ويقذفها لتخرج من شباك صغير في الجدار إلى الخارج. سمعت الأسرة في ليلة ممطرة صريخاً واستغاثة. خرج الصبي خلسة ليسترجع الكرة، فسقط وإياها في بئر مهجورة خلف الدار، ليتم إنقاذه وهو على شفير الموت. كان مارادونا يرمز بشكل مثالي لأسطورة الـ pibe بشعره المسدل فوق أكتافه وهيئته الطفولية. كان التشكيلة الأرجنتينية في ذلك المونديال كانت تحمل وزر وتبعات حرب المالوين: كان على الفتى الذي يبلغ 22 عاماً أن يحمل فوق كتفيه بلداً أخذت فيه الطغمة الحاكمة منذ عقود أكثر من ثلاثين ألف مفقود (desaparecidos) من طلاب ويساريين وشعراء ومثقفين، ومليوناً ونصف المليون من المنفيين في بلاد كان تعداد سكانها حوالى 30 مليوناً في ذلك الوقت، إضافة إلى أكثر من 500 طفل تم أخذهم كرهائن وتبنيهم من أسر مرتبطة بالنظام. لم يقدر مارادونا أن يمنع خسارة بلاده أمام إيطاليا الصلبة في الدور الثاني للتصفيات. رجع ورفاقه بخفي حُنين إلى بلد يلملم جراحه بعد سقوط غالتييري، بقيام انتخابات ديمقراطية وعلاقات أفضل مع الجيران، بخاصة البرازيل والتشيلي، ولكن وسط أزمة اقتصادية حادة وتفاقم العداء الشعبي والديبلوماسي للمملكة المتحدة.

مونديال 1986: «يد الرب»

«حين سجلت الهدف بيدي، شعرت بأني سرقت محفظة نقود لأحد الإنكليز». بعد أعوام أربعة من هزيمة الأرجنتين المذلة في المالوين، شاءت الأقدار أن تجمع الفريقين في الدور ربع النهائي لمونديال المكسيك عام 1986: التانغو أو الألبيسيست لمارادونا، وفتيان البوتريرو مقابل مدارس الكرة والأسود الثلاثة لمارغريت تاتشر. في أحد ملاعب منطقة الأزتيك وبحضور حوالى 120 ألف متفرج سحقتهم حرارة الشمس، كان مارادونا وحده يعيد كتابة التاريخ. لا يمكن القول إنّه في يوم «البرّكة» هذا، كان الساحر الأرجنتيني يعيد اختراع كرة القدم: باليد في الهدف الأول، وبالمراوغة من منتصف الملعب التي جندل بها المدافعين الإنكليز واحداً تلو الآخر ليراوغ الحارس نفسه في الهدف الثاني. بدأت الأرجنتين تفرض إيقاعها على المباراة بالتدريج، بعد حذر أولي فرضته عظمة الأسماء الإنكليزية من غاري لينيكر وتيري بوتشر وغلين هودل وبيتر شيلتون وغيرهم. لحظة «عبور الملاك» كما يصفها الفرنسيون، كانت في الدقيقة 51 من المباراة: لم يكد المدافعون الإنكليز يلتقطون أنفاسهم بعد «هات وخذ» أو «وان-تو» بالمصطلح الكروي بين مارادونا وفالدانو الذي يسدد كرة ترتطم بمدافع يقوم بتشتيتها، لترتد في الهواء. طار مارادونا عن الأرض قليلاً وقذف الكرة بيده داخل المرمى الإنكليزي. الأرجنتين 1. إنكلترا 0. جن جنون الإنكليز، واحتسب الحكم التونسي الهدف، مقتنعاً أن مارادونا سجله برأسه. لم يكن الصحافيون ولا المشجعون الأرجنتينيون من عمَد الهدف باسم «يد الرب»، بل مارادونا نفسه: «لم تكن يدي بل كانت يد الرب». أعاد الكابتن الأرجنتيني الاعتبار للخديعة كفن شعبي بامتياز. بعد أربع دقائق فقط، كانها رغبة في طلب المسامحة، منح مارادونا العالم بأسره لحظة «أنطولوجية» سيصفها كثيرون بـ «هدف القرن». سحب الساحر الكرة من وسط ملعبه وتقدم بها وحده وسط الجرافات الإنكليزية ليتخطى الوسط والدفاع وشيلتون ويزرع الكرة في مرماه. ارتقى مارادونا في لحظة من العالم الأرضي إلى العالم الميتافيزيقي، كان السماء أخذت بثأر الأرجنتينيين على يده. «كانت تلك المباراة بمثابة النهائي بالنسبة إلينا. لم يكن الأمر يتعلق بفوز مباراة، بل بإقصاء الإنكليز تحديداً. لن أنسى هذا اللقاء ما حييت». ما سيأتي كان أجمل، إذ سيقود مارادونا فريقه بعد أيام للفوز على منتخب ألمانيا العظيم حينها. طبع مارادونا بهدفيه تاريخ كرة القدم بطابع جيو-سياسي وبدمغة في سجل العلاقات البريطانية-الأرجنتينية. مونديال 1986 تم تسجيله كفصل من فصول السياسة الخارجية الأرجنتينية، بحيث تحول مارادونا إلى سفير أول لبلاده. في مونديال روسيا هذا العام، قد يحمل الأرجنتينيون اليافطة نفسها. سيلوح لهم مارادونا بيده عن المدرجات.

في نهاية فيلم «مارادونا، يد الرب» الذي أخرجه ماركو ريزي (2007)، يقف مارادونا الذي تجاوز وزنه المئة كيلوغرام وسط مصحة نفسية في كوبا أثناء علاجه من إدمان المخدرات، ليقول جملة أخيرة: «في هذه العصفورية رجل يقول إنه قداسة البابا، والكل يصدقه، وهناك امرأة تقول إنها مارلين مونرو، والكل يصدقها. أنا أقول إني مارادونا، ولا أحد يصدقني».

م. ن

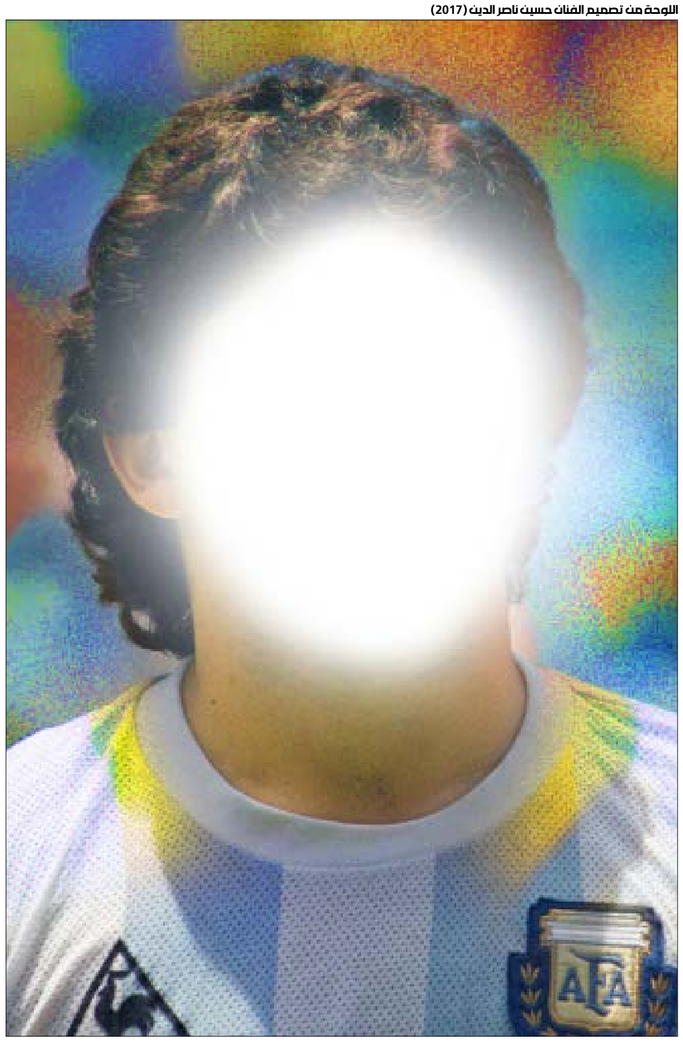
اللوحة من تصميم الفنان حسيني ناصر الدين (2017)

المراجع:

Simon Blin, Quand le Foot s'invite en politique, Blog Laregledujeu.

«المسيح» محمد صلاح

محمد شعير

على وجهه تعب نبيل، وفي عينيه حزن وإجهاد دائم، كأنه لم ينم منذ أشهر. مسيح يحمل هماً، لا يخصه وحده، وإنما يخص الآخرين، شعاره الدائم «سنذهب بعيداً». هكذا صعد محمد صلاح، وهكذا صنع أسطورته الخاصة.

في لحظات الهزيمة، تحتاج الشعوب - ربما لتعلن عن وجودها - أن تصنع أساطيرها الخاصة، وقد تكون بعض هذه الأساطير مجرّد «تماثيل من عجوة» لا تستطيع الصمود طويلاً، سرعان ما تختفي أو تغيب. البطل الشعبي، قد يكون مفتول العضلات، أو جريئاً ومقتحماً يعبر عنها. هكذا مثلاً أصبح أبو زيد الهلالي أسطورة، وأيضاً تحول أدهم الشرقاوي من قاطع طريق إلى لص يسرق من الأغنياء ليعطي الفقراء، ويحارب الاحتلال الإنكليزي والسلطة التي تدافع عنه، وتحول محمود أمين سليمان من لصّ وقاتل في ستينيات القرن الماضي، إلى «سعيد مهران» الباحث عن العدل، المناضل ضد «الكلاب».

أصبح محمد صلاح أسطورة هذه اللحظة في مصر، هو ليس لصاً، ولا مقتول العضلات، لا يحمل ادّعاءات كبرى بتغيير العالم، هو أشبه بالبطل «اللامنتمي» لا بالمعنى السياسي، لكن كونه جاء من أحد أندية الظل الصغيرة (المقاولون العرب) لا من النادين الكبيرين اللذين تنتمي إليهما كتلة جماهيرية كبرى تقترب من 95% من مشجعي كرة القدم. ربما هذا اللانتماء أو الهامش هو ما خدم صلاح الذي التفّت حوله كل الجماهير بمختلف انتماءاتها الكروية. ربما لو خرج صلاح من أحد أندية القمة، لم يكن ليحقق ذلك الحضور الجماهيري الكبير.

على أشهر مقاهي المثقفين في وسط القاهرة، مقهى «زهرة البستان» الشهير، سنجد رسومات غرافيتي متجاورة: نجيب محفوظ، وأم كلثوم، أمل دنقل وأحمد فؤاد نجم، ومحمد صلاح. وحده محمد صلاح المعبر في تلك اللحظة عن أشواق تلك الجماهير الصامتة، وأحلامها، بلا ادعاء.

بالتأكيد، لم يكن نجاح محمد صلاح استثنائياً. عشرات من المصريين سبقوه إلى الاحتراف، وحققوا نجاحات عديدة، ولكنهم كانوا كالمبتسرين، بلا طموح في التجاوز، تجاوز النجاح. توقفوا عند مراحل معينة، على العكس من صلاح الذي امتلك طموحاً بلا حدود، وجدية بلا ادعاء، مع تواضع وبساطة. ربما هذا ما تكشف عنه نشأته البسيطة في قرية مصرية صغيرة، كان يخرج يومياً من بيته عقب صلاة الفجر، لكي يصل إلى القاهرة للتدريب مع فريقه. يحتاج إلى أكثر من ست وسائل مواصلات، هذا الإصرار هو ما صنعه، بلا وساطات. وربما لهذا اتحد معه الجمهور، اعتبره ابناً من الأبناء. في رحلة احترافه الأوروبية، لم يرفع شعار «جئتكم غازياً» مثل بطل الطيب صالح في «موسم الهجرة إلى الشمال». هاجر إلى الشمال حاملاً تقاليد بيئته، وتراثه، لم يشعر بالخجل من تلك البيئة ولا تقاليدها.

غيّر محمد صلاح من تفكير المصريين، في القرية الصغيرة التي ولد فيها. كان الآباء حريصين على تعليم أبنائهم، على أن يصبح اللعب في المرتبة الثانية، في غير أوقات الدراسة. الآن أصبحت الكرة هي الأساس، ثم التعليم في ما بعد. لم يعد الآباء يعاقبون الأبناء لأنهم يهربون من أجل «ماتش كرة». فالكرة هي الآن هي وسيلة الترقي الاجتماعي، الذي يمكن أن ينقل العائلة الى مستوى اجتماعي آخر. وهكذا انتشرت في القرى ملاعب الكرة لكي يتدرب بها الصغار، بديلاً من المدرسة. صار محمد صلاح أسطورة، من أساطير الصعود الاجتماعي، من القاع إلى القمة، كما فعلت من قبله أم كلثوم، ونجيب محفوظ، وطه حسين ونجم وأمل دنقل. وأخيراً محمد صلاح الذي وعدنا أن نذهب بعيداً دائماً!

بيار باولو بازوليني: كرة القدم بين النثر والشعر

في عام 1971، كان الإيطالي المتعدد المواهب بازوليني (1922 ـ 1975) يؤسس، بلغة ادبية، للتفريق بين الكرة ذات اللغة النثرية جَوْهريّا والكرة ذات اللغة الشعرية جَوْهريّا، مشيراً ـ تباعاً ـ إلى اللعبة الممارسة في اوروبا ونظيرتها في اميركا اللاتينية. لم تكن تلك الميولات الرياضية بعيدة عن خيارات الكاتب السياسية. كانت اميركا اللاتينية، بعدها الثوري، رغم كثرة الانقلابات العسكرية، قطب جذب لكل اليسار العالمي

ترجمة وتقديم **رشيد وحتي**

كرة القدم نظام علامات، مما يعني أيضاً أنه لغة. له كل الخاصيات الجوهرية للغة بامتياز، تلك اللغة التي نضعها مباشرة في شكل تَقَابُل، أي اللغة المكتوبة-المنطوقة. فكلمات لغة كرة القدم تتشكل بالضبط مثل كلمات اللغة المكتوبة-المنطوقة.

والآن، لنَرَ كيف تتشكل هذه الأخيرة. إنها تتشكل من خلال ما يُسَمّى تَمَفْصُلاً مزدوجاً، بعبارة أخرى: من خلال تَجْمِيعَاتٍ لا نهائية لِصَوَائِمَ phonèmes، هي في الإيطالية بعدد 21 حرفاً أبجدياً. وبالتالي، تمثل الصوائم ما نسميه

> **المراوغة والتهديف هما اللحظتان الفردانيتان الشعريتان لكرة القدم**

في اللسانية بالوحدات الصغرى للّغة المكتوبة-المنطوقة. فهل لنا أن نتسلى بتحديد الوحدة الصغرى للغة كرة القدم؟ لنحاول إذن: هذه الوحدة الصغرى تتمثل في رَجْل يستعمل قدميه لركل كرة: إنه هذا "القَوْدَمُ [الصوتمُ القدمي] podème، إن شئنا أن نَسْلُو قليلاً. الإمكانيات اللانهائية للتجميعات، "القَوْدَمَاتُ"، تُشَكِّل الكلمات الكروية، ومجموع الكلمات الكروية يشكل خطاباً، تُنَظِّمُهُ معايير نحوية أصيلة، ثمة 22 قَوْدَماً [تقريباً بقدر عدد الصوائم]. أما الكلمات الكروية، فهي لا نهائية بقوة، لأن إمكانيات تجميع "القَوْدَمَات" لا نهائية [على مستوى الممارسة: التمريرات التي تجري بين اللاعبين بالكرة]، البُنى النَّحْوية للّكُرة تعبر عن نفسها في مباراة تكون عن حق خطاباً مسرحياً أصيلاً.

اللاعبون هم مُرَمِّزُو هاته اللغة. أما نحن، في المنصات، فمفكّكو رموز، نتوفر جميعاً لدى على سَنَنٍ code مشترك. من لا يعرف سَنَنَ كرة القدم، لا يدرك معنى الكلمات [التمريرات] ولا معنى الخطاب الكروي [متوالية تمريرات]. لستُ لا رولان بارت ولا جولبان غرياماس، لكنني كمغرم، لو شئتُ لكتبت دراسة أكثر إقناعاً من هاته اللمحة حول اللغة الكروية. أظن أيضاً أنه بوسعنا كتابة دراسة بديعة أخرى حصرياً: يتعلق الأمر باللحظات التي يظهر فيها الفعل المفضي نحو الهدف. كل هدف يكون دوماً ابتكاراً، ودوماً تشويشاً للسَّنَن: يكون فيه دوماً شيء ما حتمي، ساطع، مدهش، لا يمكن تفاديه. هو بالضبط نفس ما يجري مع الكلام الشعري. أحسن هداف في بطولة ما هو دوماً أحسن شاعر في السَّنة. في هذا الأوان، هو سافولدي Savoldi. كرة القدم الأكثر تعبيرية لحظةُ الهدف، هي الأكثر شعرية. المراوغةُ في حد ذاتها أيضاً شعرية (كما الفعلُ المفضي إلى هدف، وإن لم يكن الأمر كذلك دوماً). فكل اللاعبين يحلمون بولوج الملعب، بمراوغة الجميع والتهديف (وهو حلم يتقاسمونه مع المتفرجين). إن أتيحَ لنا، في الحدود المسموح بها، أن نتخيل شيئاً سامياً في الكرة، فهو هذا الفعل بالذات. لكن الأمر لا يحدث دائماً. إنه حلم لم أره يتحقق إلا في «سَاجِرَا الكُرَة»، فيلم فْرَانْكُو فْرَانْشِي Franco Franchi الذي وإن كان مستواه فظاً، إلا أن فيه جانباً حُلمِيّاً خالصاً.

من هم أفضل المراوغين في العالم؟ إنهم البرازيليون. فكرة القدم لديهم كرةُ شِعْر: ذلك أن أساس لعبهم مراوغةٌ وتهديف. تنويعات القُفْلِ والمثلثات لعب نثري، لأنه مؤسَّس على البناء النَّحوي، أي على اللعب الجماعي المنظم. بعبارة أخرى، مؤسس على الأداء المعقّلن للسَّنَن. لحظته الشعرية الوحيدة هي الهجوم المضاد، المتوَّجُ بهدف (لا يمكنه، كما قلنا سابقاً، إلا أن يكون شعرياً). في المُحَصِّلَة، تبدو اللحظة الشعرية لكرة القدم، دائماً، لحظةً فردية (مراوغةٌ فتهديفٌ أو حتى تمريرةٌ ملهِمة). كرة القدم نثرٌ هي الكرة التي ترتبط بمنظومة، كالكرة الأوروبية، وهي مؤسسة على الترسيمة التالية:

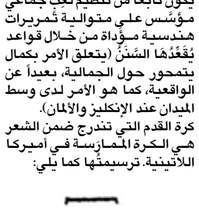

لا يرتبط الهدف إلا بتحديد هو، في حدود الإمكان، تحديدُ شاعر واقعي مثل ريفا، لكنه ينبغي أن يكون تابعاً من تنظيم لَعِب جماعي مؤسَّس على متوالية ثَمريرات هندسية مؤداة من خلال قواعد يُقَعِّدُهَا السَّنَنُ (يتعلق الأمر بكمال يتمحور حول الجمالية، بعيداً عن الواقعية، كما هو الأمر لدى وسط الميدان عند الإنكليز والألمان).

كرة القدم التي تندرج ضمن الشعر هي الكرة الممارَسة في أميركا اللاتينية. ترسيمتُها كما يلي:

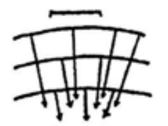

ولكي تتحقق، تستوجب قدرات شيطانية في المراوغة (وهو ما يعتبر مُدَاناً بقوة في أوروبا باسم النثر الجماعي)، فبإمكان أي لاعب أن يبتكر هدفاً، وفي أي وضعية. المراوغة والتهديف هما اللحظتان الفردانيتان الشعريتان لكرة القدم، ولهذا تُعتَبَرُ كرة القدم البرازيلية شعرية. ومن دون أي تفريق قِيَمِيّ، وإنما لأغراض تقنية خالصة، يمكنني القول إن النثر الإيطالي ذا النزوعات الجمالية قد تم هزمه في المكسيك من طرف الشعر البرازيلي. (يشير الكاتب هنا إلى مباراة نهاية كأس العالم التاسعة 1970 في المكسيك: إيطاليا-البرازيل: 1-4)

الصور من مقابلات ودية، في ملاعب أحياء روما، بين بازوليني وأصدقائه.

حوادث غريبة ومحطات سياسية ميزّت المونديال عبر التاريخ

ستيفن ري: أيام رياضية (غير) بريئة

زياد منى

ربما أفضل مقاربة لحمى كرة القدم، هي ترك الحديث لمشجع يصف نفسه بأنه متعصب، وإن لم نلحظ ذلك في كتاب «حمى المونديال: مشجع متعصب ودليله للنجوم والفرق والقصص والجدل والحماس لأعظم المناسبات الرياضية». المؤلف هو ستيفن ري من ايرلندا الشمالية، التابعة للندن، عرف الحماس للعبة من والده العامل المتحمس أيضاً، لكن لفريق إيرلندا الشمالية. في مقدمة الكتاب، يسرد المؤلف كيف صار مهتماً باللعبة، مع أنه لم يمارسها، ثم صار مشجعاً لفريق الأخضر، برفقة والده الذي كان يلاحق مباريات الفريق، ما أمكن، لتشجيع اللاعبين. كيف لا، وأفضل لاعب في الدوري الإنكليزي في أواخر الستينيات ومطلع السبعينيات، كان الإيرلندي جورج بست. هذا وأكثر رواه الكاتب في مدخل «ولادة مشجع».

في المقدمة، يتحدث الكاتب في كيفية عشقه للمونديال. عشق بدأ في 12 تشرين الأول (أكتوبر) 1977، أي بالمباراة بين إيرلندا الشمالية وهولندا. شارك في تلك المباراة اثنان من أبرز لاعبي كرة القدم الأوروبيين هما الهولندي يوهان كرويف، وجورج بست. هنا علينا تذكر أن هذا الحماس منقطع النظير للفريق الإيرلندي الشمالي ولكرة القدم عموماً، اندلع إبان فترة مظلمة من تاريخ المنطقة، حسب وصف الكاتب. فإيرلندا الشمالية كانت ساحة حرب واغتيالات وسيارات مفخخة، بين الجيش الجمهوري الإيرلندي من جهة والجيش البريطاني والمليشيات البروتستانتية من جهة أخرى.

عرض الكاتب يذكرنا بمباريات مهمة ونتائجها وحتى بأمكنة حصولها. يتذكر أن بطولة العالم في عام 1978 كانت في الأرجنتين، الواقعة حينئذ تحت حكم العسكر، أو «الخونتا» كما كانوا يعرفون، والشعب الأرجنتيني كان يعاني القتل والخطف والتعذيب وكافة أساليب القمع والاضطهاد الأخرى، الذائع منها والمستحدث! يتذكر الكاتب أنّ ذلك المونديال كان إبان فترة الدراسة في بلاده، لكنّ والديه سمحا له بالسهر لمشاهدته.

في المونديال اللاحق عام 1982، استعاد الكاتب تمكّن فريق بلاده الأخضر من هزيمة الفريق الإسباني مع أنه كان يضم عشرة لاعبين فقط. ثم يذكّر القراء بتعادل الفريق الأخضر مع النمسا. لكننا نحن هنا في بلادنا، كنا على موعد مع عدوان صهيوني جديد، لم يجد العالم المتحضر وقتاً له لأنه كان ملهياً بالمونديال. ثم يواصل الكاتب استعراض المونديال اللاحق إلى الأخير قبل صدور المؤلف. فصل ممتع يذكرنا بأيام رياضية بريئة، في ظاهرها، على الأقل، لكنها لم تحجب عنّا رؤية همومنا الوطنية والقومية.

في القسم اللاحق، أي في الفصل الأول «قصة المونديال»، يباشر الكاتب السرد من البداية في الأورغواي عام 1930 الذي شاركت فيه فرق قليلة. لكن المباريات الدولية بدأت في عام 1870 عندما تحتفل بمرور مئة عام على استقلالها. الدول الأوروبية رفضت المشاركة في تلك البطولة، إلى أن هدد اتحاد كرة القدم في أميركا اللاتينية بالانسحاب من الفيفا، ما دعا رئيس الأخيرة للتدخل وإقناع بعض الفرق بالمشاركة فيها، وهي الولايات المتحدة والمكسيك وبلجيكا وفرنسا ورومانيا ويوغسلافيا، إضافة إلى سبع فرق أميركية لاتينية.

من الأحداث التي تذكر في هذا المقام ـ كما يسردها الكاتب ـ المشاحنات التي اندلعت بين فريقي البرازيل وفرنسا، مذكّراً القراء بأن كابتن الفريق الفرنسي آنذاك، الكسندر فلابلان، أعدم عام 1944 العشرينيات لينسحبوا منه بسبب خلاف على تعريفة الهواة.

في عام 1928، قررت الفيفا إجراء بطولة عالمية في الأوروغواي وتقديم كاس ذهبي للفائز أطلق عليه اسم رئيسها جولز رمت. سبب اختيار تلك البلاد للمونديال هو أنها كانت الفائزة بالألعاب الأولمبية، وفي الوقت نفسه تحتفل بمرور مئة عام على استقلالها. الدول الأوروبية رفضت المشاركة في تلك البطولة، إلى أن هدد اتحاد كرة القدم في أميركا اللاتينية بالانسحاب من الفيفا، ما دعا رئيس الأخيرة للتدخل وإقناع بعض الفرق بالمشاركة فيها، وهي الولايات المتحدة والمكسيك وبلجيكا وفرنسا ورومانيا ويوغسلافيا، إضافة إلى سبع فرق أميركية لاتينية.

من الأحداث التي تذكر في هذا المقام ـ كما يسردها الكاتب ـ المشاحنات التي اندلعت بين فريقي البرازيل وفرنسا، مذكّراً القراء بأن كابتن الفريق الفرنسي آنذاك، الكسندر فلابلان، أعدم عام 1944 لتعاونه مع النازيين!

المباراة النهائية في تلك البطولة كانت بين فريقي الأورغواي والأرجنتين المجاورة، حيث عبر آلاف المشجعين من الجنوب شمالاً، في مشهد وصفه الكاتب بأنه يشبه عملية الإخلاء في دنكرك. انتهى اللقاء بفوز فريق الدولة المضيفة وبهجوم غوغاء الأرجنتين على سفارة الأوروغواي في بيونس ايرس.

المونديال الثاني عام 1934 جرى في إيطاليا. لكن البطل الأول رفض المشاركة احتجاجاً على ضعف مشاركة الفرق الأوروبية في المونديال الأول، وكان بالتالي المونديال الوحيد الذي لم يشهد دفاع البطل العالمي عن لقبه. هذا المونديال شهد مشاركة أول فريق عربي/ افريقي، هو مصر، التي اختفت من البطولة العالمية لمدة 56 عاماً. كما شهد هذا المونديال أول إعادة لمباراة. المباراة النهائية انطلقت في 10 حزيران (يونيو) في درجة حرارة 37 مئوية، يضاف إليها حضور الحاكم الإيطالي الفاشي بنيتو موسوليني، الذي أضفى على الاحتفائية صبغة عسكرية.

مونديال عام 1938 جرى في فرنسا، وشهد أحداثاً مثيرة عديدة، ربما أكثرها إثارة اختفاء فريق دولة تاهلت للبطولة لكنها أمسكت عن الوجود، والمقصود هنا النمسا التي ضمتها ألمانيا النازية. خمسة لاعبين نمساويين انضموا للفريق الألماني، لكن الأخير خسر لصالح فريق سويسرا، وكانت المرة الوحيدة التي لم يتأهل فيها الفريق الألماني للربع ما قبل النهائي.

بطولة عام 1950 جرت في البرازيل وشهدت منع فريقي ألمانيا واليابان من المشاركة. مقاطعات عدة حصلت، لكن أطرفها كان الفريق الهندي الذي تأهل للبطولة لكنه انسحب بعدما منعته الفيفا من اللعب حافي القدمين! هذا المونديال كان الوحيد الذي لم يشهد مباراة البطولة، وشهد أيضاً خسارة فريق الدول المضيفة للأوروغواي التي توجت بطل العالم للمرة الثانية.

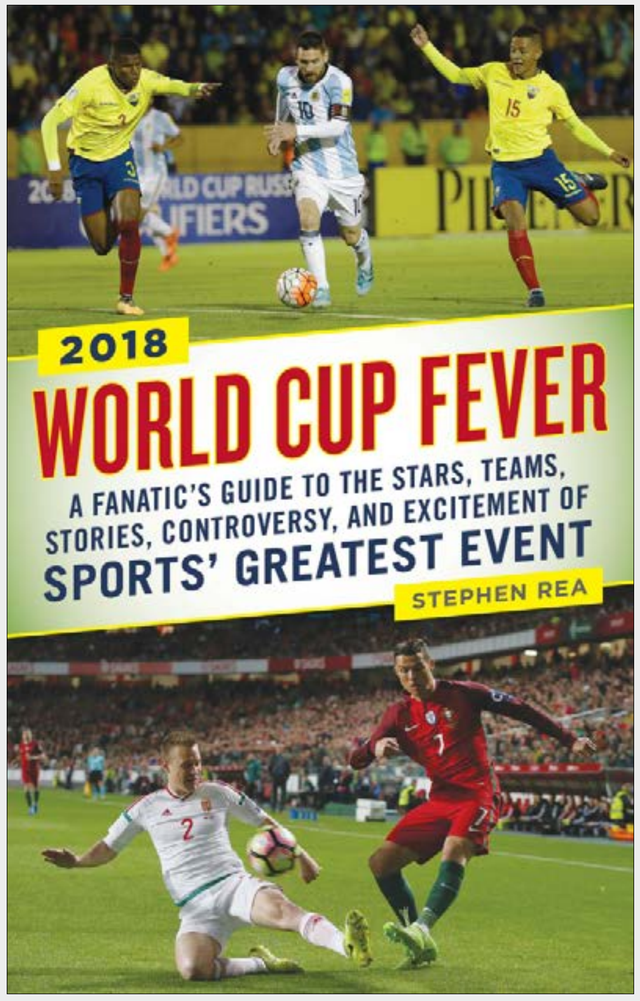

كابتن الفريق الفرنسي الكسندر فلابلان، أعدم عام 1944 لتعاونه مع النازيين

بطولة عام 1954 جرت في سويسرا وشهدت أيضاً أحداثاً مثيرة منها رفض فريق الأرجنتين، المتأهل، المشاركة فيها للمرة الثالثة. يضاف إلى ذلك الشجار العنيف الذي اندلع بين فريق البرازيل ومدربيه، بادر يومها فريق البرازيل إلى غزو غرفة فريق المجر والاعتداء على اللاعبين، بسبب منح الحكم الإنكليزي ضربة جزاء حرة للمجر الذي فاز بأربعة أهداف لهدفين.

مونديال عام 1958 في السويد، شهد إخفاق الفريق الإيطالي في المشاركة بعد هزيمته أمام فريق الخضر الإيرلندي الشمالي (الفريق الإيطالي لم يتأهل لبطولة هذا عام 2018).

مونديال عام 1962 شهد محاولة الفيفا حصر البطولة العالمية بفرق من أوروبا وأميركا اللاتينية. أما الفرق الإفريقية والآسيوية والأميركية الشمالية، فكان عليها اللعب ضد أقوى فرق أوروبية وأميركية لاتينية. هذا المونديال شهد مقاطعات جديدة، منها انسحاب فريقي الجمهورية العربية المتحدة والسودان لعدم الاستجابة لطلبهما اللعب خارج فصل الشتاء.

معظم الدول الإفريقية قاطعت بطولة عام 1966 في بريطانيا لأسباب تنظيمية، وتم منع جنوب إفريقيا من المشاركة بسبب سياساتها العنصرية. كما يتذكر القارئ أن هذه البطولة شهدت الخلاف على الهدف [المحتمل] البريطاني الشهير.

مونديال عام 1974 في ألمانيا الغربية شهد هزيمة الفريق الهولندي أمام الفريق الألماني الغربي، ما أدى إلى حالة غليان في هولندا. إذ رأوا فيه رجع صدى لهزيمة بلادهم العسكرية في الحرب العالمية الثانية. كما شهد هذا المونديال مقاطعة الاتحاد السوفييتي بسبب إجراء اللقاء مع تشيلي التي سقطت تحت حكم عسكر بينوشيه واستُعمل الاستاد الرياضي في العاصمة سجناً لاعتقال أنصار الرئيس المغدور سلفادور الليندي وتعذيبهم وقتلهم.

كما شهد هذا العام خسارة الفريق الألماني الغربي لمضيفه الفريق الألماني الشرقي!

مونديال عام 1982 شهد حادثاً غريباً من نوعه حيث أجبر الحكم السوفييتي على إلغاء هدف صحيح 100%. المقصود هنا تدخل الأمير الكويتي فهد الجابر الأحمد الصباح ابن أمير الكويت أحمد الجابر الصباح، وأمر اللاعبين بمغادرة الملعب، ما قاد إلى إلغاء الهدف الفرنسي في المرمى الكويتي. الفريق الفرنسي فاز في المباراة. أما الأمير فهد، فقد غرّم مبلغ 8000 جنيه استرليني. علماً بأنه قضى في أثناء دفاعه عن قصر دسمان إبان غزو العراق. كما يتعرض الكاتب إلى تامر فريقي ألمانيا والنمسا على فريق الجزائر في ما يعرف بـ «عار غيخون» disgrace of Gijón، Non-aggression pact of Gijón، no-offence pact of Gijón، (Schande von Gijón، Anschlus). الأخير يشير إلى ضم ألمانيا النازية النمسا عام 1938. المعلق الرياضي الألماني رفض الاستمرار في التعليق، والمحطة النمساوية نصحت المشاهدين بالتحول إلى قناة أخرى. أما الصحافة الإسبانية، فقد أوردت تعليقاتها على المباراة في صفحة الجرائم!

ينهي الكاتب مؤلفه المثير حقاً الذي يحوي معلومات كثيرة لم يتسن لنا التذكير بها في هذا العرض المختصر، بتعليقات عن أفضل اللاعبين وأفضل المباريات من منظوره، شارحاً أسباب خياراته. كما يعلق على كل فريق مشارك وفرصه للفوز، وينهي المؤلف الجميل ببرنامج المونديال.

* World Cup Fever: A Fanatic's Guide to the Stars, Teams, Stories, Controversy, and Excitement of Sports' Greatest Event – 2018

ما-را-دو-نا

لن يجدوا دماً في عروقه بك وقود الصواريخ

محمود درويش *

1- ماذا فعلت بالساعة، ماذا صنعت بالمواعيد؟
ماذا نفعل بعدما عاد مارادونا إلى أهله في الأرجنتين؟ مع منْ سنسهر، بعدما اعتدنا أن نعلّق طمأنينة القلب، وخوفه، على قدميه المعجزتين؟ وإلى منْ نأنس ونتحمّس بعدما أدمناه شهراً تحوّلنا خلاله من مشاهدين إلى عشّاق؟ ولمن سنرفع صراخ الحماسة والمتعة ودبابيس الدم، بعدما وجدنا فيه بطلنا المنشود، وأجج فينا عطش الحاجة إلى: بطل.. بطل نصفق له، ندعو له بالنصر، نعلّق له تميمة، ونخاف عليه . وعلى أملنا فيه . من الانكسار؟ الفرد، الفرد ليس بدعة في التاريخ. يا مارادونا، يا مارادونا، ماذا فعلت بالساعة؟ ماذا صنعت بالمواعيد؟
2- سنتذكر لنسهر أكثر
فراغ الأمسيات يتقدّم منّا كطبل من حديد، فنحن لا ننتظر أحداً. سنجر الخطى الثقيلة في اتجاه بيروقراطية النفس والوقت، وسنضطر إلى قبول مواعيد أخرى، نستعيد فيها الثرثرة اليومية حول المناخ، والعنصرية، والحروب الأهلية. وسنتذكّر، لنسهر أكثر، عصراً ذهبياً عاصرناه: العصر الذي حل فيه مارادونا ضيفاً على لهفتنا، فأقلعنا عن كل شيء لنتفرغ لما مسّنا من طقس: محبة مارادونا، وتسييج قدميه بفضاء الرحمة، والقفز على الشاشة لفك الحصار الألماني الثقيل، الذي يسد الهواء على توتر عضلاته، وهجاء الحكم البرازيلي، الذي كسر قلب مارادونا، كما يكسر الرجل الغليظ القلب قلب طفل بريء.. لا لشيء إلا لأنه يغار من عبقرية الطفولة.
3- يفلت كالصوت
له وجه طفل، وجه ملاك، له جسد الكرة، له قلب أسد، له قدما غزال عملاق، وله هتافنا: مارادونا.. مارادونا، فنتصبب اسمه عرقاً. ويقتلع الكرة كالقطة البلدية الماهرة، من أرجل البغل. يراوغ كالثعلب المزوّد بقوة ثور، ويقفز كالفهد على حارس المرمى الضخم المتحوّل إلى أرنب: جووول! مارادونا يرسم علامة الصليب، يبوس الأرض. يقف. يُحاصرْ. يفلت كالصوت. يقطف الكرة. يحاصرْ. يمرر الكرة جاهزة على شكل هدية إلى قدم زميل ساعده في فتح قلعة الدفاع، فيصوّبها الزميل الماهر في اتجاه المدى والجمهور. مارادونا يصفق من الوجع. إن هو لم يسدد، ستموت الأرجنتين من البكاء. وإن هو لم يصوّب سترفع الأرجنتين نصباً لعارها في الفوكلاند. سيتوقف الشعور القومي عن الرقص، وستربح انكلترا المغرورة الحرب مرتين. ولكن مارادونا يتقدم بالكرة من حيث تراجعت السلطة. مارادونا يعيد الجزيرة إلى الأرجنتين. وينبّه الإمبراطورية البريطانية إلى أنها تحيا في أفراح الماضي.. الماضي البعيد.
4- ما هذا السحر الجماعي؟
ما هي كرة القدم هذه؟ ما هذا السحر الجماعي الذي لم يحل لغزه الشائع أحد؟
مارادونا لا يسأل غريزته. سقراط البرازيلي هو المفكّر المشغول بتأملات ميتافيزيقية حول الضربة الركنية. وزيكو يلاحق كابوس ضربة الجزاء، التي طارت من الملعب فطارت البرازيل من الحلم. وبلاتيني يُحسّن شروط التقاعد. وبيليه الخبيث يُجاهد لإخفاء الشماتة التي تصيب الملوك المخلوعين. ولكن مارادونا يعرف شيئاً واحداً هو أن كرة القدم حياته وأهله وحلمه ووطنه و.. كونه.

يوكو شيميزو

منذ طفولته الفقيرة في كوخ من تنك، تعلّم المشي على الكرة. كان يلف كرة الخيطان حول علب الصفيح ويلعب. ولعل الكرة هي التي علمته المشي. مشى من أجلها. مشى ليتبعها. مشى ليلعب بها. ومشى ليسيطر عليها. لقد تمحورت طفولته حول كرة الخيطان إلى أن ضحى أبوه براتبه الشهري ليشتري له كرة قدم حقيقية. وانطلق.. ليكون أصغر لاعب في منتخب الأرجنتين. وهكذا، ارتفع مارادونا . الولد المعجزة . من أشد البيوت فقراً إلى أوسع الآفاق، إمبراطوراً على كرة القدم. لم يكترث في صباه بشاشة السينما والتلفزيون. ولكنه احتل الشاشة . ليشاهده أكثر من ملياري إنسان، كما ترنو العيون إلى نجم في السماء . بقدميه. لقد رفعته الكرة، وارتفع بها، إلى أعلى أعالي الكلام.
5- عذاب حارس المرمى وضربة الجزاء
مارادونا هو النجم الذي لا تزاحمه النجوم. دانت له بقدر ما دان، هو، لكرة القدم، التي صارت كرة قدمه. النجوم تبتعد عن منطقة جاذبيته لتفتتن بما تراه، لتراه من الجهات كلها، لتبهر في معجزة التكوين، لتصلي للخالق والمخلوق، لتحتفي بحرمانها المتحقق في غيرها، لتنشد نشيد المدائح لمن جعلها تُهزم بهذا الامتنان: فما أسعد من هزمته قدم مارادونا!
هذه القدم، قدم مارادونا، مع كعب ميثولوجي آخر هو كعب أخيل.. هما أشهر قدمين في تاريخ الأسطورة. فلماذا نخبئ التساؤل المكبوت، الذي يوقده فينا هذا الجنون الجميل، الجنون الذي تنشره كرة القدم، كالعدوى، في ملايين البشر: لماذا لا تكون كرة القدم موضوعاً للفن والأدب؟ أكرر: لماذا لا تكون كرة القدم موضوعاً للفن والأدب؟
ولماذا لا يتعامل الأدب مع هذا البارود العاطفي، الذي يشعل الملايين في علاقتها بالمشهد الذي يحولها هي إلى مشهد درامي؟ ثم: أهناك عذاب أشد، ووحشة أقسى من عذاب حارس المرمى، ووحشته الكونية، أمام ضربة جزاء؟
وأهناك ضغط نفسي أثقل من ضغط الوقوف الدقيق على وتر النجاح أو الفشل، والتحكّم بمصير الأمة المعنوي، حين يقف الهدّاف الماهر لتسديد ضربة الجزاء؟
أليست هذه اللحظات أشد قسوة ورهافة وتفجيراً للعاطفة الفردية والجماعية من اللحظات، التي يواجهها «مقامر» دستويفسكي، مثلاً؟
6- حرب التأويلات
ما هي كرة القدم هذه؟ هي شيء من صراع التأويلات، ومسرح واقعي لتعديل موازين القوى، أو المحافظة عليها، لخلق مستوى آخر للواقع، أو تثبيته. هي شيء من لعبة إعادة تركيب العالم على أسس مختلفة، وعلى جدارة مختلفة. حرب عالمية يمارس فيها خيال الشعوب دوره الغائب أو الحاضر. لا أحد يتفرج على سباق الأجساد، والمهارة، والذكاء، المعبّرة عن طبائع الأمم في الهجوم والدفاع، في العنف والرقص، في الفردية والجماعية. الجميع ينخرطون.

> **أليست هذه اللحظات أشد قسوة ورهافة وتفجيراً للعاطفة الفردية والجماعية من اللحظات التي يواجهها «مقامر» دستويفسكي، مثلاً؟**

ولعل المشاهدين هم أشد اللاعبين اندفاعاً لأنهم يدفعون بتاريخهم النفسي وتأويلاتهم ورغباتهم في التعويض إلى الملعب، لرفع اللعبة إلى مستوى التعبير التمثيلي المتخيّل عن روح الأمة وحاجتها إلى التفوّق على الآخر. هي الوطنية المتفجرة. شرارة الإفصاح عن الباطن في علاقته بالآخر. وهي حرية الإفصاح المتاحة عن الذات المحرومة من الإفصاح في سياق السياسة أو الجنس أو اللون.
هي انفجار حرية تعبير عن حرية غائبة، أو عن سيادة تسعى لأن تواصل سيادتها. هي شيء من الصراع الاجتماعي أحياناً، وعن وحدة القوى الاجتماعية الداخلية في صراعها القومي مع الخارج أحياناً أخرى.
هي المُتاح للتعبير والتنفيس والتظاهر ضد قمع يتحوّل الحَكم، أو المدرب فيه، إلى رمز لحاكم ظالم، أو لقضاء غير عادل حين تتخذ محاكمة الهزيمة شكل محاكمة السلطة، أو حين يتخذ الانتصار شكل التدليل على أن روح الشعب ووحدته هما اللتان انتصرتا، وأنهما لا يتحملان المسؤولية عن هزيمة عسكرية ليست حتمية.
وأحياناً تتخذ اللعبة معنى الانتقام الجماعي أو التعويض الجماعي عن عدم التكافؤ في موازين القوى بين دول كبرى ودول صغرى. وباختصار، فإنها تمثل ما تبقى من إجماع حول فكرة، أو حماسة، أو قوّة، أو هدف.
إنها حرب التأويلات ومن مظاهرها الوحدة الأوروبية المفاجئة حول ألمانيا في المباراة النهائية التي اتخذت شكل الصراع الأوروبي. الأميركي اللاتيني، بينما لم يعبر «العالم الثالث» عن وحدته.
وقد يحمل هذه الدلالة انحياز الحكم البرازيلي السمسار المستلب، الذي بذل جهوداً طائلة للحصول على «البراءة» الأوروبية من تهمة محتملة لأن مقياس النزاهة هو مقياس أوروبي! فغضّ الطرف عن المخالفات الألمانية الفظة، وعاقب مارادونا بقسوة زائدة، فذكرنا بأن العالم الثالث لا يتوّحد حول ذاته، بل يوّحد استلابه أمام السيد. إنه يرنو إلى نموذجه الآخر، يتملق «غربه» ولا يحب لطرف من أطرافه أن يساويه بغير الهزيمة.
7- الملك الأحمق لا يوقف موج البحر
لكن مارادونا، كما استقر فينا، خفف من انسياق هذه التأويلات إلى ما هو أبعد. لقد رفع كرة القدم إلى مستوى التجريد الموسيقي الشفاف، رفعها إلى الطهارة المطلقة.
لم يحرّك فينا العاطفة القومية، فهو ليس منّا. ولم يحرك فينا وحدة التضامن مع العالم الثالث ممثلاً في الأرجنتين، التي لا تريد هذا الانتماء، وتستمرئ تبعيتها المثقلة بالديون والعنصرية الرسمية، ولكنه حرّك فينا حاسة الدفاع عن النفس أمام هجوم الإشارات العنصرية الغربية، ومنها تعليقات التلفزيون الفرنسي.
لعب مارادونا من أجل اللعب. وحوّل كرة القدم إلى أغنية راقصة. مزيج من السامبا البرازيلية والتانغو الأرجنتيني.
لا يمكن إيقافه . كما لا يمكن للملك الأحمق أن يوقف موج البحر. هكذا يقول الخبراء الرياضيون الذين وجدوا في المرجعية الشعرية اللغة الوحيدة القادرة على وصف هذا الشيطان الملائكي، صانع الفرص، نشّال ماهر، موجود في كل مكان، حوّل الملاعب المكسيكية إلى مرتعه الخاص.
المونديال هو مارادونا. قوي كالثور. سريع كالقذيفة.
يدخل الملعب كأنه داخل إلى كنيسة. يغربل الدفاع ويهدّف. نجم هذا العصر. لن يجد الأطباء دما في عروقه . سيجدون وقود الصواريخ. يمر كالهواء عبر المساحات الضيقة. ملك الكرة المتوّج الذي قال: «سجلت الهدف الأوّل في مرمى الإنكليز بيد الله ورأس مارادونا».
8- مارادونا، يا بطلي...
مارادونا، يا بطلي إلى أين نذهب هذا المساء؟
مارادونا، ساعد أبويك، ساعدنا على تحمل هذه الحياة، وساعد هذا العصر على الخروج من السأم والدخول في الحنين إلى البطولة الفردية.
مارادونا، متى تحمل اسمك عن شفاهنا لنعود إلى قراءة هيغل ونيتشه؟
مارادونا، مارادونا، مارادونا!!

مجلة «اليوم السابع»/ باريس 1986

مواد أخرى على موقعنا